الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

- طريق السلامة: بين الكاوبوي الأمريكي والدب الروسي

محمد عبده يماني

- ظواهر حيّرت الناس

د. عبد المحسن صالح

- الدوحة في مهرجان كان السينمائي

رءوف توفيق

الرموز الجمالية في معرض وفيقة سلطان

هناك إجماع لا جدال حوله على تقسيم القوى العالمية في عصرنا الراهن إلى قوتين اثنتين ليس غير : القوة الأمريكية ، القوة السوفيتية .

اما باقي القوى ، مهما بلغت ، فانها تصنف إما على أساس دورانها في فلك إحـــدى القوتيـــن الكبيرتين ، او على اساس اوضاعها «الاقليمية» في المناطق التي توجد فيها .

ولقد ذهب المعلقون والمحللون إلى وصف القوتين الكبيرتين بكلمات توحي وكانه ليس في الدنيا سواهما ، فقيل «القوتين الاعظم» وقيل «القوتين الأكبر» وقيل «القوتين العظيمتين» .. وقيلت أوصاف كثيرة اخرى .. ونحن لا نجادل في مدى صحة تلك الأوصاف ولا في مدى استحقاق كل من القوتين لهما .. ولكننا نجادل تجاه هذه الحالة الغريبة من التسليم بتلك الأوصاف وكأن القوتين الاعظم قد استباحتا الارض وما عليها لاطماعهما وكان ليس على سطح البسيطة سواهما ، وكأن الوقوف في وجهيهما امر مستحيل ، وان على الدول الاخرى ان تختار بين هذه وتلك من القوتين تنضوي تحت لوائها وتحتمي بظلها او يكون مصيرها الضياع والدمار .

ذلك أن سبب قوة أمريكا وروسيا هو بالذات ــ وفي نفس الوقت ــ سبب ضعفهما ..







بقلم : الدكتور محمد عبده يماني

وقد تحدثت في المقالين السابقين «الدوحة : ابريل ١٩٨٤ ويونيو ١٩٨٤» عن آثار وممارسات الكاوبوي الأمريكي التقليدية .. والتي حفرت في اعماق الشخصية الأمريكية ، وأدت إلى نشأة اجيال مشبعة بروح الكاوبوي ــ تؤمن بالمسدس ، وسرعة الحركة وسيلة للتعبير عن الذات .. وفي الطرف الآخر يقف الدب الروسي ضخم الجثة ، بطيء الحركة ، قوي الضربة (محبا للعسل) وحتى اكتملت المأساة في عالمنا المعاصر .. الكاوبوي الأمريكي من ناحية ، بمسدسه سريع الطلقات ، والدب الروسي بضخامته وهيامه بالعسل من ناحية اخرى ..

فما هو طريق السلامة إذن ؟
واين نقف ؟
ومع من ؟

واذا كانت هذه هي طبيعة التصرف الامريكي وتلك سمات عقليته ، وطبيعة حركته .. واذا كان هذا هو التصرف الروسي مع من يدور في فلكه من قوى مكملة له ، حركة ، وتاهب ، ثم انقضاض ، فاني احسب ان طريق السلامة لن يكون عن طريق إثارتهما ، او بمحاولة الاحتكاك باي منهما ، او الانضمام الى اي من المعسكرين ، بل إن طريق السلامة هو استقلالية ، وذاتية ، واصالة ، وعقلانية تحكم حركتنا ..

نحافظ فيها على احترام انفسنا ، والحفاظ على ذاتيتنا دون ما حاجة إلى التورط في حبائل اي منهما ، وفرق كبير بين التعاون الذي لا يرفضه عاقل ، والذي تحتمه المصالح الاقتصادية والعلمية ، وغيرها ، وبين التحالف الذي لا يجلب إلا اضرارا مباشرة ، وإثارة لاحدهما حسدا وغيرة من الآخر ، ولكن احدا لا يمكن ان يلومنا او يمنعنا من التعاون في المجالات الحيوية ، والمعاشية ، غير ان الخطورة كما اسلفت تكمن دون شك ، في عملية الاستدراج التي تتم نحو تطوير العلاقات مع اي من المعسكرين بشكل يسمح له بالاقتراب فالتواجد ، فالتدخل في شئون المنطقة ، وعندها يستحيل التنبؤ بابعاد ومخاطر المراحل القادمة ..

والعقل دون شك يدعونا من الناحية الاخرى إلى عدم إثارتهما ، او التصادم معهما ، فرحم الله امرا عرف قدر نفسه ، والقيم ايضا ، والمبادىء الاصيلة لهذه الامة تدعونا للعزة ، والكرامة ، فلا نهين انفسنا خوفا ، او وجلا ، فنهون على الناس ومن يهن يسهل الهوان عليه ..

ولقد خلصت في الحلقتين السابقتين بعد استعراض حال القوتين الكبيرتين في العالم (امريكا وروسيا) وممارساتهما في السياسة الدولية .. خلصت من ذلك الاستعراض بحقيقتين ..

الاولى : انه لا امل في ان تتفهم الولايات المتحدة الحقائق المحيطـــة باوضــــاع كل منطقة وكل دولة في مختلف بلاد العالم ، وان هدفها الوحيد هو تحقيق مصالحها عن طريق «العنف» اي بنفس طريقة الكاوبوي الامريكي التقليدي الذي لا يتحدث إلا بلغة المسدسات سريعة الطلقات ، ولا يعجب – او يحترم – إلا بكاوبوي مثله يسارع إلى إشهار مسدسه اولا ، بصرف النظر عما إذا كان ذلك الكاوبوي على حق او على باطل ، وان هذه السياسة إذا صلحت فيما مضى – دون شك – لا تصلح في عصرنا هذا ، فعصر الكـــاوبوي قد انتهى وانقضى ، والسياسة الامريكية تلحق الضرر بالمصالح الامريكية ، كما تلحقه – قصدا او عفوا – بمصالح كثير من الدول الاخرى بما فيها الدول الصديقة .

الثانية : ان الاتحاد السوفييتي ، الذي مازال يرمز إليه بالدب الابيض منذ عهد القياصرة إلى اليوم ، مشغول بمطامعه «الامبريالية» التي حقق شطرا كبيرا منها والتي اكمل بها «السوفييت» ما بدا به القياصرة ، مع فارق هام جدا هو ان القياصرة كانوا يعترفون بان لهم مطامع «امبريالية» اما «السوفييت» فانهم يحققون مطامعهم «الامبريالية» تحت شعار «مكافحة الامبريالية» ..

ومن منطلق «الرادع النووي» الذي لجم الدولتين العظميين – كليهما – اصبح المقياس هو القوة العسكرية التقليدية ، اصالة او وكالة ، وان الدول الاخرى ، حتى ما كان خاضعا منها مباشرة لاحدى القوتين ليست ملزمة بالضرورة الآن تنحاز إلى إحدى القوتين ، ولو كرها في إحداهما ، وان اصغر دولة في العالم ، ولو كانت بحجم طابع البريد ، من حقها ان ترفض الانحياز ، وان تبحث عن مصالحها الخاصة مثلما يبحث العملاقان عن مصالحهما الخاصة .

وبطبيعة الحال لم تلاق هذه النظرية هوى في نفوس الامريكيين او السوفييت ، فامريكا رفعت في وقت من الاوقات شعار «من ليس معي فهو ضدي» ، وروسيا لها اسلوبها الخاص في الغزو والسيطرة والاقتحـــــام ، مع إيجــــاد المبررات «الايديولوجية» اللازمة ..

وربما كان الرئيس اليوجوسلافي الراحل «تيتو» من اوائل من ادركوا حقائق متغيرات عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية ، فهو اول من شق عصا الطاعة على الكرملين ، وذلك بعد ثلاث سنوات من نهاية الحرب ، وانفصل عن الفلك السوفييتي الذي كان يدور فيه ، واعلن سياسة مستقلة عن المعسكرين مستغلا بذلك ظروف السياسة الدوليــــة فـــي ذلك الحيـــن ، والخـــوف السوفييتي من السلاح النووي الامريكي ، إذ لم تكن روسيا قد امتلكت هذا السلاح بعد ، وتمكن تيتو من ان يثبت على سياسته هذه إلى حد بعيد ، وضمن حسابات دقيقة جعلت استقلاله عن سلطة الكرملين امرا واقعا استمر بعد ذلك إلى يومنا هذا ..

وربمـــا نسجل لتيتو هذا الموقف لنستخلص منه المغزى : وهو اكتشافه وسيلة للتعايش مع العملاقين ، وفي معزل عنهما ، الامر الذي وجه انتباه العملاقين إلى ضرورة بلورة موقف الدول – معها او ضدها – فبدات بذلك «موضة الاحلاف» التي كانت وسيلة لتحديد مواقف بعض الدول ، فظهر حلف الاطلسي ، وتبعه حلف وارسو ، ثم بدات «حقبة الاحلاف» في التاريخ الحديث التي بدات مع مطلع الخمسينات .

المهم هنا ، ان العملاقين – على قوتهما العظمى – شعرا بالحاجة إلى «التكتل» مع دول اخرى ، بصرف النظر عن مدى قوتها ، وما تملك من مال وسلاح ، لانهما شعرا بانهما لا يستطيعان الانفراد بالمواجهة كلا تجاه الآخر ، فكانت «حقبة الاحلاف» مرحلة عاصفة في هذا القرن ، سالت بسببها دماء كثيرة ، ووقعت احداث هائلة ، وتغيرت دول وانظمة وحكام ، وكان المستفيد الوحيد في ذلك هو هذا المعسكر او ذاك ..

فاذا كان العملاقان قد شعرا بعجزهما عن الوقوف وحيدين ، وهما على ما هما عليه من قوة وسلاح ومناطق نفوذ ، فماذا يكون شان الدول الاخرى التي تعتمد على احد المعسكرين في كثير من الشئون العسكرية والاقتصادية والسياسية .

لقد بدا الضيق بسياسة الدولتين العظميين ومحاولاتهما احتواء الدول الاخرى إلى صفهما بطرح شعارا جديدا هو «الحياد» الذي ابدل اسمه بعد ذلك إلى تعبير اكثر دقة هو «عدم الانحياز» ..

وكان «عدم الانحياز» – هذا – جزءا من طريق السلامة الذي اكتشفته دول كثيرة ، ليست كبيرة وليست عظمى ، وبات هذا الشعار مرفوعا حتى اليوم ، ومازال يزعج الامريكيين والروس معا ..

عمليا لم تكن دول «عدم الانحياز» جميعا «غير منحازة» فهناك دول ذات ارتباط وثيق بامريكا ، واخرى بالسوفييت ، ولم يستطع هذا الاتجاه ان يبلور نفسه كقوة عالمية ثالثة ، فظل عدم الانحياز شعارا ورموزا اكثر منه تطبيقا ومنهجا ، بل ان العملاقين قد اتخذا من بعض دول عدم الانحيـــاز « حصـــان طروادة » الذي به يضربون المنظمة والشعار ، ويفرغونهما من كل مضمون عملي .

ولا يتسع لنا المجال للبحث في عوامل عدم فعالية منظمة دول عدم الانحياز، رغم استمرار اجتماعاتها ومؤتمراتها، ولكننا نقول ان من غير المعقول ان يجتمع اقصى الشرق واقصى الغرب في منظمة واحدة، ذات اهداف واحدة، وان تتفق دولة شيوعية النظام مثل «كوبا / كاسترو» مع دولة او دول اخرى تتناقض معها في كل شيء.

عدم الانحياز إذن ليس هو «طريق السلامة» تجاه العملاقين، فماذا يكون هذا الطريق ؟ ..

إنه — وبكل بساطة — التكتل الدولي ذو التوجهات المشتركة الحقيقية ..

ومن بين كثير من تجارب هذه التكتلات، انتقي تجربتين نموذجيتين يمكن ان نجعلهما مقياسا لما يجب ان يكون عليه طريق السلامة.

واضرب صفحا عن «منظمة الشعوب الامريكية»، والاحلاف العسكرية، والمنظمات الاقليمية المرتبطة كليا باحد المعسكرين، لانها ادوات سياسية اكثر منها تكتلات فعلية، واختار تجربتين اثنتين :

التجربة الأولى : زمنيا، هي تجربة السوق الأوروبية المشتركة، وما تفرع عنها من مؤسسات، لقد ادركت دول اوروبا الغربية انها قد اصبحت دولا من الدرجة الثانية، تجاه امريكا وروسيا، وان عهد امبراطورياتها قد ولى ليفسح الطريق لامبراطوريتي الكاوبوي الأمريكي والدب الروسي الأحمر، وان طريق السلامة الوحيد المفتوح امامها هو ان تتوحد لتشكل قوة قائمة بذاتها تستطيع مواجهة العملاقين والدفاع عن مصالحها ..

والواقع ان التناقضات القائمة بين دول اوروبا الغربية هي اكثر من عوامل الاتفاق، فهناك ثارات تاريخية قديمة بين المانيا وفرنسا، وهناك نزاعات — مجمدة — على الحدود، وهناك ثقافات مختلفة جذريا عن بعضها، فالثقافة الألمانية هي غير الثقافة الفرنسية، وغير الثقافة الايطالية، والتوزيع السكاني غير منسجم مع واقع كل دولة، فهناك «فرنسيون» يتكلمون اللغة الألمانية، وهناك تنافس اقتصادي كبير بين معظم الدول الأوروبية، بحكم انها كلها صناعية، وهناك اختلافات في انظمة الحكم، وهناك مشكلات داخلية كثيرة ..

ورغم ذلك كله كانت «الوحدة» هي الوسيلة الوحيدة امام تلك الدول لكي تحمي نفسها في غمرة الصراع المستميت بين العملاقين ..

وهكذا انشئت «السوق الأوروبية المشتركة» والبرلمان الأوروبي، ومجلس الوحدة الأوروبية، وهي مؤسسات غايتها السير بالدول الأوروبية على طريق الوحدة بتؤدة واتزان، بدءا من التنسيق الاقتصادي وانتهاء بشكل وحدوي يجمع بين تلك الدول على غرار الولايات المتحدة الأمريكية ..

وبقدر ما شعر السوفييت بالارتياح لذلك، شعر الأمريكيون بانزعاج .. فالسوفييت يؤيدون — بطبيعة الحال — اية مبادرة تهدف إلى الانعتاق من السيطرة الأمريكية بالنسبة لاية دولة من الدول، فكيف إذا كان الامر متعلقا بدول اوروبية كانت عظمى ؟ ..

والأمريكيون يعتبرون الأوروبيين الغربيين حلفاءهم الطبيعيين، ولكن على الطريقة الأمريكية، فالكاوبوي الامريكي هو الذي يحمي اوروبا الغربية بمسدسه وعلى الدول «المحمية» ان تدين له بالولاء والطاعة، مادام هو الاقوى والاقدر.

وصدرت عن الولايات المتحدة مبادرات كثيرة اراد الأمريكيون منها ان يفهموا الأوروبيين انهم لا يساوون شيئا بدونهم .. وفي نفس الوقت دافع الأمريكيون بعنف عن مصالحهم الاقتصادية ضد مصالح الدول الأوروبية، ومن شواهد هذا الدفاع معركة طائرة «الكونكورد» الفرنسية البريطانية التي قتلها الأمريكيون دون شفقة رغم انه كبدت فرنسا وبريطانيا خسائر باهظة جدا، وتفوقت «البوينج» الأمريكية حتى في قلب اوروبا الغربية.

وسيطرت الثقافة الأمريكية، بسطحيتها وفراغها من المحتوى الجدير بالتقدير، على عقول الاجيال الأوروبية، عبر المسلسلات والموسيقى والرقص الأمريكية، التي اخذت طريقها بسهولة إلى تلك الاجيال.

وكانت مبادرة الرئيس الفرنسي ديجول، ضد امريكا، اول رد على ذلك الغزو، وهي المبادرة التي زلزلت مركز الدولار فترة من الوقت، وادت إلى تخلي امريكا عن ضمان سعر الدولار، مما لاتزال اثاره تتفاعل حتى الآن، وكان تعليل ديجول لمبادرته تلك انها — بكل بساطة — دفاع عن الثقافة الفرنسية ..

وكلنا نتذكر الموقف الحيادي الذي وقفته الدول الأوروبية الغربية تجاه التدخل الأمريكي لصالح إسرائيل ايام حرب رمضان فقد رفضت جميع الدول — عدا البرتغال — ان تسمح باقامة جسر جوي امريكي إلى إسرائيل عبر اجوائها، ورفضت كذلك إخراج اية اسلحة امريكية من قواعدها في اوروبا، وعندما حاولت امريكا ان تلوح بحلف الأطلسي والتزاماته التي تشمل الجميع، ردت الدول الغربية — وهي اعضاء في الحلف — ان التدخل الأمريكي لصالح اسرائيل لا يدخل ضمن مهام الحلف وانها بالتالي ترفض التعاون مع امريكا في ذلك، وقد كان ذلك موقفا يلفت النظر فعلا إذا اخذنا في الاعتبارات العلاقات الوثيقة القائمة بين اسرائيل ومعظم دول الحلف ..

وكان موقف الدول الأوروبية من مشروع خط انابيب الغاز السوفييتي تعبيرا اخر عن محاولة اوروبا الغربية لاثبات استقلاليتها حين قررت المضي في تنفيذ المشروع لصالح السوفييت رغم اعتراض الأمريكيين ..

وزاد في بلبلة الامور دخول بريطانيا السوق الأوروبية المشتركة، وهي الدولة التي تعتبر اكثر دول اوروبا الغربية ولاء لامريكا وارتباطا بها، فكان الأمريكيين قد دسوا — عبر بريطانيا — «عميلا» ينطق بلسانهم ويدافع عن مصالحهم ويحاول تخريب السوق إذا استطاع ..

فاذا كانت الدول الأوروبية رغم تناقضاتها العميقة قد سارت على طريق الوحدة رغم كل الصعوبات، فما يكون عذرنا — نحن العرب — إذ نجد منظمتنا الوحدوية العتيدة — اعني جامعة الدول العربية — لم تكد تحقق شيئا على طريق التنسيق بين الدول العربية الاثنتين والعشرين ؟

إننا حين ننظر إلى حالة التمزق والتشرذم القائمة بين بعض الدول العربية لنشعر بالدهشة بقدر ما نشعر بالالم.

ذلك ان مقومات الوفاق العربي اكثر — بما لا يقاس — من مقومات الوفاق الأوروبي، وهناك جذور حقيقية عميقة لهذا الوفاق، وفي مقدمتها : الدين، واللغة، والتاريخ، والامتداد الجغرافي، والترابط الاقتصادي والحياة البشرية والثقافة و ... الهموم ..

ولو قارنا اسباب الخلاف العربية باسباب الخلاف الأوروبية لوجدنا الفارق عظيما .. فالشعوب الأوروبية مختلفة





ديجول

تيتو

جذريا في كل شيء ، وثاراتها تضرب عميقا في التاريخ البعيد والقريب ..

بينما لا نجد اسبابا جوهرية للخلافات العربية اكثر من المصالح الذاتية ، التي تكاد تكون فردية ، والتي يمكن حلها كلها دفعة واحدة إذا ما صدقت النية وصح العزم ..

ولقد اثبتت الشعوب العربية مصداقية تماسكها بالانتماء العربي في اوقات الأزمات والحروب ، فتضامنت جميعها ، ايام المعارك مع العدو الصهيوني ، لاسيما ايام حرب رمضان ، واسهم كل منها بما استطاع في تحقيق النصر ..

والتفاعل الثقافي بين الشعوب العربية هو اكثر عمقا ورسوخا عندنا عما هو عليه في أوروبا الغربية ..

والمصالح الاقتصادية والبشرية والسياسية هي اكثر وضوحا وإلحاحا عما عليه لدى الشعوب الأوروبية ..

ومع هذا لم يعرف العالم العربي في تاريخه كله حالة من التمزق والتشرذم والتباعد والخصومة كما هو الشان اليوم ..

لماذا ؟

لا احد يدري ...

وفيم الخلاف ؟

لا احد يدري ...

وعلام الخلاف ؟

لا احد يدري ...

اقولها صادقا ، وارجو من اي كان ان يتكرم باقناعي ـ باية وسيلة ـ بجدية اسباب الخلافات العربية واستعصائها على الحل ...

ومن هنا برزت صورة نموذجية من صور التحسس باخطار الأوضاع العالمية الراهنة ، والحاجة إلى التعاون والتنسيق واعتني بها صورة «مجلس التعاون الخليجي» ...

ولا نعرف تنسيقا دوليا حقق النجاح والتطور الايجابي المستمر مثلما حقق التنسيق بين دول مجلس التعاون .. على الاقل فيما طرح حتى الآن .. وما تم بالفعل .

ولعل هذا المجلس هو المؤسسة الدولية الوحيدة التي لم تعصف بها الخلافات ولم يهزها تباين في وجهات النظر ، فاتفقت جوهراً ومخبراً ، وسارت على طريق السلامة اشواطا بعيدة جداً في زمن قصير جدا .. فقد ساروا على اساس «ان اختلاف الراي لا يفسد للود قضية» ..

ولعله ـ كذلك ـ اصدق صور التعاون العربي الذي وضع الاماني موضع التطبيق وبلور الوحدة الخليجية على شكل اجراءات عملية افاد منها كل مواطن خليجي ، واصبح يتطلع إلى تعاون مستقبلي اوثق .

وفي اعتقادي ان سبب نجاح التعاون الخليجي مرده إلى النية الصادقة المشتركة بين جميع الأطراف لانجاح هذه المؤسسة والسير بها في الطريق المرسوم بشكل متواصل لا يتوقف عند اية عقبة ..

فالمقررات المشتركة ، من القمة إلى القاعدة ، تتخذ طريقها إلى التنفيذ الفوري ، وتباين وجهات النظر ـ إذا وجد ـ يحل بمزيد من الدراسة والتحليل للتوصل إلى صيغة تلائم جميع الأطراف ..

ولو ان اسلوب مجلس التعاون الخليجي قد طبق على مستوى الوطن العربي كله لتغير وجه التاريخ ، ولبات حال العرب خيراً مما هو الآن ..

وقد يخطر لك ان تتساءل :

ما الذي يمنع من تطبيق النموذج الخليجي على دول الجامعة العربية كلها ؟

واجيبك : بانه لا شيء ـ عمليا ونظريا ـ يمنع من ذلك .. ولكن ..... واكتفي من الجواب بهذا الحد ..

• • •

المهم ان عهد المواقف الفردية قد انتهى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ويستحيل على اية دولة ، حتى ولو كانت امريكا او روسيا ، ان تنفرد بمواقف واوضاع تختلف او تنعزل بها عن الاخرين ..

فاذا كان العملاقان ـ وهما عملاقان ـ يشعران بالحاجة إلى حلفاء واصدقاء ويبذلان من اجل ذلك جهودا محمومة واموالا طائلة ..

وإذا كانت الأخطار المتربصة بالجميع قد دعت اعداء الامس في اوروبا الغربية إلى التوافق والتعاون والتنسيق ..

وإذا كانت هناك تجارب نموذجية تثبت ان التكتل الاقليمي والدولي ممكن ، إذا صدقت النيات ..

إذا كان الأمر كذلك من مختلف نواحيه ـ وهو كذلك فعلا ـ فماذا يتعين علينا ـ نحن المسلمين ـ الذين يعدون قرابة مليار نسمة ان نفعل ؟ ..

وكيف نواجه الحروب الشرسة الموجهة ضدنا بالذات ـ لاننا مسلمون ـ من العملاقين كليهما ؟

وكيف نستطيع ان نحمي انفسنا وسط خضم الاعاصير التي تجتاح معظم ارجاء العالم ؟

وكيف ـ بعد ذلك ـ نستطيع ان نتقي شرور ممارسات الكاوبوي الأمريكي والدب الروسي ونقف كقوة دولية ذات وزن مستقلة المواقف والاراء ..

ذلك هو موضوع القسم الرابع ـ والاخير ـ من حديثي هذا ...

محمد عبده يماني

التحدي الثقافي

وآخر خطط للدفاع عن العرب والمسلمين



الغزو الثقافي الذى يجتاح الأمة الإسلامية صنو للغزو العسكري الذى جاس خلال ديارها من بضعة قرون وأثر لا بد منه للهزائم التي أصابتنا وألحقت بنا خسائر مادية ومعنوية فادحة!

والأعداء إذا شنوا غارة على بلد مّا فهم لاينزلون به سائحين عابرين. ولا زائرين متفرجين وإنما ينزلون به مستبيحين بيضته. وكاسرين شوكته. فإن كانوا طلاب مغانم استنزفوا خيره ولم يدعوا لأهله إلا الفتات. وإن كانت لهم أغراض دينية او اجتماعية وضعوا الخطط القريبة والبعيدة لمحو شخصية الأمة وتغيير ملامحها، وكما ينقل النهر من مجرى إلى مجرى، تنقل الأمة رويدا رويداً من مجراها العقلي الأول إلى مجرى آخر يرسمه خصومها ويدفعونها إليه دفعا..!

والاستعمار الغربي الذى هاجم العالم الإسلامي من بضعة قرون كان مزدوج الهدف. فهو طامع في خيرات الشرق الكثيرة يراها ميراثا لاصاحب له. وهو في الوقت نفسه مثقل بضغائن قديمة. يكره الإسلام كراهية شديدة. ويضيق بكل من ينتمي إليه. ويشتد ضيقه بالعرب خاصة. فهم قوم محمد وحملة رسالته. ولاتزال لغتهم مستودع كتابه وسنته...

فلما واتته الفرص ووضع يده على أقطارهم شرع يضرب الإسلام بقوة ومكر. ومضى دون هوادة يجهز على قلوله الثقافية الخائرة بعد ما دمر جيوشه العسكرية..

وانطلقت طلائع الغزو الثقافي تطارد الدين المغلوب على أمره في ميادين التربية والتعليم والتشريع. وتطوى تقاليده الاجتماعية والأدبية والاقتصادية والسياسية. وأفلحت في تكوين أجيال تنظر إلى ماضيها كله على أنه أنقاض أو مخلفات ينبغي أن تستخفي ليحل محلها البناء الجديد الذى وضع الغرب حقيقته وصورته..!

ولم تكن المعركة سهلة على أية حال. فالمقاومة شديدة. ورجالها مستبسلون. وكلما ظنّ الغزاة أنهم انتصروا بدت لهم الغاية أبعد. والعقبات أشدّ!

ولكى يعرف أبناؤنا أبعاد الموقف نذكر لهم هذه الحقائق

(١) منذ بدأ الإسلام واليهود والنصارى حاقدون عليه ومعترضون طريقه. تدبر قوله تعالى «ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق...» وقوله: «لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم...»

وعندما انشرحت به صدور. واستراحت إليه جماهير سعى هؤلاء وأولئك لفضّ الأتباع عنه ولو بقوا على وثنيتهم القديمة! من أجل ذلك يقول القرآن الكريم منددا ومعاتبا:

«ياأهل الكتاب لم تصدُّون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء. وما الله بغافل عما تعملون»؟

وقد كانت هذه الضغائن وراء الحروب الصليبية في العصور الوسطى. وهى كذلك وراء الحروب الاستعمارية في العصر الحديث.

ولعل السيد جمال الدين الافغاني من أوائل الذين كشفوا هذه النيات السوداء يقول: لوثروب ستودارد إن خلاصة تعليم جمال الدين تنحصر في أن الغرب مناهض للشرق. وأن الروح الصليبية لم تبرح كامنة في الصدور كما كانت متأججة في قلب بطرس الناسك. ولم يزل التعصب كامنا في عناصرها. والغرب لايزال يحاول بكل الوسائل القضاء على أية حركة يحاول بها المسلمون إصلاح أمورهم» نقول: وقد انضمت الشيوعية الى الصليبية في اعتراض الصحوة الاسلامية ومؤازرة الغزو الثقافي

وسد الطرق كلها في وجوه المؤمنين الأحرار . فالخصوم يكثرون ولا يقلون . والساحة تتسع ولا تضيق ..

(ب) ولعل الهدف الأول للغزو الثقافي إصابة العلوم الدينية في مقاتلها بعد إسقاطها عن مكانتها التقليدية وترتبط بعلوم الدين علوم اللغة وفنون الأدب . فيجب أن تتضعضع هي الأخرى . ولما كان الاسلام عقيدة وشريعة وتربية وتقاليد . وكانت الثقافة المصاحبة لهذا كله متشعبة متكاثرة . فان الاستعمار قدر لتدمير هذه الثقافة أمداً يتراوح بين نصف قرن . وقرن كامل .

وهو يستطيع خلال هذا الأمد المتطاول خلق جيل زاهد في الانتماء لدينه غير متحمس له ولا حريص عليه . يهاب الأديان الأخرى ولا يهاب عقيدته ، ويفضل الألسنة الأخرى ويستهين بلغته ، ويكرم زعماء العالم قديماً وحديثاً . أما رجالات الاسلام فليسوا أهلاً لاكترائه . وربما نال منهم وأزرى عليهم ! !

ولنعترف بأن أعداداً من المرتدين سقطت في هذه الفخاخ . فقد تسمع من يطلب ترك الصلاة أو الصيام حتى لا يضعف الانتاج ! وقد تسمع من يشغب علانية على شرائع الحدود والقصاص ! وقد تسمع من يرفض الولاء للدين ويقدم عليه الانتماء القومي أو الوطني ! وقد تسمع من يدعو الى العلمانية ! أو من يرى المخادنة أحسن من الزواج ..

وكان يستحيل أمس أن تقبل الجماهير معشار هذا الزيغ بيد أن الغزاة الدهاة عرضوها للسنين العجاف والأزمات العضوض فجرت تلهث وراء لقمة الخبز . وقد يشغلونها بالملاهي والتسالي فيكون سماع أخبار الكرة أهم من أنباء المجاهدين في أفغانستان أو الفلبين ..

إن الغزو الثقافي نجح في جعل قيمة مكان قيمة ، واهتمام بدل اهتمام .

ومع ضياع المعرفة الدينية وسقوط رتبتها دخل الدين كله في محنة هائلة ، والحق يقال أن حماة الاسلام يقفون عند آخر خطوط الدفاع والمستقبل في كف القضاء ...

(ج) ذاك بالنسبة الى ثقافتنا التقليدية ! أما بالنسبة الى العلم العام الذي لا وطن له . فمعروف أن حصيلتنا منه كانت فوق الصفر بقليل . فلما احتل الغرب ديارنا أخذ يعطينا منه بقدر ما نعطي من أنفسنا ! العلم مدون بلغاته ، وحوله مزدهرة في ربوعه ، ومراحل التطبيق العملي والانتاج الصناعي تتم في معامله وتحت إشرافه . وقد ملأ البر والبحر والجو بتفوقه . فاذا رغبنا فلنذهب إليه ولنتجاوب


الشيخ محمد رشيد رضا


الشيخ محمد عبده

معه .. ! وإذا كان يضع لنا على الصنبور فان المحبس بين أصابعه إن شاء فتح وإن شاء أغلق ، ومن أبى فلا يلومن إلا نفسه .. !

وهكذا استطاع المنتصر أن يجر المسلمين وراءه . وأن يفرض عليهم صبغته ..

وعندما أتعمق هذه المرحلة من التاريخ الاسلامي . وأتساءل عما أصابنا . أجد الجواب العدل : لقد كنا للهزيمة أهلا . وما كان يمكن أن يقع إلا ما وقع بعد الخيانات العقلية والخلقية التي لفت حياتنا في الأعصار الأخيرة .

لقد تكاثرت أوزار التخلف المادي والأدبي على ظهر الأمة المسكينة حتى قصمته . ولم يكن ثم بصيص نور يومض بهداية أو نصفة أو مرحمة . كان الحاكم الجائر يثبت في منصبه فيقال في تسويغ وجوده : قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ... أما أن المناصب أمانات . وأن ملأها يتم بالاختيار النزيه فذاك حديث لا يخطر ببال .

وكان من يقدر على انتهاب ثروة ضخمة يأخذها في صمت . أو تتطلع الأنظار إليه بوجل . فاذا تجرأ امرؤ فذكر حدود الحلال والحرام قيل له : صه ! ! « إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .. وصاح شاعر « مؤمن » يقول :

ملك الملوك إذا وهب
لا تسألن عن السبب
الله يعطي من يشا
فقف على حد الأدب

ونشأ عن استقرار هذا الفكر تسليم بالحظوظ العمياء والتفاوت الظالم . وعد ذلك هو الوضع الطبيعي . لما جاء على أصله لا يسأل عن علته ! أما التساؤل : من أين لك هذا ؟ سواء كان هذا مالاً أو حكماً . فانه سؤال مردود على صاحبه . وقد يكون سبباً في اخترام أجله .

إن المعرفة الدينية في ميداني الحكم والمال لم تكن تنبع من كتاب الله وسنة رسوله وتقاليد الخلافة الراشدة . بل كانت تنبع من طبائع الأثرة والهوى التي استفحلت في الشرق الاسلامي . وكانت لها ظلال كثيبة خلال قرون طويلة ..

وكانت هذه اللوثة موجودة كذلك في الغرب الصليبي . فقد حدث حوار بين قيصر روسيا وجمال الدين الأفغاني . سأله أولاً عن آرائه في الشرق ثم

سأله عن سبب خلافه مع الشاه.

قال جمال الدين : إنها الحكومة الشورية أدعو إليها ولا براها. !

قال القيصر : الحق مع الشاه إذ كيف يرضى ملك أن يتحكم فيه فلاحو مملكته ؟

قال جمال الدين : أعتقد يا جلالة القيصر أنه خير للملك أن تكون الألوف المؤلفة من رعاياه أصدقاء له بدل أن يكونوا أعداء يتربصون به الدوائر !

فلم يعجب القيصر هذا الحديث . وغادر المجلس علامة الإذن لجمال الدين أن ينصرف...

لكن أقطار الغرب لم يطل صبرها على هذا الغرور . فقامت في القرن السابع عشر ثورة في انجلترا أطاحت بملك من طراز القيصر . وتبعتها فرنسا في القرن الثامن عشر . أما روسيا نفسها فان القيصرية طاحت فيها أوائل القرن العشرين..!

وجمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا كانوا ينصرون الاسلام حين يذكرون بالشورى . وكانوا يستمدون من تعاليمه لإصلاح ما ساد عصرهم من اعوجاج . بل لقد كانوا يعالنون بسلفيتهم إذ أن السلفية فيما يعلم أولو الألباب شيء آخر فوق احفاء الشوارب !

إن الاسلام يضيره أشد الضير أن تختص أرضه وحدها بأجرأ الناس على اغتيال المال العام والخاص . وأجرأ الناس على تدويخ الشعوب وإذلال من أعز الله وإعزاز من أذل الله !!!

وسيقال : طبيعة نظمه أوحت بذلك او سكتت عليه . وهذه في نظري أقبح فرية بعد الشرك بالله...

وهناك سبب آخر أعان الغزو الثقافي على النجاح هو مد خيمة الغيبيات لتشمل مساحات واسعة من عالم الشهادة حتى كأن الدين حارس طبيعي للطلسمات والخرافات . أو كأنه خصم لدود للمنطق العلمي ! وقد شاع هذا المسلك في مقولات شتى..

كنت أقرأ كتاباً عن مطالع الأهلة وأوقات الصلوات لفقيه مالكي . فمررت بقضية أثارها المؤلف : رجل صلى الظهر في مكة . وكان من أهل الخطوة (!) أي ينتقل بين الأجواء بسرعة البرق .

قال المؤلف : فوثب بعد صلاته الى طرابلس — في ليبيا — والظهر لما يؤذن له بعد هناك . هل يعيد الصلاة ؟ أم تكفيه صلاته الأولى ؟

وليس يعنيني أن يكون هذا الكلام حقاً أم باطلاً . انما الذي يعنيني أنك إذا أنكرت هذه القصة يقول لك شخص هائج : ماذا ؟ أتنكر القدرة الالهية ؟ إن هذا كفر !!

ومنعاً من الوقوع في الكفر أثبت الأحناف النسب بين مشرقي تزوج مغربية . ولم تتيسر له وسيلة انتقال معتادة . ومع ذلك أنجبت ! إن الولد ينسب إليه . فقد يكون من أهل الخطوة . طرقها وعاد قاطعاً ألوف الأميال في ساعة من نهار !!

وهذا الخيال أو الخبال يرجع إلى مسألة كلامية . هل العلاقة بين السبب والمسبب عقلية أم عادية ؟ ولمسائل علم الكلام الخرافات معقدة في مسالك أمتنا ومعارفها..

وينضم الى ذلك ما يعتبر تلاعباً بالألفاظ وتبادلاً للتهم . فالمسلمون مجمعون على أن الانسان مسئول عن أفعاله . لكن هذا المعنى البديه صيغ في عبارة نابية . ابتدعها المعتزلة ابتداعاً هي : الانسان خالق أفعاله ! والفلاح المسئول عن زرعه لا يقال فيه خالق زرعه ! والبناء الذي شاد قصراً لا يقال عنه خالق القصر ! وكان ممكن أن تهجر هذه الصيغة الى صيغة أكيس وألطف !

لكن سرعان ما احتدمت معركة رهيبة ظلت عدة قرون تمسك فيها أهل السنة بأن الله خالق الأفعال الجبرية والاختيارية.

وخرج العوام من المعركة وهم يرون ألا قدرة لهم ولا إرادة ولا حول ولا قوة... !! وكان هذا التلاعب بالألفاظ من وراء تضليل أجيال غفيرة . وتمويت أمة كبيرة..

وقد بذلت مدرسة المنار جهوداً متصلة لتصحيح المعرفة الدينية . فحاربت التقليد المذهبي الجامد كما حاربت الأحاديث الضعيفة وضبطت داخل الهداية القرآنية الأحاديث الصحاح . وطاردت قضايا كلامية وتضليلات سياسية.. واستطاع محمد رشيد رضا أن يسوق توجيهات محمد عبده وسط حشد من الآثار المحررة..

بيد أن قوى شريرة من الداخل والخارج اعترضت هذا الخير الدافق.

ومن هنا قدر الغزو الثقافي على بلبلة الجماعة الاسلامية وتبديد طاقاتها في غير طائل . فان كثيراً ممن أحب الاسلام وحن الى العودة اليه قدم الاسلام أو قُدِّم اليه الاسلام جملة معارف من عهود الاضمحلال ومن أيام الهزائم الفكرية والخلقية لأمتنا خلال مسارها الطويل . فلم يستطع معالجة الانحراف في دنيا المال والحكم ! إلاَّ بالعظات..

وضم العالم الاسلامي في أرجائه الرحبة أبخل أغنياء وأخبث ساسة . وسكت رجال العلم الديني التقليديون ! ترى ما أسكتهم ؟ ليس لديهم ما يقولون ليسدوا الطريق أمام التحدي الثقافي القادم من الخارج.

ودعك من ميادين الاقتصاد والسياسة ومن عالم الانتاج والادارة وتحريك الحياة والأحياء ! ولنذهب الى المحاريب وتزكية النفوس وترقيق القلوب وبناء الأخلاق وتوفير الباقيات الصالحات.. إنني بعد تأمل طويل وجدت ثروتنا من المعاني الغالية قليلة . وزادنا غير كاف لمغالبة حضارة ساحرة الاغراء كثيرة الأحابيل

فما العمل ؟

العمل إعادة النظر في ثقافتنا كلها . أعني ثقافتنا الذاتية لننبذ منها ما ليس له رصيد من هداية الله.. وإعادة النظر في العلوم الكونية والانسانية التي تموج بها الأرض لنقتبس منها ما نحتاج إليه على عجل.

ولذلك تفصيل ومنهاج..

في الانسان غرائز دنيا تشده الى تحت ! وفيه خصائص كريمة تدفعه الى فوق ! فاذا كانت هذه الخصائص أشد قوة ذهبت بالانسان صعداً الى آفاق الحق والخير والجمال.. وان كانت مساوية لغرائزها ذهب السالب في الموجب وبقي المرء موضعه.. وان كانت أضعف منها أخلد الى الأرض واتبع هواه . فلم تره إلا مبطلاً شريراً دميم الروح !

والذي أقصده أن تحصيل الكمال يحتاج الى معاناة علمية وخلقية.. فالكريم لن يكون كريماً إلا إذا قهر نوازع الشح . والشجاع لا يكون شجاعاً إلا إذا هزم بواعث الخوف..

والاسلام الذي ننتمي اليه سمع وطاعة لله تباركت أسماؤه . ولا بد أن يعتمد على معرفة شديدة الوضوح . وخضوع لا يتخلف في موطن . واستجابة عاجلة لكل نداء..

ولا يتم شيء من هذا إلا إذا كانت المشاعر جياشة . والبواعث حية . والنفس مكتملة القوى في إرضاء الله.

وأي منصف يتدبر القرآن الكريم في طول السور وعرضها يشعر بأن الايمان الذي يصنعه هو إيمان الرغبة والرهبة . والتبتل والتوكل . والصبر والشكر . والاستناد الى الله والاستمداد منه . والحب والبغض فيه والسلام أو الحرب من أجله... إيمان يغمر

المحاريب بالخشية والميادين بالجرأة ويتحرك دون توقف لإحقاق الحق وإبطال الباطل . وسوق الحياة وما فيها لإعلاء كلمة الله .

وكان المفروض في ثقافتنا الذاتية أن علمي الكلام والتصوف يشرفان على هذا الجانب ، ويقومان بتصوير العقائد . وتأسيس العناصر التي تجعل الإيمان يخالط القلوب ويوجه النفوس .

بيد أن ملابسات شتى أحاطت بهذين العلمين . فإذا إثمهما أكبر من نفعهما ! فماذا صنعنا لنصلح مسارهما ووجهتهما ؟ إن الإيمان النظري قليل الجدوى وإن صحت أدلته ! والعاطفة الحارة قليلة القيمة إذا جانبها الفكر الراشد والرأي الصحيح . !

ولكي نبني أجيالاً صالحة يجب أن نقدم من تراثنا الغني ما ينشئ يقيناً ناضجاً . وسريرة ناضرة ، وربانية تتعامل مع الدنيا بذكاء وترفع . لا ببهم وضراعة !

رأيت ناساً يرنون الى أحد الحكام الخونة . فقلت : أعوذ بالله من الخذلان . إنهم يرنون الى حظوظ الدنيا عند هؤلاء . ولو كانوا يؤمنون بالآخرة ما عرفوا لهم باباً ..

ورأيت ناساً أصدروا فتاوي سيئة . ودافعوا عنها بقوة ! كان الدفاع عن المنصب وراء جدالهم الطويل عن هذه الفتاوي .. !

ألا فلنعلم خبايا هذه المواقف ، يوم تكون صلة امرئ بالمال والجاه كصلة الوثني القديم باللات والعزى . لأن الله ليس في قلبه . إن في قلبه شيئاً آخر !

أي إسلام هذا ؟

إن الجانب الألهي في الاسلام والجانب العاطفي في الاسلام ينبغي أن تعاد دراستهما على ضوء من الكتاب والسنة . وأظن الذين حاربوا علم الكلام والتصوف ذكروا بدائل حسنة لما عدوه خطأ في هذين العلمين . فهل درسنا هذه البدائل ؟ إن جمهوراً كبيراً من المنتمين الى السلفية لا يعرف ما كتبه ابن القيم في « مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين » ولا ما كتبه في « طريق الهجرتين » ولعله يحسب هذه الكتابات من هناته(!)وما هذا الحسبان إلا من فرط الجلافة وغلظ الحجاب ..

والحق أن الإيمان المقبول عند الله هو إيمان المحبة والتفويض ، والركون الى الله لا الى الظالمين . والأنس بالله لا بالمكانة الشعبية والتفاف الجماهير..

وقد نرى ثروة معجبة من هذه المعاني في تركة المتصوفين يمكن انتقاؤها بعناية . واطراح ما عداها من بدع .

ولنؤكد هنا أن التصوف المقبول — إن صح التعبير — تربية دقيقة قبل أن يكون سعة علم ، وإنما أخذ على القوم أمران . أحدهما الغلو والجهل بأحكام كثيرة دينية وانسانية . والثاني اعتبارهم مراحل الطريق أو درجات الترقي صفة لفرقة متميزة من المسلمين تنعزل بها عن العامة وتنفرد بأحوال خاصة . وهذا باطل !

فنحن المسلمين أساسنا الأول كتاب الله ، وللإيمان في كتاب الله خصائص تعد مثلاً علياً لكل من يقرؤه . هذه الخصائص من شهود ومراقبة وتهيب تتكون في ساحات الحياة لا في أجواف الصوامع : وتدبر هذه الآيات : « لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » « من الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله » « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله » « إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده » « ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا » « إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم .. » الخ الخ

إن المشاعر النابضة بالحياة ، المشاركة في معاركها . الهاجمة مع أمواج المدّ أو المتراجعة مع أمواج الجزر ! هذه المشاعر هي أجزاء الإيمان عندنا . فليس الإيمان أنفاسا باردة وخيالات طائرة .

وإذا لم نصنع العلوم التي تقيم هذا الإيمان وترفع قواعده فنحن نخون الإسلام . إننا نصنع هذه الثقافة لا لنطلقها بين ظهرانينا وحسب . بل لنصدّرها إلى العالمين كي يعرفوا : من نحن ، وبماذا ندين . أليست هذه وظيفتنا ؟ إنها رسالة أمتنا التي ينبغي أن تعرف بها شرقا وغربا ..

والصلوات وغيرها من فروض إنما تقدَّر وتقبل بقدر ماتحوى من هذه المعاني . وبقدر ماينشا عنها من أخلاق زاكية . وبعد عن الدنايا ..

والأمم لا تنجح في أداء رسالاتها إلا اذا كانت لها قدرات مادية مساندة . وحكم الوسائل هنا هو حكم الغايات نفسها . فما لايتم الواجب إلا به فهو واجب ..

إذا اعتمد المؤمنون في تحصيل الرغيف على عون الملاحدة أمكنهم هذا العجز من تبليغ رسالتهم ؟

إذا انتظر المسلمون أمداد السلاح من غيرهم أمكنهم ذلك من الجهاد في سبيل ربهم ؟

إن دولة أسرائيل برعت في صناعة الأسلحة ، ولها في هذا الميدان تجارة عالمية (!) فماذا عند العرب ؟

وأشعر — وأنا أكتب هذه السطور — بالقهر والشتات لا لفراغ بلادنا من المصانع المخوفة ، بل لأن اليهود يستعدون لانتخابات جديدة . وتوجد بلاد إسلامية تستعد هي الأخرى لانتخابات مماثلة .

قلت في نفسي : منذ نشأت دولة اسرائيل ما زورت فيها انتخابات قط .. !

أما نحن فأبناء بجدتها في صنع النتائج التي يعرفها العالم...

فلأدع هذا الاستطراد . ولأعد الى الوسائل التي لابد منها لأداء رسالتنا ..

إن الاسلام أنبأنا بأننا أعلم بشئون دنيانا ، وشئون الدنيا العلمية والعملية تتنافس الآن في تجويدها خمسون ومائة دولة . كل دولة تبذل وسعها لتتقدم وتسبق ، وتدعم وجودها المادي والأدبي ..

والوحي الألهي لا صلة له بالمعادلات الجبرية . ولا بالكشوف الكونية ! هذا موكول الى جهود البشر ، ومدى ذكائهم ونشاطهم . والسباق اليوم رهيب بين فرعي الحضارة الحديثة الشيوعي والصليبي للسيطرة على زمام الحياة الأرضية ...

كلاهما يريد دعم نفسه ومبادئه بما ملكت يداه من علم وتطبيق !

هل للمسلمين وجود في هذه الميادين ؟ أين اختفوا مع أن آباءهم قادوا الحياة البشرية دهراً ؟ وبماذا يشتغلون ؟ الواقع أن هناك خطأ أساسياً في إسلوب تفكيرنا وعبادتنا لربنا . لأننا لم نعط القدرة المدنية والعسكرية وزنها الصحيح !

أغلب العابدين يرجحون نافلة في مجال العبادات المحضة ، على درس علمي أو إبتكار صناعي . وربما ظن تلاوة ورد أرضى لله من اختراع آلة . أو صون جهاز ، أو إحكام إدارة ، أو تدبير سياسة .. !

إن التحدي الثقافي يمتد في هذا الفراغ العقلي والديني عندنا . وربما أعانه هذا على استئصال شأفتنا ، والقضاء على رسالتنا .

وعندي أن مطاردة الفقهاء والدعاة الذي يصنعون هذا الفراغ أهم من مطاردة تجار المخدرات ،

وباعة الخمور . واذا لم ننقذ مستقبلنا الحضاري من هؤلاء الناس قضوا علينا يقيناً ..

ولا ينبغي أن نستحي من أن نكون تلامذة لمن سبقونا . وان نتواضع لهم حتى نعرف ما لديهم . ونحسن رتق فتوقنا ..

لكن المأساة المثيرة للبكاء أننا نرسل طلاباً ليكملوا نقصنا في هذه الناحية . فاذا الذاهب الى موسكو يعود بفكر ماركسي . والذاهب الى واشنطن يعود بفكر انحلالي تبشيري .. والعلم النافع القليل الذي حصل عليه سرعان ما يتبخر ، ولا نجد أثراً أو أثراً ضرُّهُ أكثر من نفعه ...

والمرء إذا وهي دينه يقاد من بطنه وفرجه أكثر من عقله وضميره . وتلك حال مبعوثين كثيرين ...

إن فقرنا العلمي والصناعي شديد . ونحن أحوج أهل الأرض لنجدات تستبقي حياتنا وإيماننا . فهل يسعفنا شبابنا في هذه الميادين .؟

ومع استيراد العلم الذي لا وطن له . نحتاج كذلك الى استيراد الوسائل التي لا وطن لها .. إن الارتقاء البشري في العالم جعل الأدارة فنا رفيع الأداء ! ومكن الاخصائيين ــ بحسن النظام ــ أن يختصروا أوقاتاوأعمالاً كثيرة . وأن ينجزوا في ساعات ما ننجزه نحن في أيام ! وأن يضبطوا مفاهيم كانت رجراجة . ويبتوا في قضايا كانت معلقة ...

ولأزد هذا الموضوع جلاء حتي لا يكون نقل الوسائل ذريعة الى نقل الاهداف ..

إنني أومن بالشورى . وأزدري الاستبداد السياسي من أعماق قلبي . وأرد إليه أغلب هزائم أمتنا خلال تاريخها ..

وأرمق الديمقراطية الغربية فاحسد أصحابها على مناقشة الآراء بحرية . وعلى استكانة الحكام للحق . وعلى اعتزاز الأفراد بكراماتهم .. وكنت أهمس الى نفسي : أما يجيء يوم يظفر فيه المسلمون بمثل هذه النعمة ؟

بيد أنني مسلم . لا يتقدم شيء أبداً على ولائي لله . وقد تابعت مناقشات مجلس العموم البريطاني في مسألة إلغاء عقوبة الاعدام . ورأيت كيف حاولت رئيسة الوزراء الاقتصاص من القتلة . وكيف خذلها أغلب أعضاء المجلس . وأصروا على إلغاء عقوبة الاعدام .

قلت : هذا هو الفرق بين الشورى عندنا وبين الشورى عندهم ! نحن نرى أنه لا اجتهاد مع النص . ولا شورى مع كلام الله ورسوله . وهؤلاء ساء ظنهم بالدين كله . وقرروا البحث بعقولهم عن مصالحهم .. وكفر الغربيين بالدين يرجع إلى أسباب نابعة من البيئة لديهم لانشرحها هنا ..

وإنما أحذِّر من عصابة تجحد الشورى وترفض كل الضمانات التي استحدثها العالم الحرّ ــ كما يتسمّى ! ــ وتجعل الاقتباس من الديمقراطيات الغربية كفرا أو دونه الكفر !! وحجتها أنها تجعل السلطة للشعب ولا تقفها أحكام الله !

وهذه المحاذير كلها تنتي مع أى دستور ينص على أن الإسلام دين الدوله . إذ يستحيل معه الخروج على شيء من كتاب الله وسنة رسوله ..

إن المهم هو تقليم أظافر الفرد الطاغية . واختفاء الصورة المسحة المأخوذة للحكم الديني . صورة انسان يحيه شاعر ملق . فيقول : أعطوه مائة الف درهم !

مائة ألف من عرق الكادحين تمر كلب مزخرف !!

فإذا تقدم أحد بنصح . أو ضبط متلبسا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ! قيل : اضربوا عنقه ! فإذا هو قصة تروى .!

بديه أن هذا ليس سيرة الخلافة الراشدة . فأين هذه الخلافة ؟ ولماذا لاتحتاط الأمم لنفسها ضد الطواغيت في وثائق مفصّلة مضبوطة ؟ ؟

ومراقبة المال الخاص والعام في دورته الاجتماعية ! أليست عملا صالحا تفرضه أحكام الحلال والحرام ؟ أيضيق الإسلام بهذه الرقابة ؟

يقول مصطفي صادق الرافعي ــ وهو كاتب مسلم معروف ــ إن الله خلق الأرض وقدّر فيها أقواتها . ولكن غنيا واحدا ينفق في لذة يوم قوت مدينة ! وحمار واحدلا يأكل الأرض ليجيع بقية الحمير . ولكن بعض الأغنياء يفعل ذلك ... !!

هل الإسلام يحمى تلك الفوضي ؟ ويرى الضائقين بها خارجين عليه ؟

فإذا كانت مجتمعات الغرب قد وضعت قوانين وتقاليد تنظم مسيرة المال في المجتمع . فلماذا لانقتبسها ؟

والاقتباس كما قلنا آنفا لايقبل بتاتا إذا خالف نصا في كتاب أو سنة ..

ومن التحديات الثقافية الحملة على موقف الإسلام من المرأة . واتهامه باحتقار الأنوثة وانتقاص حقوقها ! والواقع أننا أعنّا على استمرار هذه الحملة . بل على نجاحها في بعض الأحيان ..!

فلدينا علماءيختارون في معاملة النساء أعسر الفتاوى وأردأ الأقوال . وتتملكهم حمَّى إذا ذُكرتْ للمرأة حقوق . أو مُحيتْ بعض التقاليد التي تحرجها ..

ومعرفة هؤلاء بالإسلام ضحلة أو مشوهة . أو مكذوبة ! ومع ذلك فقد أستطاعوا من قرون الا تذهب المرأة الى مسجد أو مدرسة ! وحكموا ألا ترى أحدا ولايراها أحد ! ورأوا أن تورث ولا ترث . وأن يختارها من يريد زوجة له ولا تختار هي أحدا ..

وبعد الهزائم الشاملة التي أصابت العالم الأسلاميّ أجمع في كل ميدان . شرع أولو الألباب يعودون بأمتهم ورويدا رويدا إلى تعاليم الإسلام في عهده الأول . وهى تعاليم عادلة وفاضلة . غير أن الجهل المستشرى يضع أمامها عوائق كثيرة .

وكما وجد من يحارب الشورى ودساتيرها الدقيقة وجد من يرى النقاب الركن السادس في الأسلام . ومع هذا النقاب المضروب تنكمش إنسانية المرأة وتذوى قدراتها الأدبية ونشاطها الذى قرره الإسلام من قديم ..

وكأني أسمع من يقول : تريد انحلال الغرب . وضياع شرفه ..

وهذا افتراء ! فإن الغرب موغل في الآثام التي يأباها كل عاقل ..

والانحراف المأخوذ على الغرب ليس أسوأ من الانحراف الذى ينشدونه هم ! إن الغرب يميل عن الصراط المستقيم ثلاثين درجة إلى اليسار . وهم يميلون عنه ثلاثين درجة إلى اليمين والعوج الواقع لايخففه أن يكون هنا أو هنا . إنه بعدٌ عن هدايات الله على أية حال ..

ولكى ألقى كل تحدٍّ ثقافي وأنا راسخ القدم أحبُّ أن أعرف ديني من مصادره السماوية لا من تقاليد الأجناس المختلفة . وأن أفرق بين اليقينيات والظنيات . وأن أدرس التاريخ الفقهى والسياسي دراسة اعتبار واستفادة تحميني من التورط فيما تورط فيه قوم آخرون ..

محمد الغزالى

استطاع الإنسان أن يغزو القمر ، ولكنه مازال عاجزاً عن مواجهة مشاكله فوق الأرض ، وعلى رأسها مشكلة : الجوع

غزو الفضاء وفقر الإنسان

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

غريب حقا امر انسان القرن العشرين . فهذا الانسان الذي مشي على سطح القمر . وسار في الفضاء ما زال عاجزا عن مواجهة مشاكله الاساسية على الارض . وفي الوقت الذي كانت الولايات المتحدة تعلن بفخر عن نجاح رواد مركبة الفضاء «تشالنجر» في مهمة اصلاح قمر صناعي خرج عن مداره . كانت احدى وعشرون دولة افريقية تواجه نتائج الجفاف . وتدعو العالم الى مساعدتها على نحو عاجل لمواجهة المجاعة بين سكانها .

وأتذكر مقالة كتبها الاستاذ توفيق الحكيم من حوالى ربع قرن يقول فيها ان حضارة الانسان على هذه الارض ما زالت في دورها البدائي . واننا اذا قارنا بين تاريخ الانسان من عصوره الاولى حتي اليوم لابد ان نصل الى ان الفترة التي بدأ يسيطر فيها على الحياة من حوله ويسخر مواردها لقضاء اغراضه ومصالحه وبالذات في العصر الصناعى هي فترة قصيرة للغاية مقارنة بالتاريخ الطويل الذي سبقها . والذي عاشه الانسان خاضعاً للطبيعة وليس مسيطراً عليها .

والنتيجة ان الحضارة الانسانية التي نراها اليوم والتي تحرز انتصارات وانجازات سريعة ومتلاحقة ما زالت تشغل حيزاً ضئيلا من تاريخ الانسان . وهي ليست سوى قشرة رقيقة من هذا التاريخ ولعلنا يجب ان نتذكر انه من ستين سنة فقط كانت مشكلة الطيران الرئيسية هي عبور المحيط الاطلنطي .

ونتيجة لسرعة التقدم العلمي والتكنولوجى فإنه لم يحدث تطور مماثل في النظم الاجتماعية . ولا في القيم التي تحكم علاقات الدول والشعوب . ومن ثم نجد أمامنا مفارقات تثير الاستغراب والاستنكار : فالدول الكبرى تنفق ملايين الدولارات على غزو الفضاء وعلى استكشاف قاع المحيطات في الوقت الذي تشهد فيه اعداد متزايدة من دول العالم الثالث تدهور اوضاعها الاقتصادية والمعيشية . ولعلنا نقف وقفة اليوم امام المشكلة الكبرى في حياة الملايين من البشر وهي قضية الفقر .

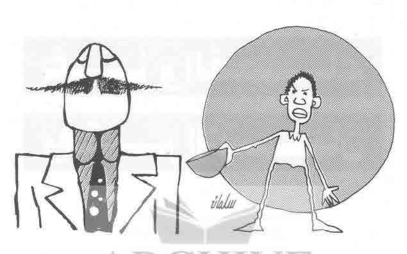
ما هو الفقر ؟

رغم قلة الكتب التي تتعرض لقضية الفقر مباشرة فإن هناك استثناءات هامة وضعت منها محوراً لكتاباتها مثل المجلدات الثلاثة للأستاذ السويدي جونار ميردال عن الفقر في آسيا . وبصفة عامة فان قضية الفقر هي صلب كل الدراسات التي تتحدث عن التنمية الاقتصادية مثلا وكل حديث عن التنمية والتغير الاجتماعي هو حديث عن كيفية القضاء على الفقر .

والفقر هو عجز الانسان عن الوفاء باحتياجاته الاساسية من غذاء وملبس ومسكن ورعاية صحية . ويفرق الباحثون بين مفهومين للفقر : الفقر المطلق . ويقصد به تردي دخل الانسان عن حد معين فيقال ان هناك خطاً للفقر . ومن هم دونه يعتبرون من الفقراء . ولكن ينتقد هذا المفهوم لعموميته ولانه لا يراعي اختلاف الاسعار والظروف بين مجتمع وآخر . والمفهوم الثاني هو الفقر النسبي . ويقصد به ان الفقر هو حالة نسبية تختلف من مجتمع لآخر حسب ظروف هذا المجتمع .

والأمر عندي ان كلاً من المفهومين صحيح . وهما يكملان بعضها البعض . ولا يصح طرح احدهما كبديل للآخر . فمن ناحية : هناك مفهوم مطلق للفقر يتمثل في عدم قدرة الانسان على توفير الحاجات الأساسية التي تمكنه من البقاء . وهذه الحاجات لا تختلف في حدها الادني - من مجتمع لآخر : وهناك مفهوم نسبي يرتبط بظروف كل مجتمع ويضيف الى هذا الحد الأدني . وإذا كان الفقر المطلق يتعلق بوجود الانسان ذاته وتعرضه لسوء التغذية أو الأمراض .

غـزو الفضـاء وفقـر الإنسـان



فإن الفقر النسبي يتعلق بالشعور بالحرمان والتفاوت بين الفئات في المجتمع .

وبصفة عامة فإن للفقر آثارا خطيرة على ضحاياه . فهو يشعرهم بالعجز عن مواجهة متطلبات الحياة ويجعلهم دائماً في موقف غير القادر . وهو يغرس الشعور بالاغتراب عن المجتمع وقيمه ونظمه . أو الشعور بالغضب عليه والرغبة في الانتقام منه . أو الاحساس بضرورة تغييره إلى أوضاع اكثر عدلا .

لماذا الفقر ؟

لمدة طويلة ساد في الفكر الاقتصادي والاجتماعي الرأسمالي الغربي ان الفقراء مسئولون عن فقرهم ، ووفقا لهذا الرأي فإن الفقير هو انسان محدود القدرات الفنية أو التعليمية . وان ذلك مرجعه الى العجز أو الكسل او عدم القدرة . وذهب البعض بهذا الرأي وطبقوه على العلاقات بين الشعوب والمجتمعات . ومن ثم فسّروا الاستعمار بأن هناك شعوبا أرقى وأسمى حضارة من شعوب اخرى ، وتحدثوا بصراحة عن رسالة الحضارة ونشر المدنية التي يقومون بها ، وفي اكثر اشكاله تطرفا فقد قال بعض انصار هذا الرأي بالتفوق العنصري لشعوب على اخرى . وعموماً لم يعد هناك من يدافع عن مثل هذه الآراء صراحة .

ولكن ظهرت آراء اخرى ذات طابع تبسيطي وتجزيئي تربط بين الفقر وقضية التدريب ونقص المهارات . أو بينه وبين غياب التعلم . ويعيب هذه النظرة غياب التصور الشامل . فإن كانت قضية الفقر هي مسألة تعليم او تدريب . فإن الحل يكمن في برامج التدريب المكثفة ، وان كانت القضيه هي مستويات الأجور . فمن الممكن المطالبة برفعها ، وإن كانت هي البطالة . فمن الممكن المطالبة بالتأمينات الاجتماعية والنقابية .

وفي الحقيقة ان كل هذه الأمور هي مظاهر ونتائج تتعلق بكيفية « توزيع الفقر » . ولا تجيب على سؤال : « لماذا الفقر ذاته » ؟ ولا يمكن في تصورنا الاجابة على هذا السؤال دون مناقشة الهيكل الاجتماعي السائد في المجتمع . ونظام توزيع الثروة والسلطة . وسلم الاولويات الاجتماعية . فقضية الفقر هي قضية التنظيم الاجتماعي ذاته . والفقر ليس قضية فردية . وهو ليس نتاج إخفاق فردي ولكنه حقيقة جماعية تفرض ظلالها على حياة الملايين من البشر . وهو افراز للتنظيم الاجتماعي والاقتصادي لمجتمعاتهم ولعلاقة هذه المجتمعات بالدول الصناعية المتقدمة .

آثار الفقر

والفقر ليس مجرد حقيقة اقتصادية وحسب . بل ان حلقة الفقر الخبيثة تحاصر الانسان في كل مقومات حياته المادية والنفسية وتؤثر على سلوكه . فالفقر المادي يؤدي الى عدم الاستمرار في التعليم . وإلى رعاية صحية سيئة . وإلى زيادة عدد الفقراء جيلاً بعد جيل . وهكذا تتواصل حلقات الدخل المحدود والأمية والمرض والبطالة ونقص المهارات .

والفقر هو قنبلة موقوتة يمكن ان تنفجر في اي وقت . والعامل المحدد لهذا الانفجار هو درجة الوعي . ويمكن طرح العلاقة بين الفقر والوعي في شكل معادلتين :

المعادلة الاولى هي : الفقر − الوعي = اغتراب
والمعادلة الثانية هي : الفقر + الوعي = الثورة

ويتحدث علماء الانثروبولوجيا (علم الانسان) . الذين يركزون في دراساتهم على الجماعات الصغيرة كالقبيلة او الاسرة عن ثقافة الفقر وعن وجود قيم وانماط وسلوك ترتبط بحياة الفقر . في ظل الفقر

وانشغال رب الأسرة تقريبا بالعمل للحفاظ على دخله المحدود . فان الدور الأكبر في الأسرة تقوم به المرأة عادة .

ويتسم مجتمع الفقر بالازدحام في السكن . وانعدام الخصوصية تقريباً .. وبضعف القدرات التنظيمية وتكوين الجماعات للدفاع عن حقوق الفقراء بسبب الانصراف الى العمل . وهو ما يؤدي إلى ضعف القدرة السياسية للفقراء لغياب أو ضعف تنظيماتهم .

ان ثقافة الفقر هي ثقافة الحرمان . وهي ثقافة الشعور الدائم بالحاجة الى الإشباع . وبالعجز المستمر عن تحقيق ذلك . وفي غياب الوعي السياسي فهي ثقافة تدعم الشعور بالقدرية وبالعجز وباليأس وبالحاجة الى الهروب إلى عالم آخر مثل عالم المخدرات . او عالم الجنس . والشعور بالانتصار في صورة الماشيزمو الموجودة في امريكا اللاتينية . او عالم الشعوذة والخرافات .

من الفقر الى الجوع

والحديث عن الفقر ليس حديثاً نظرياً : ففي عالم اليوم ومن بين ١٥٠ دولة . فإن ٣٠ منها فقط تدخل في عداد الدول المتقدمة . يشكل مواطنوها ٢٨٪ من عدد سكان العالم ويستهلكون ٧٥٪ من إجمالي استهلاك العالم من الطاقة والموارد . وبحلول العام ٢٠٠٠ فإن نسبة هؤلاء سوف تنخفض إلى ٢٠٪ نتيجة التزايد السكاني في العالم الفقير . في مقابل هذا يوجد حوالي بليون من البشر أي ربع سكان العالم تقريباً يعانون من الجوع وسوء التغذية . ويوجد ٧٠٠ مليون من الأميين . ويزداد اعتماد الدول الفقيرة في غذائها وقمحها على الدول الغنية . وتتراكم ديونها عاما بعد عام .

ويتمثل هذا الفقر في أوضح صوره في افريقيا التي تحتل ٢٠٪ من مساحة العالم . ويمثل سكانها ١٠٪ من عدده . ولكنها لا تسهم إلا بنسبة ٢.٧٪ من اجمالي الانتاج والخدمات . وفي عام ١٩٨١ قدر عدد الذين يواجهون مشاكل نقص الغذاء في افريقيا بعدد ١٥٠ مليون . مع متوسط للدخل الفردي في حدود ٤٠٠ دولار . ومعدلات تضخم تصل الى ٢١٪ . وبطالة تصل الى ٤٥٪ ليس من الغريب أن يكون معدل موت الأطفال هو ١٣٧ إلى ١٠٠٠ . وأن ١١٪ فقط من الأطفال الذين بلغوا سن التعليم يلتحقون بالمدارس. ويضاعف من حالة الفقر ظروف الحرب في أكثر من مكان (مثل القرن الافريقي بين الحبشة والصومال . وبين الحبشة وارتريا . وفي الجنوب الافريقي حول اتحاد جنوب افريقيا وناميبيا وفي داخل انجولا) وفساد الحكام والحكومات . ونقص الأمطار والجفاف الذي تواجهه دول شرق افريقيا منذ عام ١٩٨٠ . وفي هذا السياق . فان الخطر الأكبر على الأمن والاستقرار في معظم البلاد الافريقية هو الفقر وسوء التغذية . وان استمرار هذه الأوضاع سوف يقود إلى الانفجارات واعمال العنف مع نهاية القرن

مع عام ٢٠٠٠ سوف يقدر عدد سكان افريقيا بحوالي ٨٠٠ مليون . وستصل نسبة الأميين منهم الى ٦٠٪ وسيشكلون اكبر تجمع للأميين في العالم . وبينما كانت افريقيا تنتج ٩٥٪ من غذائها عند الاستقلال من ربع قرن مضي . فوفقاً لتقدير المنظمة العالمية للغذاء واخذا في الاعتبار لاتجاهات الزيادة السكانية وانتاج الطعام الحالية فإن ٥٠٪ من الغذاء سوف يتوجب استيراده من الخارج . وتزداد المفارقة والدهشة عندما تعلم ان ٢٧٪ فقط من الاراضي الصالحة للزراعة هي التي يتم استغلالها . وان افريقيا تنتج اليوم أقل من ١٪ من الناتج الزراعي المحتمل والذي تؤهلها مواردها الزراعية لانتاجه .

ان هذا الوضع يعكس جانباً من تناقضات عالمنا المعاصر . فهذا الفقر المدقع يوجد في عالم يشهد ثورة علمية وتكنولوجية تفتح آفاقاً لا حدود لها للتطور . والمشكلة هي ليست فقط في زيادة انتاجية دول العالم الثالث – وبالذات افريقيا – ولكن ايضا في اعادة النظر في نمط توزيع الموارد على المستوى العالمي . واعادة النظر في الأبنية الاقتصادية والاجتماعية لهذه الدول .

وصحيح ان المعونة الخارجية . في شكل موارد وسلع وحبوب . تلعب دوراً هاما وحاسماً لمواجهة المجاعات مثلما يحدث في السنوات الثلاث الاخيرة . ولكنها بالتأكيد ليست حلاً . فهي تزيد من اعتماد الدول الفقيرة على الدول الغنية . بل – وهذا هو الأخطر – تسمح لحكام هذه الدول بالهروب من مواجهة المشاكل الحقيقية لبلادهم . وبالتعود على هذا الوضع . والحل الحقيقي هو تشجيع الزراعة وزيادة انتاج الحبوب . ولن يحدث ذلك دون النهوض بأوضاع الفلاحين . إذ ان أحد مشاكل استراتيجيات التنمية الاقتصادية في اغلب دول العالم الثالث هو انحيازها الى المدن وإلى الصناعة والخدمات على حساب الزراعة التي تنظر اليها على انها رمز للتخلف وللماضي الذي تريد تجاوزه والخلاص منه . وادى ذلك الى اهمال للاستثمار في مجال الزراعة وإلى تحول القرية إلى عنصر طرد للسكان الذين هاجروا إلى المدن . وإلى التدهور المتزايد في أوضاع الزراعة . وهو ما أدى إلى نقص الانتاجية والاعتماد على الخارج

وصحيح ان الوطن العربي في مجمله مازال بعيداً عن النموذج الذي تقدمه افريقيا (مع ان بعض الدول العربية مثل جيبوتي والصومال والسودان تواجه ظروفاً صعبة للغاية) ولكن اعتماده على استيراد الغذاء قد تزايد في الخمس عشرة سنة الأخيرة ..

ونحن نقرع الأجراس من الآن ونقول ان العالم كله على ابواب أزمة غذاء . وان الغذاء سيكون عنصراً حاسماً في تحديد مكانة ودور الدول المختلفة . وان العرب مازالوا ينتظرون ثورتهم الخضراء التي يمتلكون كل مقوماتها . ولكنهم يفتقدون حتي الآن القدرة على تعبئة وتنظيم هذه المقومات والادارة السياسية التي تدرك خطورة الموقف وتستعد لمشاكل الغد من الآن

فماذا ننتظر نحن العرب ؟

على الدين هلال

النطـــق والمـــال



بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

ما من متادب يحفظ شيئا من شعر المتنبي إلا وجد نفسه في ذات يوم يردد هذا البيت لأبي الطيب :

لا خَيْـلَ عنْـدكَ تُهْديهـا ولا مالُ
فليُسْعد النطـقُ انْ لمْ يُسعدِ الحـالُ

نردد هذا البيت ساخرين او معتذرين او مشتكين حسب الموقف والمقام ، معتبرين ان الكلمة المنطوق بها ادنى قيمة من المال ، وان الجود بها عطاء من لا قدرة له على غيرها .

ولاشك في ان هذا التقييم للكلمة صحيح في اكثر الاحيان . إلا ان ثمة احيانا اخرى تعدل فيها قيمة الكلمة قيمة المال المعدود ، وربما فضلت عليه . ويصح هذا حتى عند من يحسبون للمال حسابه ومن يدمنون الاكثار منه . فقد تكون حاجة واحد من هؤلاء في ظرف ما إلى كلمة طيبة ، او إلى جملة مؤثرة ، اشد من حاجته إلى مال يعطاه .

اقمت منذ سنين عديدة فترة طويلة في باريس ، كنت اتردد اثناءها في اخريات الليالي على مقهى صغير ، اسمه ادريين ، يقع قريبا من فندقي في حي مونبارناس . كان المقهى مفتوحا لرواده طيلة الليل ، وتلجا إليه زمر من الساهرين بعد انتهاء حفلات المسارح والملاهي ليتموا فيه ليل باريس الذي لا انقضاء له . اسم النادل الليلي لذلك الملهى نيكولا ، وهو كورسيكي الاصل . ولم اكن شخصيا من زبائن نيكولا المفضلين ، فقد كنت ارفض دوما انواع الاشربة الكحولية التي يقترحها علي ، واكتفي بزجاجة من الكولا او من عصير الفواكه ، وبذلك كان نصيبه من البخشيش مني اقل بكثير مما يغدقه عليه الرواد الآخرون .

جئت مرة بعد منتصف الليل إلي هذا المقهى وجلست في زاوية منه امارس هوايتي المحببة إلى نفسي ، وهي ملاحظة أصناف المترددين والمترددات عليه ، والاستماع إلى احاديثهم ، والتامل في تصرفاتهم بعين الفضولي الطلعة الذى يجد لذة في التعرف على كل ما يقع عليه بصره . وقف نيكولا على راسي ليسألني عما اشرب . كان الاجهاد باديا بوضوح على ملامحه . ولاغرو ، فقد كنت اعرف انه منذ الاصيل يدور كالمكوك بين البار وقبو الاشربة ومقاعد الزبائن الذين هم في تجدد دائم . إذ لا يتلبث واحدهمفي قاعة المقهى المزدحمة إلا ريثما يحتسي كاسه ثم يخرج إلى شوارع الحي الصاخبة تاركا مكانه إلى وافد جديد . قلت للنادل جوابا على سؤاله: كاس عصير .. ولكن ! قال : ماذا ؟ قلت : اردت ان اقول إنك متعب يا نيكولا .. لابد ان يومك كان شاقا !

الصحيح إني لم افطن إلى اللهجة التي قلت بها لنيكولا هذه الكلمات البسيطة . ولكني اذكر اني نطقت بها بحرارة ، وان إشفاقي على ملامحه المكدودة كان صادقا . ورأيته يعتمد بكفيه على المنضدة التي تفصل بيني وبينه ، بعد ان وضع عليها ما كان يحمله من صينية وكؤوس فارغة ، ثم يقول : مضت لي اعوام في هذا المقهى ولم اسمع من احد كلمة لطيفة كهذه التي قلتها لي منذ لحظة ... شكرا يا سيدي ، شكرا ... والتفت إلى فتاة كان مجلسها مع رفيقها يجاور مجلسي وقال لها وهو يشير إلى باصبعه : انظري يا انسة ... الا ترين معي انه اجمل فتى في باريس ؟

• • •

ضحكت يومها من عبارة نيكولا التي قالها بحماس . وبالطبع لم يبلغ بي الغرور ان اصدق فحواها فاعد نفسي من فتيان باريس المتصفين بالجمال ، ولكني كلما تذكرت هذه الواقعة عرفت ان كلمة مناسبة

في موضعها يمكن أن تعدل المال ، او ان تفوقه في بعض الأحيان . وقد اكدت لي هذا الذي اقوله حادثة صغيرة حدثت لي في اخر زيارة لي لمدينة عمان بينما كنت انتقل من المطار إلى فندقي في العاصمة الأردنية .

يبعد مطار عمان الجديد عن قلب المدينة مسافة تقارب الأربعين كيلو متراً . وفي هذه المسافة الطويلة كان لابد من ان يدور الحديث في امور شتى بيني وبين سائق سيارة التاكسي التي كنت راكبها الوحيد . سالني ذلك السائق عما إذا كنت ازور عمان لأول مرة ، قلت له طبعا لا ، فانا اتردد إليها بين عام واخر منذ عشرين سنة ، قال : إذن فانت ترى مثلي كيف تزداد عاصمة بلدنا اتساعا عاما بعد عام . قلت : كل مدن العالم اخذة في الاتساع .. في عمان مثلا اجـــد ان دواراتهـــا تزداد دواراً جديدا في كل عودة إليها في العامين والثلاثة . فامن السائق على كلامي وراح يشير إلى طلائع ابنية المدينة حين بلغناها واصفا لي فخامة الدور التي يتنافس الأثرياء على اشادتها في أطراف العاصمة . وهز راسه وهو يضيف قائلا : نعم ، يتنافسون في سعة القصور وتعداد غرفها ، واخرة ابن ادم إلى حفرة سعتها ذراع في ذراعين قد يجدها وقد لا يجدها . قلت له : الحق معك وفي التاريخ القديم حكاية بهذا المعنى لا ادري إذا كنت تعرفها . قال : تفضل واحكها لي . قلت : كان احد الخلفاء منفرداً بنفسه في ساعة القيلولة فطلب من حاجبه أن يدخل إليه من يجده بباب القصر ليبادله الحديث . ولم يكن على الباب في تلك الساعة غير شيخ فقير طلب إليه الحاجب ان يتبعه ، فتبعه هذا سائراً وراءه ومخترقا اروقة قصر الخلافة والأبهاء والغرف الكثيرة واحدة بعد واحدة حتى انتهى إلى القاعة التي كان يتصدرها الخليفة . قال له هذا حين وقعت عينه عليه : ما عندك لي يا شيخ ؟ فقال الرجل : يا أمير المؤمنين :

أما بيوتك في الدنيا فواسعة
فليت قبرك بعد الموت يتسع

فما كان من الخليفة عند سماع هذا إلا ان قبض على لحيته وانخرط في البكاء ...

اعجب السائق بحكايتي هذه ، او ببيت الشعر الذي انتهت به ، وراح يستعيد مني ذلك البيت المرة تلو المرة . بل إنه اخذ يردده كانه يريد حفظه ، هازاً راسه وهو يقول كالمحدث نفسه : «فليت قبرك بعد الموت يتسع !» . واستمر في ذلك حتى وقف بسيارته بي امام الفندق . ولما سالته عما هو مطلوب مني لقاء المشوار من المطار إلى الفندق قال : تعرفتنا يا سيدى ستة دنانير ونصف الدينار ، ولكني اكتفي منك بخمسة دنانير . ضحكت وقلت : ولماذا هذا التخفيض ؟ اهو ثمن بيت الشعر ؟ قال وهو يبتسم : نعم إنه بيت الشعر ، إنه يساوي اكثر من دينار ونصف يا سيدي !

● ● ●

وقد يخرس اللسان عن النطق احيانا إلا ان ثمة ملامح في سلوك بني البشر ، وفي تعاملهم فيما بينهم ، تثبت ان المال ليس كل شيء في العلاقات الانسانية ، وان تصرفا مناسبا في مناسبته قد يواسي او يرضي أو يسر عندما لا يتوفر المال أو يسعد الحال .

نزلت مرة في احدى رحلاتي المبعدة في مطار كاتماندو ، عاصمة مملكة النيبال ، في زيارتي لتلك المملكة على سفوح جبال هيمالايا ، احاطني ورفاقي عند مغادرتنا الطائرة جمع من الصبية وتزاحموا علينا وهم يمدون ايديهم إلينا بالسؤال في الحاح . لم نكن نملك شيئا من عملة ذلك البلد لنصرفهم عنا بقليل من النقود ، ولا كان ممكنا ان نرضيهم بكلمة مواساة طيبة او نقنعهم ببيت شعر بليغ . فما كان اولئك الصبية الشحاذون يفهمون حرفا واحدا من لغتنا العربية ، ولا من الفرنسية او الانكليزية اللتين نتكلمهما . كانوا يحاصروننا بايديهم الممدودة وبسيل من الكلام الذي لا نفقهه حتى اعاقونا عن اللحاق بالسيارات التي كانت في انتظارنا على باب المطار .

كان إلحاح اولئك الصغار علينا ، في ذلك البلد الفقير المتخلف ، مزعجا حقا . ولاحظت ان صبيا منهم ، دون العاشرة من عمره ، كان يمد يده إلينا حتى ليكاد يدخل كفه في جيوبنا ، بينما كان بصره متردداً بين وجوهنا وبين وردة حمراء ، كبيرة وزاهية ، مغروسة في شعر رفيقتي ، كانت المضيفة في الطائرة قد اهدتها إياها قبل نزولنا منها . وفي إحدى المرات ، حين نزعت يد الصبي عني بعنف ، رايته يمد بصره بشوق ومسكنة إلى تلك الوردة ويشير إليها باصبعه. نزعت رفيقتي الوردة من شعرها ومدت بها كفها إلى الصبي ، فتناولها هذا بلهفة ، فقربها من انفه وشفتيه ثم رفعها فوق راسه مشيرا بها إلى رفاقه كانه يفاخرهم بالفوز بها . ولدهشتي رايت الصغار يلتفون حوله ، ثم رايتهم يركضون وراءه حينما اخذ يركض مبتعداً عنا ، مزقزقين فرحا ، ومخلين بيننا وبين طريق الخروج من بهو المطار ، وكانهم بتلك الوردة قد فازوا باحلى غنيمة واغلاها ...

● ● ●

إنها ذكريات ، بين قديمة وجديدة ، تداعت إلى خاطري ببيت المتنبي الذي اثبته في مطلع هذا الكلام . فغبطة المعدمين الصغار بوردة اجزاتهم عن هبات الزوار الغرباء ، وبيت شعر قديم قيمه سائق التاكسي الكادح في عمان بدينار ونصف ، وجملة مواساة عابرة شرحت صدر الساقي الكورسيكي في باريس ، كلها تعني أن الكلمة البسيطة او التصرف اللبق قد يكون لهما في النفس الانسانيـــة تاثير لايستهان به . وشرط هذا التاثير ان يصدر التصرف وتصدر الكلمة عن سجية صادقة لا عن افتعال مصطنع . فليس اقدر على هذه النفس الانسانية من تمييز الصدق من الزيف في مثل هذا المجال . والمتنبي نفسه قال ذات يوم في هذا المعنى :

إذا اشْتَبهتْ دُموعٌ في خدودٍ
تَبيَّنَ مَنْ بكى مِمَّنْ تباكى

عبد السلام العجيلي
الرقة ـ سوريا

أسوأ الأزمان .. وأحسن الأزمان



ليس هناك شيء خالد ، الا وجه الله الكريم - فالحقيقة التي قررها القران بقوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) هي احدى مقررات العلم الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه او من خلفه ، وهي نفس الحقيقة التي اكدها الفرقان ايضا بقوله عز وعلا : « وتلك الايام نداولها بين الناس » .

فكما يهلك الانسان العظيم ، والانسان المغمور الذي لا يعرفه احد ، تبيد الدول ذات السلطان الباذخ ، والملك الشامخ ، وتزول الحضارات المزدهرة التي اظلت بظلالها الوارفة امما عديدة وشعوبا كثيرة ولعهود مديدة .

وهذا التطور الدائم سنة من سنن الحياة ، يسير الانسان بفضلها من حال الى حال ، فيعرف من خصائص نفسه ، ومن اسرار الكون ، ومن خفايا الامم والشعوب ما يزيده قدرة على الاصلاح والتعمير ، والاهتداء الى المخبوء من لطائف العلم ، ودقائق الفكر ما كان ابعد الامور عن يد الانسان ، لو بقي على حاله واحدة من الحكم والسياسة ، والعلم والثقافة والمعتقدات والتصورات وصلاته بالعلم وعلائقه بالخلق . فزوال الدول ، وانهيار الحضارات وان كان في الاغلب الاعم مشفوعا بما يشبه الماسي والفواجع إلا انه في نهاية الامر ، يدفع خطى الانسان الى التقدم ومراجعة ما اجتمع لديه من العلم ، وما اطمان اليه من مسلمات الاشياء .

وعندما تنهار الحضارة ، تكون ردود فعل الاقوام الذين عاشوا في ظل تلك الحضارة وتبنوا اصولها ، وامنوا بقواعدها ، على صور ثلاث :

الصورة الاولى : ـ اقوام يعز عليهم ان تضيع حضارتهم وان يروها تختفي ، ثم يطلب اليهم ان يبداوا اسلوبا جديدا من الحياة ، وطريقا مستحدثا من التفكير . فيتشبثون بتلك الحضارة الزائلة ، ولا يسلمون ابدا بانها زالت الى الابد . ولما كان التعلق بجوهر الحضارة البائد ضربا من المستحيل ، فان هؤلاء المحافظين يتشبثون بقشورها تشبثا شديدا ، ويعتبرون ذلك دليلا على قوة ايمانهم بمبادئهم القديمة ، وقواعد حياتهم المنقضية .

الصورة الثانية : اقوام يهزهم زوال حضارتهم الى الاعماق ، فيعتقدون ان تلك الحضارة منذ البداية كانت فارغة ، وانهم خدعوا فيها او خدعوا بها ، واقاموا حياتهم على فراغ لا قيمة له ، ولا نفع فيه ، فيعملون على ان يطهروا عقولهم من كل ما حصلوه من هذه الحضارة ، وينقوا نفوسهم من كل ما وصل اليهم من قيمها ، ويروحون يدعون مواطنيهم لياخذوا الحضارة الجديدة دون رفض لاي شيء فيها ، او تشكيك في مبدا من مبادئها ، او هدف من اهدافها .

الصورة الثالثة : اقوام يرون ان حضارتهم كانت صالحة ونافعة وانها هذبت اخلاقهم ، ومنحتهم مدنية انيقة ، وطرائق في الفكر والعلم عميقة ، وقاومت الاعداء حينا من الدهر ، فاحسنت الدفاع عن نفسها واهلها . ولكن لكل عهد دول ورجال ، فاذا كان الزمان تغير ، والعالم تطور ، وجاءت حضارة جديدة ، فلا نلعن القديمة ، ولا نحملها فوق ما لا يد لها فيه ، ولا ذنب في وقوعه ، إنما هي الدنيا القلب التي تتحول ولا تثبت . فلا يتزعزع ايماننا في انفسنا ، ونحسب اننا كنا بدعا من الناس ، اخذنا اشياء فارغة ، وهياكل خاوية ، وحسبناها حضارة وعلما وفنا ، وعضضنا عليها بالنواجذ ، فلما هبت ريح التغيير لم تثبت تلك الابنية المتهاوية ، بل سقطت دون ان تحدث دويا . فهذا الزعم خاطىء تماما لخطا الذين اعتبروها الخير والبركة والمجد الذي لا يبلى ، والسلطان الذي لا يهلك .

وهؤلاء الاخرون يحاولون ترقيع حياتهم فياخذون من الحضارة العالية اشياء يرونها ذات قيمة ونفع ، اشبه شيء بمن سقطت داره ، فراح يجمع من بين الانقاض بعض الاثاث الذي لم يتحطم ، وقليلا من النفائس التي سلمت من التحطم والتمزق والضياع ، ثم ضم كل ذلك بعضه الى بعض ، وحاول ان يخلق منه ، مع اشياء جديدة ، بناء جديدا ، لا هو جديد ، ولا هو عتيق ، ولا هو يؤمن بمبادىء الحضارة الغاربة ، ولا هو يكفر بها ، ولا هو يرحب

بالحضارة الوافدة ، ولا هو يفر منها .

ولكن الذي يستوقفنا في هؤلاء جميعا شعور بالذنب عميق يخفونه حينا ، ويعبر عن نفسه حينا اخر ، ومرد هذا الشعور انهم يحملون انفسهم مسئولية الانهيار الذي أصاب حضارتهم ، مرجعه عيب فيهم وتفريط منهم ، دون ان يكون في الحضارة المنهارة نفسها عيب يؤدي الى افول نجمها وغروب شمسها .

وهذا الشعور بالاثم يفسد على هؤلاء جميعا حياتهم ، مع اختلاف مواقعهم ، وردود افعالهم بالنسبة لانهيار الحضارة التي ينتسبون اليها ، فهم لا يقولون شيئا ، ولا يسلكون طريقا ولا يسمعون اقتراحا ، ولا يناقشون مشروعا ، الا وغلبتهم روح التردد ، واستبدت بهم الوسوسة . فهم يقولون الشيء ، ثم يعدلون عنه ، ويقدمون الاقتراح ثم يسحبونه ، ويزكون المشروع ثم ينقلبون ضده ، ذلك لأن الاحساس بالذنب ان لم يكن قائما على اساس ، استحال الى حالة مرضية تمنع الانسان من التفكير السليم ، والاهتداء الى القرار الصائب .

ومن بين ما نرمي به انفسنا في الايام الحاضرة ، اننا نقلد الغرب ، ولكذا لا لا نحسن التقليد ولا النقل ، فنحن نقلد الغرب فيما اصطنعه هذا الغرب من اسباب الترفيه ووسائل الاستجمام ، وجوانب الحياة الكمالية ، دون ان نفطن الى ان الغرب حينما صنع حضارته التي بسطت نفوذها على العالم كله ، لم تصل الى ما وصلت اليه من السيادة والهيمنة ، مع اخضاع قوى الطبيعة ، والانتفاع بها ، حتى استطاعت ان تحلق في اغوار الفضاء ، وان تغوص في اعماق الماء ، وان دفتت الذرة ، وتطلق منها طاقات هائلة ، الا باخذ كل الأمور بالجد ، ومواصلة الجهد ، وضبط النفس وحرمان النفس من الملذات ، ومواجهة المخاطر وحسن التنظيم ، ودقة الادارة ، واشاعة الحرية بين الافراد ، ومحاسبة الحكام عن كل خطا يرتكبونه ، او ضعف يظهرونه ، في حين اننا نعمل النقيض من كل هذا ، فالحكم نؤلههم ، والاعمال تتم بلا نظام محسوب ، واموال الامة تهدر وتبدد على الكماليات الفارغة والمظاهر الكاذبة ، ثم لا مواصلة للعلم ، ولا تتبع للحق ، ولا خطة موضوعة .

فهل هذا ضجيج كله ، ام ان في هذا مبالغة ، لا تتفق مع الواقع ، وهي في الوقت نفسه مبالغة تثبط الهمم ، وتقذف في قلوب الساعين والمصلحين والمجتهدين الياس ، وتصرف عنهم المؤيدين والاعوان ،

هل صحيح ان الشرقي بعامة ، او المسلم بخاصة ، أو العربي على وجه التحديد ، الآن حينما يحاول ان يجدد حياته ، ويعيد بناء وطنه ، يسير اعتباطا ، ويبدد المال والوقت والجهد ، بغير هدى ولا خطة ، وان المسلم او العربي او المصري كسول ، مسرف قليل الجهد ، سريع الياس ، هدفه من النقل والاستعارة إمتاع نفسه بلذائذ الحياة ، منصرف عن التعليم والتعلم ، ماخوذ اللب بالمراة الجميلة والمعيشة اللطيفة ؟

ان المسلم والعربي والمصري بذلوا في القرنين الاخيرين ، جهدا موصولا ليلحقوا بركب العلم والبحث الجاد ، وبنوا الجامعات والمعاهد ، ونشروا في كل مكان المدارس ، وأوفدوا المئات بل مئات الالوف الى مختلف مراكز العلم والدراسة في اوروبا وامريكا ، وحاولوا ان يترجموا ويؤلفوا ويناقشوا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

ان التقدم الذي حققوه في السنوات الاخيرة عجزت اوروبا وامريكا ان تحققه الا فيما يزيد عن القرنين ، وما يداني القرنين . وان تاخر المسلم والعربي – والمصري على سبيل المثال – ليس مرده كله الى عيب هذه الاقوام وزهدهم في طلب العلم ، وعجزهم عن التنظيم وحسن الادارة والزهد في ملذات الحياة ، بل أن هناك اسبابا اخرى لا نذكرها على سبيل التماس العذر وإلقاء التبعة على الغير وعلى الظروف ، وعلى الحظ ، بل لنقرر الواقع ، ونرقى منه الى الاسباب الحقيقية ، والتي منعت واعاقت ركب التقدم الشرقي عن الوصول الى اهدافه ، واللحاق بغاياته .

« دار الاوبرا » إحدى الانجازات الحضارية الايجابية لعصر الخديوي اسماعيل ذي السمعة السلبية في التاريخ .

ولقد جلست ليلة افكر فيما جرى في مصر منذ عهد محمد على الذي ولى الحكم في مصر سنة ١٨٠٥ ، والذي استطاع ان يصنع من مصر في اقل من اربعين عاما دولة ، كانت من اعظم دول شرق البحر الابيض المتوسط ، كان له جيش وصل الى خط الاستواء ، واوشك ان يقتحم استانبول وحارب في الجليد وفي جحيم الصحراء يعززه اسطول ضخم ، كان يقذف بالرعب في قلب قادة البحرية الغربية ، تتقدمها بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية ، حتى اضطرت الى التامر ضده بليل في نفارين ، احدى موانيء اليونان سنة ١٨٢٠ م .

ثم بدا لي ان اقرا شيئا في صفحات تاريخ مصر ، في حقبة تعد من اشد حقب تاريخ مصر الحديث سوءا ، وهي اخريات عهد الخديو اسماعيل الذي عزل عن عرشه في سنة ١٨٧٩ . فقد بدا لي ان انقل عن كتاب شهير ، عنونه مؤلفه (روز ستين) ب « خراب مصر » ، وهو الكتاب الذي ترجمه الى العربية المرحوم الاستاذ على احمد شكري . جاء في الفصل الثالث من هذا الكتاب ، وهو الفصل الذي خصص للمالية العامة في مصر . قال المؤلف :

« الآن وقد وصلنا الى هذه النقطة من روايتنا هذه يحسن بنا قبل مواصلة الحديث ان نلقي نظرة على حالة مصر الاقتصادية لنتمكن من معرفة (الاقدار) التي طوحت اسماعيل (الخديو) اولا ، ثم بمصر ثانيا الى الهلاك وسوء المنقلب .

أسوأ الأزمان.. وأحسن الأزمان



كان افتتاح قناة السويس حدثا عالميا سنويا له اثار خطيرة على العالم كله ، وقد تم الافتتاح في عصر اسماعيل ذي السمعة السيئة ايضا !

ونثبت هنا ما خطه شاهد عيان رأى الحوادث عن كثب في الوقت الذي ساء فيه حكم اسماعيل باشا . فقد قال هذا الشاهد وهو مراسل جريدة التايمز البريطانية في مدينة الاسكندرية يوم ٦ يناير ١٨٧٤ ، قال :

تعتبر مصر مثلا باهرا للتقدم فاق تقدمها في سبعين عاما تقدم كثير غيرها من الممالك في خمسمائة عام .

وربما ادهش هذا القول اولئك الذين اعتادوا ان يقرنوا تاريخ تقدم تلك المملكة المنكودة الحظ بالاحتلال الانجليزي . ولكن التاريخ يذكر مثلا انه بين سنتي ١٨٦٣ و ١٨٧٥ ، اي خلال اثنى عشر عاما ـ تم حفر قناة السويس (١٠٠ كيلومتر) وحفرت ١١٢ ترعة للري بلغ طولها ٨٤٠٠ ميل وامتدت السكة الحديدية من ٢٧٥ ميلا الى ١١٨٥ ميلا ، ومن الاسلاك التلغرافيـــة ما يبلغ طوله ٥٠٠ ميلا ، وانشيء من الجسور (اي الكباري) ما لا يقل عن ٤٣٠ جسرا ، بما في ذلك كوبري قصر النيل الذي ظل ابدا من اجمل جسور العالم ، واسست ميناء الاسكندرية ، وانشئت فيها وفي القاهرة محطات المياه النقية لسقاية الاهالي ، وبنيت احواض ميناء السويس ، وانشيء ٦٤ مصنعا لصنع السكر وتكريره ، وادخلت اصلاحات عظيمة في الطرق العامة بالقاهرة وغيرها من المدن ، وقد حدثنا بعض خبراء الاحصاء بان هذه الاعمال العظيمة وحدها بلغت نفقاتها ٦٤ مليون جنيه . فقد امكن بسبب هذه الاصلاحات تحويل مليون وربع مليون فدان من ارض بور الى ارض زراعية انتجت

وقتذاك من الحاصلات ما قيمته ـ بحساب تلك الايام ـ ١١ مليون جنيه سنويا ، فزادت بهذا مساحة الأراضي الزراعية في مصر من ٤ر٠٥٢ر٠٠٠ فدان في سنة ١٨٦٢ الى ٥ر٤٢٥ر٠٠٠ فدان في سنة ١٨٧٩ .

وقد الغى في هذا العهد نظام الرق ، وحاربته مصر في السودان واعالي النيل وخط الاستواء مما كبد الميزانية المصرية ملايين الجنيهات من اجل هدف إنساني . وجعل التعليم مجانا ، ورصدت الملايين للانفاق على معيشة الطلاب . ولم يكن في مصر سنة ١٨٦٣ سوى ١٨٥ مدرسة

ابتدائية ، ولكن لم يات عام ١٨٧٥ حتى بلغ عدد المدارس الابتدائية الى ٤٦٨٥ مدرسة ، وفي هذا العهد انشئت دار الكتب ودار الآثار المصرية ودار الآثار الاسلامية ودار الاوبرا .. كما تمت اشياء ومشروعات واصلاحات إدارية وقضائية هائلة ، كانت بمثابة الثورة الشاملة ، تم هذا في وقت كانت فيه اليابان تمسح بيدها عيونها من اثار النوم العميق ، ولم يكن في اليابان في تلك الفترة عشر معشار ما صنعته مصر في مدة لا تتجاوز عشرين عاماً ..

وكان المقدور ان تضطرد خطى التقدم والقوة على منوال يَبُذُّ اليابان ، فان ما حدث في عهد محمد علي جعـــل مصر أقوى من اليابان في البر والبحر والصناعات والزراعة .

ولا يفوتنا ان نذكر هنا ان اسماعيل كان يضرب به المثل بالحاكم المستهتر العابث الذي لا يتعب من الجري وراء ما يشبع لذاته ، ويرضي غرائزه ، وانه كان كالابله بين المقرضين اليهود ورجال المال القادمين الى مصر من أوربا واميركا ، كالذئاب الجائعة ، بحثا عن الفريسة المسكينة التي لا حول لها ولا قوة .

فاذا كان كل هذا الاصلاح قد تم في عهد المسرف المتلاف غير المجرب ، فماذا كان يحدث في عهد غيره الذين يفوقونه حصافة وحنكة وحرصا على المال وحذقا في انفاقه،

ونحن لا نسوق هذا الكلام دفاعا عن الخديو اسماعيل ، ولا عن مصر ، وانما كدليل على ان رمي المصري او العربي او المسلم او الشرقي ليس كما نتصور ، يقلد الغرب اعتباطا ، ويقلده في القشور والمظاهر الفارغة ، وانه لا يحسن النقل ، ولا يجيد المحاكاة ، وان ماله ضائع ، وجهده مبدد ، وانه لن يلحق بركب الحضارة الحقيقية ابدا .

هذا قول اصبح ديدن فريق من الكتاب يظنون ان الف باء الدعوة الى الاصلاح هي التنديد بالشرقي والمسلم ، بعد ان هلكت حضاراتهما ، وباد ملكهما وانطفات انوار عواصمهم . والحق ان الغرب لم يقنع قط بتحصيل اسباب القوة ، وتحصين نفسه ضد اهل الحضارات القديمة ، بل فعل كل شيء ليحول بين هؤلاء التعساء وبين التقدم واستئناف السير في طريق الشفاء او النقاهة ، وقد سلطوا عليهم كل ما قذف في نفوسهم الخوف والياس ، وما فرق صفوفهم بالمكائد والدسائس ، فلا يجوز للمسلم ولا للعربي ولا للشرقي ان يحسب خطاه تتعثر لانه لا يحسن السير ، ولا يهتدي الى طريق الصواب ، بل انه حاول كثيراً ، وانتج شيئا له قيمته واثره ، وانه قادر على ان يزيد انتاجه ، ويحكم خططه اذا ما عرف كيف تهب عليه من الغرب رياح الفتن التي تفرق وحدته ، وتنتزع من نفسه الثقة بها والاطمئنان اليها ، وهو يحتاج الى مزيد من الحرص والتنبه والدرس .

فتحي رضوان

اللغة العربية في السنغال

قصة الصمود الأسطوري في وجه العقبات والتحديات

بقلم: عبدالقادر سيلا

احببت ان اثبت هنا نكتة يعود تاريخها الى الستينات وانا يومذاك طالب بجامعة محمد الخامس بالرباط ، مؤداها اننا كنا ثلاثة افارقة في كلية الحقوق بالعاصمة المغربية . واتفق ان عين فيها استاذ ذو كفاءة علمية كبيرة مدرسا لمادتي الحقوق الدستورية والمنظمات الدولية ، وكان حديث عهد بالافريقيين ونتيجة لذلك كان يشيح عني كلما رفعت اليد لطرح سؤال او استفسار عن شيء . فاقتنعت ان الرجل تخامره الشكوك في انني اتلقى حقــا ما يفيض به او يخوض فيه من قضايا حقوقية شائكة .. وكانت الاعمال التطبيقية الفرصة الوحيدة التي يمكن ان ابتهلها لتبديد تلك الشكوك .. وكانت «اسباب فشل عصبة الأمم» عنوان العرض الذي وكل الي .. ولكي تستجمع المفاجاة كامل عناصرها امتنعت عن اطلاع الاستاذ على البحث قبل العرض . ولازاحة البلبلة في نفسه ، أردت في مستهل اللقاء إلقاء الموضوع شفهيا لكنه اعترض . وما كان مني إلا الانصياع فشرعت اقرا ما كتبته مركزا نفسي لاحاذر الوقوع في ادنى خطا لغوي .. وازداد دهش الاستاذ عندما جاء دور المناقشة وقال : « اما وقد اجبت عن الأسئلة والاعتراضات بلسان عربي مبين فان البحث من بنات فكرك » وكان يقاطعني بكلمة « عظيم » عدة مرات ، حتى اطلقها علي الزملاء فيما بعد .. ونظم الاخ واصف منصور الفلسطيني الجنسية ابياتا بهذا الخصوص .

هذا ومن المؤسف حقا ان ينجح الاستعمار في اقناع ابناء العروبة انفسهم ان لغتهم صعبة لا يذللها إلا عربي اصيل بينما تمتزج هذه اللغة امتزاجا عضويا بتاريخ عديد من شعوب القارة الافريقية .

وقد تاثر الشعب السنغالي بمختلف عشائره ايما تاثر بالعربية سواء في حياته الروحية او في حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وذلك بحكم احتكاكه المبكر بالتجار والسياح العرب والبربر الوافدين الى السنغال من بلدان المغرب العربي . وكان للاسلام دور اساسي في تسرب العديد من الكلمات العربية الى اللغات السنغالية المحلية واخصابها وهكذا يسوغ إرجاع تاريخ دخول اللغة العربية الى السنغال الى تواجد المرابطين اصحاب عبدالله بن ياسين باحدى الجزر السنغالية في القرن الحادي عشر الميلادي حيث انطلقوا لاخضاع قبائل بربرية ومملكة غانا الواقعة مباشرة جنوب الصحراء الكبرى ، وذلك بقيادة ابي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين مؤسس مملكة ضمت العدوتين المغرب والاندلس فابتداء من هذا العهد اطرد تقدم اللغة العربية ، ولم تتقهقر قيد انملة في هذه المنطقة بل خطت خطوات ثابتة بفضل ثبات الاسلام الى ان اصبحت لغة الثقافة والادارة والتجارة والمراسلات ووسيلة للاتصالات الدولية .. وقد شهدت فترات تالق وازدهار في ظل سلطات اسلامية تعاقبت على منطقة جنوب الصحراء الكبرى وبالاخص في عهد مملكة مالي التي لعب بعض ملوكها دورا غير يسير في نشر الديانة الاسلامية واذكر من بينهم منساموسى كتكا واخاه منسا سليما وكذا نظام الامامة الذي قام في فوتا بشمال السنغال . واستمر اطراد اكتساح العربية افاقا جديدة الى ان استتب الأمر للاستعمار الفرنسي بالسنغال في النصف الاخير من القرن التاسع عشر .

على أن تطور الثقافة العربية في المنطقة لم يتخذ طريقا ذات اتجاه واحد بل كان اخذا وعطاء ومسلكا صاحب اتجاهين : كان علماء عرب وبربر يفدون على مراكز الاشعاع الثقافي في تمبكتو وغاو مثلما كان طلبة العلم وعلماء افريقيين يقصدون جامعات الازهر والقرويين والزيتونة وتلمسان للتزود من المعرفة ولكن احيانا للتدريس ـ كان احمد بابا السوداني يعقد حلقات في الكتبية بمراكش ويامه جم غفير من كل حدب وصوب من طلاب العلم .

ومما ساعد اللغة العربية على الانتشار في السنغال ـ ولعله من اهم خاصياتها ـ انها لغة تنوء بعدة وظائف متباينة في أن واحد : فاذا كانت صالحة في مجالات الحياة اليومية المعاصرة من إدارة وتعليم وسياسة واقتصاد وفنون ـ شان اللغات الاوربية الحديثة فانها علاوة على ذلك وبالدرجة الأولى لغة دين سماوي يتمسك به اكثر من مليار مؤمن ، ولنزول القران بها

اللغة العربية في السنغال

قصة الصمود الأسطوري في وجه العقبات والتحديات

اصبحت لغة مقدسة ، فكل مسلم في العالم قاطبة يتعلم على الاقل بعض العبارات العربية كالتحية والابتهالات وصيغ الشهادة وطقوس الصلاة ويحفظ آيات من الذكر الحكيم ، فضلا عن ان اية دراسة متقدمة للاسلام تتطلب معرفة اللغة العربية وخاصة القران الكريم ..

ونجم عن هذا المركز المرموق للعربية ان الشعوب التي اعتنقت الاسلام لم تكن تنظر اليها كلغة اجنبية . ولا عجب حينئذ ان نراها عبر الاجيال تساهم في نشرها وتعمل في اغنائها وتتخذها – خلال فترات من تاريخها – اداة للتعبير عن ثقافتها الوطنية، وقد شغلت العربية هذه الوظيفة في السنغال قبل ان تتغلب عليها اللغة الفرنسية على اثر سقوطه تحت نير الاستعمار وظلت ، الى ذلك الحين ، اللغة الوحيدة التي كان يستطيع الانسان السنغالي ان يتفاهم بها خارج بلاده . وكان الملوك والامراء يوظفون المستعربين للقيام بمهام تحرير المراسلات بالعربية او بالحرف العربي باللغات المحلية .

لقد استغرق الوجود العربي حقبة طويلة من الزمن تمتد من العصور الوسطى الى العصر الحديث الى درجة ان اصبحت الثقافة العربية جزءا لا يتجزأ من التكوين العقلي للانسان السنغالي سواء تعلق الأمر قبل اتصاله بالغرب او خلاله اوبعده .واعتبارا لهذه الحقيقة التاريخية رات الجهات السنغلية المسؤولة ضرورة دراسة ثقافة وتاريخ البلاد بالاستعانة بالمخطوطات العربية التي دونها العرب او الافريقيون بالعربية او باللغات المحلية بواسطة الحرف العربي .

ولا تزال ملامح العربية جلية في الحياة العامة : فمنذ عهد قريب كانت تكتب الارشادات الصحية والتعليمات العامة في الأماكن العمومية باللغات المحلية بالحروف العربية . وبلغ الامر الى ان جهات تناصب اللغة العربية العداء في السنغال تستخدم الحرف العربي احيانا كثيرة لجاذبيته كوسيلة للاتصال بالجماهير وذلك بهدف التشويش والخداع لان العامة تعتبر اسلامية كل ما يكتب بالحروف العربية . وقد استغلت الجماعة الاحمدية هذا الجانب فنشرت كتبها باللغات المحلية مع استعمال الحرف العربي .. وهي بذلك حذت حذو البعثات التبشيرية التي ترجمت الاناجيل الى عدة لغات افريقية بالحروف العربية .

هذا ولست مبالغا إذا قلت إن الحرف العربي لم ينهزم امام الحرف اللاتيني بل قاومه ثم عايشه وظل يؤدي وظيفته كاملة في المستوى الشعبي ملبيا الحاجات الثقافية وتطلعات السنغاليين الدينية والدنيوية . ومن ميزة الحرف العربي انه يتفوق على اللاتيني بِكَوْنِ هذا الاخير فرض تحت تهديد السيف والبارود وحمته الاسلحة الفتاكة وشجعته المغريات المادية؛ أما العربي فكان في غنى عن حماية لانه صار جزءا لا يتجزأ من التكوين الحضاري للشخصية السنغالية الاصيلة . وكان العلماء مجندين لا لنشر اللغة العربية وحدها ولكن وكذلك حرفها حيث لا يتاتى تعلم لغة القران للجميع .

إلى جانب ذلك ازدهرت الآداب العربية وتطورت حتى اشتهر كتاب وشعراء يدثرون بها ويقرضون غرر القصائد .

وتتمحور انتاجات شعراء السنغال الناطقين بالعربية حول مواضع محدودة نسبيا حيث تشغل المدائح النبوية مساحة واسعة والمنظومات المدرسية . وهذا الشعر تابع للقصيدة الموريتانية قلبا وقالبا فلم يطرأ عليه اي تغيير بالقياس الى الشعر القديم . ونجد احيانا الشاعر السنغالي يستعين بالتشبيب في مستهل قصيده قبل أن يصل الى محور القصيدة فيتهيج بالبروق ودغدغة بلول الصبا وتغاريد البلابل وطلول دعد .. فلنستمع الى محمد نياس في بداية احدى قصوئده :

ما شاق قلبي صوت الشادن الغرد
ولا ابتسام الثنايـــا الغر عن برد
ولا تثني مـــلاح بالحمى برزت
تختـــال في حلل من عيشها الرغد
ولا وصـــال لدعد بعد ما مطلت
وحبذ الوصل بعد المطل من دعد

دور اللغة العربية في المقاومة الوطنية

لئن سجلت العربية تاخرا ملموسا من حيث مستوى التعبير فانها ظلت على راس الطلائع الأولى في المقاومة الوطنية لكونها سلاحا ماضيا يهزه الوطنيون المسلمون كلما حاول معتد المساس بكرامة الاسلام والبلاد . وقد تنبه المستعمر الى فاعليتها تلك فجهد نفسه للاجهاز عليها وكسر شوكتها منذ ما تمكن في السنغال فمنع من تداولها في الادارة وحرم استعمالها في المراسلات الرسمية وذلك على إثر قرار اتخذه الحاكم الفرنسي فيدَرْبْ في النصف الثاني من القرن الماضي . ولم تبق الادارة الأجنبية سوى قضاة الشريعة مع تقلص صلاحياتهم .

وللقضاء على اللغة العربية ، خططت الادارة الفرنسية سياسة تتلخص في سد جميع المنافذ التي يمكن ان تتنفس منها العربية واضعة كل العراقيل امام كل من يتقدم لطلب إذن لافتتاح مدرسة عربية . ومن اهون الشروط المطلوب توفرها لطالبي الرخصة ان يكونوا ممن يثق المستعمرون في ولائهم لادارة الاحتلال وهو شرط ، لا شك لا يتوفر في مسلم حقيقي .

ومن الطرف الاخر ، اقدم المستعمر على تشجيع المدرسة الفرنسية بمدها بالمال وحمايتها بقوة الحديد والنار وإرغام الناس على إدخال اولادهم فيها وحصر الوظيفة على اولئك الذين يتقنون لغته . وبلغ مضايقته للعربية ان صار ضعفاء العقول يعتقدون ان التعليم الفرنسي هو الطريق الوحيد إلى الحكم والثقافة والتفنن في العيش والتوسع في معرفة العالم واسرار الحياة والمستوى الاقتصادي الرفيع . وترتب عن هذه الفكرة الخاطئة ان اصبح الناس في السنغال منقسمين الى فئتين : اذكياء واغبياء . اناس ينتمون الى الصفوة وآخرون الى العامة .

وكانت هذه السياسة الاستعمارية ذات اتجاهين احدهما يعمل على تشجيع اللغة الفرنسية والآخر ينفر من العربية . وظل قطع الصلات الثقافية التقليدية بين السنغال والأقطار العربية الاسلامية اجلّ غاية استهدفتها فرنسا . وقد نجحت فيه خلال فترة من الزمن فتقوقعت البلاد على نفسها وانكمش مسلموها على انفسهم يجترون الكتب القديمة والقوالب الادبية العتيقة التي اخنى عليها الزمان . ولم تعد تصل اليهم انباء التصورات والتجديدات

التي حدثت في العالم الاسلامي بصفة عامة . وكان الحج الصلة الوحيدة التي يتم بها الاتصال بالعالم الخارجي وكان منظما في نطاق ضيق ، وكان عيون الادارة الأجنبية يرافقون الحجيج ويتجسسون عليهم .

بداية الانفراج

ظلت العربية خلال فترة الاستعمار كجمرة طامرة تنتظر من ينفض عنها الرماد لتذكو وتلتهب . وكانت نهاية الحرب العالمية الثانية بداية عهد جديد إذ على إثر هذا النزاع العالمي اضطرت الدول الاستعمارية على فتح كوة تطل منها الشعوب المستعمرة ، التي ساعدتها على استعادة حريتها من النازية ، على العالم الخارجي فاستفاد بعض الشباب المسلم من هذا الانفتاح الجديد ، فتوجه للدراسة الى شمال افريقيا ، ورأى تلك البلاد العربية تشتعل ثورة ووطنية . ولدى عودته الى بلاده نقل معه افكارا جديدة متفتحة ، فاضطرت الادارة الفرنسية امام التيار الجديد ان ترخص بعض الشيء من غلواء تعسفها ، واعطت بصيصا من الامل للوطنيين . وهكذا بدأت المنظمات الاسلامية ترى النور وتدعو الى اعطاء المسلمين الحرية وانشاء المدارس العربية ومنحها الدعم المادي شأن مدارس البعثات التبشيرية ، وضرورة ابتعاث الطلبة المسلمين لدراسة اللغة العربية في شمال إفريقيا .

وعندئذ دخل الصراع بين الاستعمار والعربية مرحلة اخرى لم تكن اقل حدة من المرات السالفة . ذلك ان الادارة الفرنسية نسجت الاكاذيب والافتراءات لخلق بلبلة في صفوف المسلمين انصار لغة القران فادعت ان المستعربين شيوعيون يتلقون الاوامر والدعم المادي من موسكو وحينا تزعم انهم عملاء الناصرية او جبهة التحرير الجزائرية ..

ولولا ان اللغة العربية تتمتع بمناعة ذاتية عجيبة ساعدتها على مقاومة التحديات والبقاء شامخة صامدة امام العوامل العاتية ، لانقرضت وتلاشت وصارت في خبر كان . وفي الحقيقة استفادت كثيرا من مظلة الاسلام التي غدت تحميها من كل غارة غادرة ودمار محقق بل تعدى دور الدين الاسلامي من مجرد حماية وانما قام بمهمة الريادة لها كلما عثر على مرتع خصب هداها اليه ثم لا يفتأ يكلاها ويرعاها ويتعهدها حتى تترعرع وتثبت قدماها الى ان تستكمل كل مقوماتها فتصبح كفيلة للتصدي لهجمات اعدائها .

هذا ولم تعرف اللغة العربية تطورا ذا بال إلا عندما اطل عهد الاستقلال الذي اخذ فيه المسلمون يتنقلون في البلدان دونما قيد ومنحوا حرية تاسيس المدارس العربية الاهلية . فشهدت الستينات نموا سريعاً للحركات الاسلامية حتى اصبحت المؤسسات العلمية العربية تغطي مدن وقرى السنغال . وادخلت الحكومة تدريس اللغة العربية في المراحل الابتدائية كمادة اختيارية وفي المدارس الثانوية كلغة ثانية بعد الانجليزية وعلى قدم المساواة مع اللغة الاسبانية .

وفي جامعة داكار قسم للدراسات العربية يلتحق به الطلبة الراغبون في مواصلة دراساتهم العليا باللغة العربية . ويضاف اليه المعهد الاسلامي بداكار وهو متخصص في البحوث الاسلامية لكنه يقوم بتنظيم دروس مسائية بالعربية وهناك كذلك المعهد الاساس لافريقيا السوداء يضم كمية ضخمة من المخطوطات النادرة التي الفها سنغاليون باللغة العربية .

وتوظف وزارة التربية الوطنية السنغالية عددا من حاملي الشهادة العربية وتكاد تكون الوزارة الوحيدة في السنغال التي تستقبل المثقفين المستعربين .

مستقبل اللغة العربية في السنغال

لا شك أن الصف الذي تحتله اللغة العربية في السنغال كبلد غير عربي يعتبر مشرفا لكن من وجهة اخرى يعد تافها اذا ما وضعنا في عين الاعتبار موقع هذه اللغة في نفوس مسلمي بلاد يستقطب الاسلام ٩٥٪ من سكانها وتتحكم الفرنسية والحضارة الغربية في مصيرهم .

على ان مستقبل اللغة العربية منوط الى حد بعيد بمدى الاهتمام والعناية اللذين ستحظى بهما من قبل ابنائها؟ فصمودها الاسطوري الذي سبقت الاشارة اليه لا ينبغي ان يلهي من تصور المعطيات الجديدة لوضع اللغات حيث اصبحت الدول كبيرها وصغيرها تتنافس في نشر ثقافتها وحضارتها بانفاق الملايين من الدولارات . ولا الحال ان من حق العرب ان يتراجعوا عن هذه التبعة التاريخية والحضارية خصوصا ان بايديهم كل الوسائل الكفيلة بالنجاح بعد ان وطد لهم الاسلام الارضية التي ستنطلق منها اللغة العربية .

ولعل افضل ما نختتم به هذه الوقفة الوجيزة عن قضية اللغة العربية بالسنغال فقرات من مقال كتبه السيد فهمي هويدي في مجلة « العربي » الكويتية جاء فيه :

« ان دائرة تعلم اللغة العربية للاجيال الجديدة تضيق باستمرار » « حتى قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة داكار يعاني من ظروف تعسة للغاية اذ تنقصه المراجع العربية بسبب ضعف الامكانات المادية » « ان السفارات الاجنبية تتصل باقسام اللغات خاصة وتزودها بالكتب و المراجع اللازمة باستثناء السفارات العربية التي » « تقاطع قسم اللغة العربية .. ومن نتيجة هذا الوضع ان الطالب عندما ما يلتحق بقسم اللغة العربية ويتعرف على ظروفه ويكتشف ان اكثر مراجعه باللغة الفرنسية ، فانه يتحول الى اقسام اخرى لدراسة لغات اخرى .. ! » « لماذا لا تتبنى الدول العربية ذلك القسم في جامعة داكار بدلا من ان يذهب العرب الى الجامعات الامريكية لتمويل كراسي ومناهج لا تغير من واقع الحال شيئا في أمريكا ؟ » « ان ادارة المعهد الاسلامي بداكار طلبت من السفارات العربية تزويدها بالكتب والمراجع ولكنها لم تتلق سوى بعض الكتب الدعائية والسياحية والسياسية التي لا تفيد الباحث السنغالي باي حال » .

عبدالقادر سيلا
داكار – السنغال

أبا إيبان

والتسوية الزائفة لقضية فلسطين

بقلم : عصام شريح



لاشك ان ابا إيبان ، اصبح بعد موت إيغال الون ، قبل بضع سنوات ، المنظر الحقيقي لحزب العمل الصهيوني ، وإن كانت اراؤه ، واراء قادة حزب العمل بشكل عام ، هي رجع صدى لما يعرف بمشروع الون لتسوية القضية الفلسطينية بشكل مزيف .

فلدى قراءة افكار ابا إيبان ، تبدو هذه الافكار معبرة عن نظرة معتدلة ، مما يضفي عليها صفة الاغراء للوهلة الاولى ، فإيبان يطرح مسائل لها طابع المفاجاة ، كالانسحاب فورا من لبنان ، وحل القضية الفلسطينية (مع الأردن) ، وإنهاء قضية الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، مستخدما في طرح حلول لهذه المسائل ، المفهوم البراغماتي في التعامل مع المتغيرات والتطورات .

ولأن اراء ابا إيبان ، لها طابع المفاجاة والاغراء للوهلة الاولى ، لابد لنا ، من تسليط الاضواء على خلفيات هذه الطروحات ، من اجل وضع النقاط فوق الحروف ، ولكي لا نقع ضحية الاغراء والانبهار ، ولنعرف اين نضع اقدامنا ، ونحن ندرس او نحلل ، او نتعامل مع افكار ابا إيبان ، التي تشكل كما قلنا ، الاطار العام لنظرية حزب العمل الصهيوني اليوم .

إطار التسوية

بادىء ذي بدء ، يطرح ابا إيبان ، حلا للصراع العربي ـ الصهيوني ، يقوم على اساس حل مفترض للقضية الفلسطينية ، باعتبار ان هذه القضية هي جوهر الصراع ، وهذا الحل ليس جديدا على اية حال ، فهو مستقى من إيغال الون ، حيث يقول إيبان ، إنه اعاد قراءة المقال الذي كتبه الون ، فوجد فيه ما يمكن ان يوصف بالميثاق بالنسبة لحزب العمل إذ ان الون رفض فكرة «ارض إسرائيل غير المقسمة» التي يدعو اليها الليكود لأنه : «في مثل هذه الدولة ، سيحكم الشعب اليهودي شعبا يضم اكثر من مليون عربي ، لا يرغبون ولا يريدون أن يصبحوا مواطنين في «دولة اسرائيل» ، واكثر من ذلك ، فان «العدالة !!» ، تتطلب بان يتمتع هذا المجتمع العرقي والديني (الفلسطيني) ، الذي يضم اكثر من مليون نسمة ، بوضع يتيح له تحقيق رغبته في السيادة العربية» .

والمبدا الأساسي في برنامج «المعراخ» ـ (حزب العمل وحلفائه) ، يقوم ، كما يقول إيبان ، على معارضة فكرة تطبيق حكم اسرائيلي دائم على العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، وهذا الموقف يستدعي بالضرورة ، العودة الى اتفاقية كامب ديفيد ، حيث لا يرتهن تقرير مصير الضفة الغربية وقطاع غزة باسرائيل وحدها ، وإنما بها وبمصر والاردن ، ومن يصفهم إيبان بممثلي



ابا ايبان



ايجال الون

الفلسطينيين ، الذين ـ كما يقول ايضا ـ لهم الدور الرئيسي في مستقبل الضفة والقطاع ، لان اي اتفاق تتوصل إليه الأطراف الاربعة خلال المفاوضات ، يجب ان يطرح على الفلسطينيين للاقتراع عليه .

هذه خلاصة مكثفة بالطبع لافكار ابا إيبان حول القضية الفلسطينية ،لكن ..لهذه الافكار خلفيات ، هي التي أملتها في الحقيقة ، وجعلت هذا الصهيوني القديم ، يتراجع عن مواقفه ومواقف حزبه السابق ، خاصة وان حزب العمل ، كان الحكومة والسلطة الفعلية في الكيان الصهيوني في عدوان عام ١٩٦٧ ، والذي اسفر عن احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ... فما هي هذه الخلفيات ؟!

يقول إيبان بوضوح ، إن هناك انقساما حادا في الراي بين الاسرائيليين (اليوم) ، حول ما يجب فعله بالمليون والثلاثمائة الف فلسطيني في الضفة والقطاع المحتلين ، بين دعاة الضم ، ودعاة التخلي عن الاراضي المحتلة . حيث يقول الفريق الاول ان اسرائيل تكون اكثر صهيونية إذا ضمت هذه الاراضي ، باعتبار الضفة الغربية وقطاع غزة جزءا من «ارض اسرائيل» الكاملة ، فيما يقول الفريق الثاني إن اسرائيل تكون اكثر صهيونية ، إذا حافظت على عنصريتها ، اي على ان يكون «العنصر اليهودي» ، هو قوام كيانها .

وبما ان إيبان هو من اصحاب الراي الثاني ، فانه يحذر الاسرائيليين من ان ضم الضفة والقطاع المحتلين ، سيكون اجراء يستند إلى القوة من قبل طرف واحد هو اسرائيل ، بيد ان هذا الاجراء يترتب عليه ثمن باهظ سيدفعه الكيان الصهيوني، وهذا الثمن ، يتمثل في ان عرب الضفة والقطاع سيحظون بحقوق واسعة (حقوق المواطنة) في إطار النظام السياسي الاسرائيلي ، وأول هذه الحقوق هو حق الاقتراع في الانتخابات العامة ، حيث سيملكون قوة انتخابية كبيرة ، وإذا اختاروا ان يستخدموها في تاييد او تشكيل قائمة عربية في الانتخابات العامة فانهم سيشكلون كتلة في الكنيست (البرلمان) تحتل خمسة وعشرين مقعدا على الاقل . وفي راي ابا إيبان ، ان المليون وربع المليون فلسطيني ، لن يشكلوا توازنا في القوى ، في حال الضم ، بل القوة كلها ، حيث سيلهث جميع الساسة الاسرائيلين ، وراء الكتلة العربية ، في الاقتراع على القرارات الرئيسية التي تمس مستقبل الكيان الصهيوني .

ويحذر إيبان جماعة الليكود من ان فكرتها في ضم الاراضي المحتلة ، وحرمان المليون وربع المليون فلسطيني فيها من الحقوق السياسية وخاصة البرلمانية ، سواء بالابقاء على الوضع الدستوري معلقا ، او بتطبيق الحكم الذاتي حسب النمط الاسرائيلي ، سوف يؤدي في النهاية إلى ما يسميه «بموت الصهيونية» ، لان أسرائيل سوف تتحول في حال كهذه ، إلى «دولة» ثنائية القومية كما ان «الاقلية العربية الكبيرة» ستنمو وتتكاثر باستمرار ، بحيث تشكل خطرا ماثلا ، وارضية للصراعات العنيفة في المستقبل ، على غرار ما يحدث في قبرص ولبنان وايرلندا الشمالية .

وانطلاقا من هذه المقولة ، يدعو ابا إيبان حكومة الليكود إلى تنفيذ اتفاقية كامب ديفيد دون تلكؤ ، ليس لان اسرائيل تعهدت بذلك لمصر او للولايات المتحدة حسب نصوص الاتفاقية ، ولكن لان هناك التزاما على الحكومة الاسرائيلية نحو الاسرائيليين ، من اجل ما يصفه «بخدمة مصالح شعب اسرائيل» قبل كل شيء ، ويفسر إيبان تصوره للحل «في إيجاد السبيل لجعل المناطق الكثيفة السكان ، مرتبطة بالاردن ، فيما قد يكون دولة فلسطينية ـ أردنية مشتركة . ويحذر مجددا من ضياع الفرصة التي توفرها إتفاقية كامب ديفيد ، للتوصل إلى حل كهذا لان ضياع الفرصة ، سوف يؤدي إلى اتفاق العالم باسره ، على ان فشل إتفاقية كامب ديفيد ، ووصول الطريق الذي «فتحته» إلى نهايته ... وعند ذلك ستقفز إلى الفراغ الذي سينشا ، مشروعات اخرى يصفها إيبان «بالسلبية» بالنسبة لاسرائيل ، مثل المشروع السعودي ، والمشروع الاور بي (إعلان البندقية) ... ويضيف ابا إيبان إلى الاسباب السابقة التي ولدت لديه قناعاته الحالية ، ان الولايات المتحدة ، باتت تعطي أولوية في حساباتها ، لحل القضية الفلسطينية ، وهو ما يشكل عنصرا رئيسيا في توجهات إيبان الجديدة ، لادراكه ، بان اسرائيل لا تستطيع في نهاية المطاف التمرد على اميركا .

سقوط الاحلام

وبالطبع ، فان اي حل لمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، يتطلب

أبا إيبان

والتسوية الزائفة لقضية فلسطين

بالضرورة ، خروج اسرائيل من ورطتها الشائكة في لبنان ، ولذلك يقول إيبان إنه في حال استلام حزب العمل الحكم في الكيان الصهيوني ، نتيجة للانتخابات القادمة (٢٣ تموز - يوليو) ، فانه سيقوم اولا بفك ارتباط اسرائيل في لبنان على الفور ، وسيحاول من ثم فتح الباب امام إيجاد حل لقضية الضفة الغربية وقطاع غزة . ويقول إيبان ايضا : إن على اسرائيل ان تنسحب من لبنان سريعا ، على ان يكون هذا الانسحاب بمثابة عودة إلى العقلانية ، والتخلي عن روح المغامرة ، والتخلص من الخيالات والاوهام ، والرجوع إلى الحقيقة والنظرة الواقعية .

لكن .. لماذا يطرح ابا إيبان فكرة الانسحاب من لبنان بهذا الالحــاح الشديد ؟!! .. وهو الذي صفق للغزو عندما وصل الجيش الاسرائيلي إلى مدينة صيدا في الاسبوع الأول من غزو لبنان في حزيران (يونيو) ١٩٨٢ ؟! في الواقع ..

يكفينا إيبان مؤونة البحث والتحليل ، ليجيب هو نفسه عن السؤالين المتقدمين ، فيشير إلى ان اوهاما وخيالات كثيرة كانت تعشعش في رؤوس الاسرائيليين ، وبصورة خاصـــة حكومـــة الليكـود حــول «سحق» منظمة التحرير الفلسطينية ، وإقامة «نظام كتائبي مسيحي في لبنان بدعم اسرائيلي» ، وسيؤدي «الانجاز» الاول إلى إلغاء دور منظمة التحرير الفلسطينية المؤثر في سياسات المنطقة ، فيما سيؤدي «الانجاز» الثاني إلى هيمنة إسرائيل على لبنان ومستقبله ، ودفع القوات السورية إلى الانسحاب من لبنان ، وبالتالي فانه سيكون في إمكان اسرائيل عرض عملية غزو لبنان ، باعتبارها ، خطة استراتيجية لصالح الدول الغربية ومصالحها في ميزان القوى الكبرى . ويضيف إيبان ان ايا من هذه «الاحلام المجنونة» لم يتحقق ، لسبب بسيط هو انها مجرد احلام تتجاهل منطق التاريخ ، مما يجعل الفشل هو النتيجة المحتومة لغزو لبنان ، وقد جاءت الوقائع لتثبت هذه التكهنات ، فقد دفع الجيش الاسرائيلي ٥٦٧ قتيلا من افراده خلال عملية الغزو ، وهو رقم يتجاوز كل ما خسرته اسرائيل بسبب هجمات الفدائيين الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨ .. كما ان طموح قادة الليكود وغير الليكود ايضا ، تقلص نتيجـــة لما يواجهـــه الجيش الاسرائيلي في لبنان ، إلى شأن تافـــه لا يتعدى المطالبة بمجرد ترتيبات امنية محدودة جدا في جنوب لبنان ، تدعمها ميليشيات إنعزالية ، وقوات الأمم المتحدة .

وباختصار يقول ابا إيبان ، انه لا يشك في ان «بعض الآمال المبالغ فيها» والتي اطلقتها حكومة مناحم بيغن قبل الغزو وخلاله ، قد تحطمت ، مثل « طلوع فجر جديد ، وتوقيع معاهدة سلام مع لبنان ، وإقامة حكومة مستقرة (وموالية لاسرائيل) فيه ، وتشكيل مثلث «للسلام» يضم مصر واسرائيل ولبنان» ... وإزاء هذه النتيجة المأساوية للغزو ، يطالب إيبان «بانقاذ ما يمكن إنقاذه» ، وتحديد سلم اولويات ، بحيث يكون الانسحاب الاسرائيلي من لبنـان مشروطـا بتشكيل حزام امني للمستوطنات اليهودية بشمال فلسطين المحتلة ، يتراوح عمقه ما بين ٤٠ - ٤٥ كيلو مترا داخل اراضي جنوب لبنان ..

ويقول ، إن هناك اهدافا عدة ، ينبغي التوصل إليها .. ولكن في حدود الممكن ، ومن دون ان تخلق اسرائيل وضعا يجعلها تواجه اوضاعا اصعب من تلك التي تواجهها حاليا في لبنان .

الحرب .. والدبلوماسية

يشكل فهم ابا إيبـــان للحـــرب والدبلوماسية واهدافها وتكاملها اساسا لطروحاته السابقة ، ولاشك بان الاشارة إلى هذا الفهم ضرورية لاستكمال فهمنا لمنحى تفكير إيبـــان ، فالعمل العسكري لا يمكن ان يحقق للاسرائيليين كل ما يتمنونه ، وإذا كان باستطاعته الحؤول دون تدمير اسرائيل «إلا انه لا يستطيع إيجاد تغيير دائم في الخريطة» ، وحتى الانتصار بالوسائل العسكرية ، لا يمكن اعتباره انتصارا مطلقا .. ولهذا فان هدف الحروب الحديثة ، ليس القضاء المبرم على الخصم او العدو ، او إنكار دور الخصم وحقه في ان تكون له كلمة في الحل الذي يعقب الحرب ، وإنما تغيير تفكيره ومواقفه ، بحيث يقترب خلال المفاوضات من مطالب الفريق المنتصر ، ويصبح التوصل إلى حل او اتفاق امرا معقولا ومقبولا لدى الطرفين المتحاربين .. ويشير ابا إيبان في هذا النطاق ، إلى ان اخر حرب كلاسيكية ، استسلم فيها الفريق المهزوم للفريق المنتصر جسدا وروحا ، انتهت في عام ١٩٤٥ ، عندما استسلمت اليابان للولايات المتحدة ، في اعقـــاب إلقـــاء قنبلتين ذريتين على مدينتي هيروشيما وناجازاكي .

واسرائيل .. كما يقول إيبان .. لن تستطيع الوصول إلى هذا الموقف ابدا في هذه الايام ، لان الحرب اصبحت نوعا من الدبلوماسية ، هدفها هو تمهيد الطريق امام المفاوضات السياسية ، التي يمكن الشروع فيها عن طريق الاقناع والردع وربما التهديد والاغراء والمساومة ، وعندما تفشل هذه الوسائل ، يمكن اللجوء إلى اسلوب الحرب المحدودة ، للضغط على الخصم ، وهذا يعني انه قبل البدء بالحرب ، يتوجب ان تكون هناك فكرة واضحة حول كيفية إنهائها .. ولذلك يتساءل ابا إيبان في اخر كتـــاب له (وهو بعنوان الدبلوماسيـــة الجديدة) ، يتساءل عما يمكن للدولة المنتصرة ان تفعل بانتصارها ، ويجيب على هذا التساؤل - بالنسبة لاسرائيل - بالقول: «إن التاريخ الحديث في الشرق الاوسط ، يعلمنا ان الانتصار والهزيمة هي مفاهيم نسبية ، لان الحرب نفسها لم تعد امرا مميزا كما انها لا تتيح للمنتصر حرية العمل حيث انه لا يمكن تحديد نتائج الحرب ، دون النظر إلى النتائج الكامنة خلف نطاقها» .

والدبلوماسية كما يراها ابا إيبان ، ليست هي علم اللاهوت ولا يمكن توخي «الخلاص» عن طريقها ، ومع ذلك ، فان بالامكان عن طريق الدبلوماسية ، نزع فتيل التوتر من منطقة الشرق الاوسط ، بافساح المجال امام ما يسميه إيبان «بالتيار العملي» لان يسير إلى الامام - ولو ببطء - باتجاه الاستقرار في المنطقة .

لماذا الآن ؟!

إزاء هذه الافكار – التي تبدو جديدة ومغرية احيانا – نتساءل : لماذا لم يطرح ابا إيبان افكاره هذه عندما كان في موقع المسئولية ؟ او على الاقل عندما كان حزبه – حزب العمل – هو القابض على اعنة السلطة في الكيان الصهيوني ؟؟

وفي رأينا فان طرح هذا السؤال ضروري جداً ، لتقييم افكار ابا إيبان ، ووزن طروحاته «الجديدة» بحجمها الصحيح .

فهذا الصهيوني العريق – القادم من جنوب افريقيا العنصرية – والذي خبر عالم الدبلوماسية عن كثب ، من خلال المناصب الهامة التي تولاها منذ فترة شبابه ، وحتى عام ١٩٧٣ ، بات يعرف ، بعد اربعة حروب عربية – إسرائيلية ، كادت اخرها (حرب ١٩٧٣) ان تقوض إسرائيل من اسسها ، ان الصهيونية لا تستطيع بالحرب فرض الاستسلام على الامة العربية ، وأن الحلم الصهيوني (حدودك يا اسرائيل من الفرات إلى النيل) ، قد فاته قطار الزمن ، كما ان غزو لبنان ، قد عرى اسرائيل واظهر هشـــاشة كيانهـا القائم اساســـا على الاغتصاب والعدوان ، ولذلك ، فانه لا يبقى امام الاسرائيليين اليوم ، سوى «ان ينقذوا ما يمكن إنقاذه» ، سواء في لبنان ، او في الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، ومن هنا يمكن استيعاب المنطق التسووي الذي وصل إليه ابا إيبان ، بل وحزب العمل وحلفاؤه (المعراخ) اخيرا .

بيد أن مما لاشك فيه ، ان الامة العربية باصرارها على عدم التنازل عن حقوقها ، وباعتمادها سلاح القوة في اربعة حروب غير متباعدة عن بعضها البعض ، وفي غضون حوالي ثلاثين عاما ، انما فرضت بمنطقها هذا ، بعض المتغيرات في العقل الصهيوني ، كما نرى ذلك لدى ابا إيبان اليوم ، حيث ان هذا العقل كان – ومايزال – يتعامل معنا على اسس الشعار الصهيوني «إن العرب لا يفهمون لغة سوى القوة» ، ولعل مما يؤيد مقولتنا هذه ، ان إيبان ، كان مندهشا في كتابه « الدبلوماسية الجديدة » لان العرب ، كانوا يحاولون في اعقاب حرب ١٩٦٧ ، ان يدفعوا الاسرائيليين الى التسليم بمطالبهم ، فيما هم في موقع «المهزوم» ، وفيما اسرائيل في موقع «المنتصر» .

ومع كل ذلك .. فان العقل العربي ، مطالب اليوم ، اكثر من اي وقت مضى بمتابعة ما يجري داخل العقل الصهيوني ، وما يطرحه بعض المفكرين والمسئولين الصهاينة من مقولات جديدة ، وخاصة حول طبيعة «اسرائيل» ، ككيان يشكل فيه اليهود عنصراً مطلقا تقريبا ، من امثال ابا إيبان ، لان ذلك سيجعل رؤيتنا للصراع العربي – الصهيوني ، اكثر واقعية ، مما سيعزز قدرتنا على إدارة هذا الصراع .

عصام شريح

من هو؟

ولد ابا إيبان في مدينة «كيب تاون» بجنوب افريقيا (ذات النظام العنصري) ، في ٢ شباط (فبراير) ١٩١٥ ، وتلقى دراسته في الشئون العربية والشرقية بجامعة كمبريدج في بريطانيا ، والتحق بالجيش البريطاني ، ونقل إلى القاهرة بناء على طلبه في عام ١٩٤١ ، ليعمل هناك في مكتب وزير الدولة البريطاني ، ثم عمل ضابط اتصال بين بريطانيا والوكالة اليهودية ، وفي عام ١٩٤٦ عمل في القسم السياسي بالوكالة اليهودية ، واختص بالشئون العربية ، وعقب قيام كيان صهيوني على ارض فلسطين المغتصبة في عام ١٩٤٨ ، عين مندوبا لهذا الكيان لدى الامم المتحدة ، وشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٩ ، انتخب بعدها عضوا في الكنيست عن حزب الماباي (العمل) . وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٩ – ١٩٦٠ ، عين وزيرا بلا وزارة ، ثم شغل منصب وزير التربية والتعليم والثقافة خلال الفترة من ١٩٦٠ – ١٩٦٣ ، وفي ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٦ ، تولى اهم منصب له ، وهو وزير الخارجية ، وبقي فيه حتى عام ١٩٧٣ .

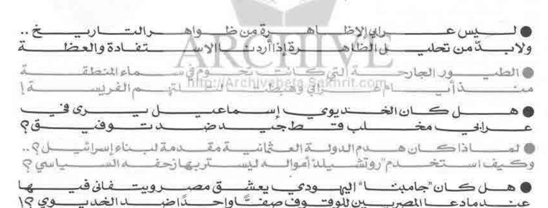
ابا إيبان ، من ابرز المتخصصين الاسرائيليين في السياســـة الخارجيـــة الاميركية ، ومن اقرب القادة في الكيان الصهيوني للولايات المتحدة الاميركية . وقد لعب دوراً رئيسيا في التمهيد لعدوان عام ١٩٦٧ مع الرئيس الاميركي جونسون ، وقبيل حرب عام ١٩٧٣ ، ارتفعت اصوات عديدة في الكيان الصهيوني ضد إيبان ، محملة اياه مسئولية عزلة اسرائيل السياسية في القارة الافريقية ، واتخاذ موقف سلبي إزاء التغيير الذي طرا على مواقف دول اوربا الغربية من الصراع العربي – الصهيوني ، وهي الأصوات التي تعالت ضد إيبان في اعقاب حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، وعلى الرغم من محاولات إيبان التركيز على مسئوليـــة العسكريين ، وخاصة موشي دايان عن هزيمة اسرائيل في ميدان القتال في تلك الحرب ، فقد استبعد من الاشتراك في وزارة اسحق رابين في عام ١٩٧٤ ، وبقي خارج السلطة حتى اليوم ، بيد ان اسهمه داخل حزب العمل ارتفعت مؤخرا بسبب انتقاداته العنيفة لحكومة الليكود في اعقاب غزو لبنان .

ينادي ابا إيبان حاليا ، بقدر من المرونة في التعامل مع العرب ، لضمان امن وسلامة الكيان الصهيوني ، والابتعاد بهذا الكيان عن روح المغامرة التي ثبت فشلها في غزو لبنان في حزيران (يونيو) من عام ١٩٨٢ . ومن اهم كتبه : «صوت اسرائيل» و «شعبي» ، و «الصهيونية والعالم الغربي» كما شارك في وضع كتاب عن حياة حاييم وايزمن – اول رئيس للكيان الصهيوني ، ونشر مذكراته مؤخرا . اما احدث كتبه فهو «الدبلوماسية الجديدة» .

رأي للمناقشة

الثورة العرابية والأصابع الصهيونية

بقلم : الدكتور السيد فهمي الشناوي


● ليس عرابي إلا ظاهرة من ظواهر التاريخ .. ولابدّ من تحليل الظاهرة إذا أردنا الاستفادة والعظة

● الطيور الجارحة التي كانت تحوم في سماء المنطقة منذ أيام عرابي وهبطت لتلتهم الفريسة !

● هل كان الخديوي إسماعيل يرى في عرابي مخلب قط جيد ضد توفيق ؟

● لماذا كان هدم الدولة العثمانية مقدمة لبناء إسرائيل ؟.. وكيف استخدم "روتشيلد" أمواله ليستر بها زحفه السياسي ؟

● هل كان "جامبتا" اليهودي يعشق مصر ويتفانى فيها عندما دعا المصريين للوقوف صفاً واحداً ضد الخديوي ؟!

قامت الثورة العرابية عام ١٨٨١ كثورة وطنية متاججة تطالب بالدستور والديمقراطية ، وقادها ضباط مصريون متفانون يعبرون عن راي الشعب وجموع الفلاحين تعبيرا عمليا بالسلاح الذي كان في ايديهم . ففي الواقع ان ثورة يوليو ٥٢ انما تبدأ من هذا التاريخ يوليو ١٨٨١ وما زالت العسكرية المصرية تشعر شعورا خاصا نحو احمد عرابي وكفاحه .

وقد اصبحت هذه الثورة بعد قليل قدوة ونموذجا لثورة الشريف الحسين بن علي والى جانب تحريرها هذه الاصقاع من تركيا فانها ايضا كانت ثورة عسكرية مسلحة . واذا كانت الثورة العرابية قد ادخلت مذهب الوطنية لاول مرة على مسرح السياسة في الشرق الاوسط فان ثورة الشريف الحسين بن علي ادخلت ولاول مرة مذهب القومية العربية .

واذ نعتبر ان الثورة العرابية كانت رائدة لعدة ثورات بعدها كثورة المهدي في السودان وثورة الحسين بن علي ثم الثورة المصرية ٥٢ فاننا نظن ان مثل هذه الثورة تحتاج الى مزيد من الدراسة الموضوعية البعيدة عن العاطفة . مثل هذه الدراسة تسمح بالنظر الى هذه « الحركة » من زاوية غير زاوية الرجل العادي بعاطفته الوطنية

وبادىء ذي بدء نلاحظ ان العالم الخارجي قد عامل عرابي كما عامل عبدالناصر تماما في اللحظة الحرجة : لقد نصح كلا منهما الا يضرب الضربة الاولى !

بعث جونسون الى عبدالناصر مندوبين احدهما رسمي والاخر شخصي (مذكرات محمود رياض وكان وزير خارجية ناصر يومها) اكد المندوبان كلاهما لناصر أن جونسون سوف يعاقب اسرائيل ذاتها لو انها ضربت الضربة الاولى . ثم اتضح بعد



احمد عرابي



جمال عبدالناصر

ذلك ان اسرائيل ضربت الضربة الاولى بتنسيق مع جونسون !

وحدث نفس الشيء بحذافيره مع عرابي ! لدرجة انه اصدر بيانا بان طوابي الاسكندرية لن ترد اطلاقا الا بعد الخمس طلقات الاولى من الاسطول ! ولو اقتصرت الطلقات على اربع فلن يرد !

وانهزم عرابي امام بريطانيا ، وانهزم ناصر امام اسرائيل .

واذا كان عرابي قد سلم امره الى الله وسلم سيفه الى ولسلي ووكل محامين انجليز عنه ، وقدم مذكرة دفاعية اشاد فيها بالانجليز واخلاقياتهم ، فان ناصر ظل رافضا ومقاوما الى ان مات . ولكن بعد موته بثمان سنوات كان خليفته قد زار اسرائيل ووقع معاهدة .

اذن فالتاريخ يعيد نفسه . وهو الذي يخلق شخوصه ، فدائما عند التاريخ عرابي اخر وناصر اخر وهكذا ومن ثم فاننا حين ندرس عرابي وثورته ، لا نتعرض له كشخص ولا كزعيم ولا كوطني . فهو لا يملك من نفسه الا انه ظاهرة من ظواهر التاريخ . ولابد من تحليل الظاهرة واستيعابها اذا اردنا الفائدة من التاريخ .

ولاشك ان رؤيتنا للتاريخ الان اوضح كثيرا مما كانت في زمن عرابي او حتى في زمن ناصر . فقد حققت الاحداث اهدافها وما علينا إلا استقراء الاهداف لنعرف من الذي اطلق علينا قذائفه داخل وطننا ولاي غرض اطلقها علينا .

قامت الثورة العرابية .. وانتهت لا بدخول الاستعمار البريطاني الى مصر والسودان فقط ولكن ما هو اهم : وهو انفصال قاطع وكامل لمصر عن دولة الخلافة : كانت دولة واسعة الاطراف توحد اليمني والشامي ، والمغربي والمصري الخ .. وحدتهم ستة قرون . صحيح انها كانت مريضة . ولكن بالطبع لم يكن متوقعا ان يضربوها او يقطعوا اوصالها وهي سليمة فانتظروا حتى مرضت وشاخت ثم قطعوا من جسدها اهم موقع استراتيجي فيها . انتهت الثورة العرابية اذن بانفصال مصر عن اسطنبول !

ثم قامت الثورة العربية الكبرى . وانتهت ايضا بدخول الاستعمار البريطاني كل شبر في الشرق الاوسط ولكن ما هو اهم من ذلك ايضا هو فصل كل الشرق الاوسط عن الدولة الام والدولة الرابطة والموحدة لهم ، وانفصلت اذن الشام والعراق والجزيرة عن اسطنبول !

بل ان الخطوة هنا تجاوزت ما حدث عند انفصال مصر . تجاوزتها الى درجة سقوط الخلافة نفسها في اسطنبول ذاتها ، وقيام حكم علماني كامل ، وتحولت البوصلة السياسية ١٨٠ درجة كاملة واضيئت الانوار امام ابصارنا .. واذا بدولة جديدة قد تكونت على انقاض الدولة العثمانية .. دولة اسرائيل .

وفي نفس الزمن الذي كان اللنبي يدخل القدس قائلا اليوم انتهت الحروب الصليبية ، والذي كان غورو يقول مخاطبا صلاح الدين في قبره : « ها قد عدنا ياصلاح الدين » كان بلفور وزير الخارجية البريطاني يعطي تعهدا بتسليم مفتاح اخطر منطقة في العالم الى دولة جديدة دخيلة على المنطقة

اذن كانت هناك طيور جارحة تحوم في سماء المنطقة منذ ايام عرابي وقبل عبدالناصر ، وقد هبطت والتهمت الجثة .

.... وعد بلفور ليس البداية

يخطىء من يظن ان تاريخ الصهيونية يبدا من وعد بلفور او من مؤتمر بال الذي رأسه هرتزل . فوثائق التاريخ تقول عن يهود فرنسا (لم يكن قد تسموا بالصهاينة بعد) عند اجتماعهم بنابليون ، ان توماس كورنت اليهودي الايرلندي (ايرلندي وليس فرنسي !) قد وجه الى بول بارا راس عضو الدركتوار (حكومة المديرين في الثورة الفرنسية) ينصح فيها الفرنسيين المتطلعين الى استعمار الشرق ان يعملوا على خلق وطن قومي يهودي في فلسطين !

بل في نص كلامه الى الفرنسيين يقول هذا الايرلندي : ان هؤلاء اليهود الذين سيقيمون في فلسطين سوف يحلون محل الامبراطورية العثمانية ! هكذا ! ؟

فهذا الايرلندي يجد ان علاقته بالفرنسيين اليهود اعلى من اختلافه معهم في الجنسية الوطنية ويجد في رابطته الدينية معهم دافعا يطغى على اختلاف الجنسية . ثم ان تصريحه بان يهود فلسطين تقوم قائمتهم على انقاض الامبراطورية العثمانية لا يحتاج الى جدال ولا مناقشة . وقد تحقق بعد ١٥٠ سنة من التنبؤبه . ثم هو اشد صراحة من ان يقسم قومه الى يهود وصهاينة كما يقال اليوم ولكنه يعتبرهم جمعا واحدا . وهذا هو نص ندائه :

« ان اليهود يقدمون لكم عنصرا استعماريا ثابت الاركان . وهو ضروري لكم لكي يقوم مقام الامبراطورية الاخذة في الانحلال ، امبراطورية العثمانيين ، وهو ضروري لكم لبث الفوضى واشعال الفتن واحلال الازمات للقضاء على الترك جملة واحدة . وحينئذ فقط فان الاتراك سوف يقللون من تعصبهم نتيجة احتكاكهم بنا

الثورة العرابية والأصابع الصهيونية

نحن اليهود القادمين من مختلف البلدان ، حاملين مختلف النظريات والثقافات المتنوعة بل في اعتقادي أن الصين نفسها سوف تتأثر بنا » .

هذا إذن هو نداء كوربت اليهودي الايرلندي الى حكومة الادارة في باريس ، وهاهو وعد نابليون رداً على النداء ننشره حرفيا وبالنص لاهميته :

« ان العناية الالهية (نفس الكلمة التي استعملها هتلر بعد ذلك !) ارسلتني على راس هذا الجيش وجعلت رائدي العدل وكفلت لي النصر وجعلت من القدس لي مقراً . وستجعله بعد قليل في دمشق !

يا ورثة فلسطين الشرعيين : إن الامة العظيمة التي تتجر بالرجال كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادكم للشعوب تناديكم الآن لا للعمل على اعادة احتلال وطنكم فحسب ولا بغية استرجاع ما فقد منكم بل لأجل مؤازرة هذه الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم لكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين .

انهضوا وبرهنوا على ان القوة الساحقة التي كانت لاولئك الذين اضطهدوكم لم تفعل شيئا في تثبيط همة ابناء هؤلاء الأبطال الذين شرفوا اسبارطة وروما بالتحالف معهما » .

انتهى كلام نابليون الذي قيل عنه انه أسلم ! والذي زعم نائبه (عبد الله جاك مينو) انه اسلم ! فالصقور الصهيونية إذن كانت تحوم في الجو في هذه المنطقة منذ عصر نابليون وخلال فترة الثورة العرابية . وحتى بعد فشل الثورة العرابية كانت محاولات هرتزل في انشاء مستوطنات في العريش ومد مياه النيل اليها من المواضيع الهامة التي رفضها كرومر .

وقبل ان نستعرض دور الصهيونية العالمية خلال زمن الثورة العرابية يجب ان نلاحظ ان لهم أسلوبا سياسيا ولغة سياسية متكررة . وهي تقسم انفسهم إلى فريقين : فريق صقور وفريق حمائم ، وان الفريقين يتفقان في الأهداف القومية ، وإنما يستخدمان هذا الانشقاق الظاهري للايقاع بالفريسة ، إذ تلوذ الفريسة من صقورهم بحمائمهم (كلعبة الثلاث ورقات عندما توقع بالفلاح القادم إلى القاهرة لأول مرة) . واسلوب «الصقور - حمائم» هذا ، يستعملونه مع جميع الشعوب : ففي فترة رئاسة نكسون ، كان كسنجر هو مستشاره الذي تضخم دوره حتى طغى على وزير الخارجية الرسمي . وفي نفس الفترة كان فريق آخر من اليهود هم الذين يدبرون لنكسون فضيحة ووتر جيت .

وفي فترة ناصر كان فريق بن جوريون وجولدا وديان يشهرون السلاح في وجه ناصر بينما يقف فريق يحمل له اغصان زيتون . جولدمان يجري اتصالات ومفاوضات . الفريد ليلنتال يكتب مدافعا عن العرب ويتلقى منهم الهدايا على دفاعه . والمرابي «برجر» يقوم محاميا عن العروبة . ويوري افنيري عضو الكنيست يضع نظرية « اسرائيل بلا صهاينة » حتى تصبح اسرائيل مقبولة .

دور الصهيونية في الزمن العرابي

تقول الحقائق الناطقة ان السماء الدولية كانت وقفا على ثلاثة صقور يهودية بدون ادنى منافسة : دزرائيلي اليهودي رئيس وزراء بريطانيا وجامبتا اليهودي وزير خارجية فرنسا وروتشيلد اليهودي المتعهد علنا بتمويل إقامة دولة يهودية في فلسطين .

روتشيلد هو الذي اقرض الخديوي قروضا ضخمة بفوائد اضخم يعلم تماما وبكل تأكيد عجز الخديوي عن سدادها فيما بعد . واقراض الخديوي ادى إلى اقراض طبقة الاعيان كلها . في نفس الوقت كان روتشيلد هذا ينفق في صوفية خالصة على انشاء مستعمرات يهودية في فلسطين من قبل نشوب الثورة العرابية ! روتشيلد إذن ليس مجرد مراب ولا هو بنك . إنه اساسا سياسي أصيل وثري مصادفة . وإذا كان غناه قد غطى على سياسته فان هذه التغطية ذاتها هي التي استخدمها كساتر ناجح جداً في زحفه السياسي . روتشيلد انجح مثال تاريخي للسياسي الذي يستخدم المال في غزوه .

اما دزرائيلي فقد كان رئيس وزراء «العالم» في ذلك الوقت الذي لم تكن ظهرت فيه عصبة الامم ولا هيئة الامم ، وذلك بحكم منصبه كرئيس وزراء اكبر دولة استعمارية لا تغرب عنها الشمس ، وقراصنتها يحكمون البحار كلها . وكان اليهودي الوحيد في تاريخ رئاسة وزراء بريطانيا قديما وحديثا ! ويهودي صارخ الاسم ! واسمه لا يترك اي هامش للشك . هذا الرجل اشترى اسهم قناة السويس ! وهو عندما اشتراها لم يُبقِ لمصر في القناة سهما واحدا (بينما كانت فرنسا ودلسبس قد تركا لها نصيبا نظير الأرض وسخرة العمال !) . اشتراها دزرائيلي باموال من روتشيلد الذي كان ينشىء مستوطنات في فلسطين . اشتراها دون أن يعرض الأمر على البرلمان .. باموال من خارج بريطانيا . ولأول مرة وآخر مرة يتجاهل رئيس بريطاني برلمان بريطانيا العتيد . أليس هذا دليلا على خطورة ما هم مقبلون عليه ؟ لقد وجد دزرائيلي وروتشيلد أن الصقر في السماء لا يجوز له أن يستشير احداً لكي ينقض على الفريسة المضمونة .

واخيرا جامبتا . وهو من لاعبي دور الحمائم . وزير خارجية فرنسا يكمل المؤامرة مع الصقور بالمذكرة الخطيرة المعروفة بالمذكرة الثنائية الشهيرة . المذكرة التي هي في الواقع المحرك الحقيقي للفتنة (وصف الامام محمد عبده) أو للهوجة . أو لنقل نحن للفتنة الهوجاء العاصفة . الفتنة التي حطمت في سبعة اسابيع استقلال مصر الذي بني بالصبر والجهد في ثلاثمائة سنة كاملة !!

تصور ان جامبتا هذا يدعو المصريين مدنيين وعسكريين إلى ان يقفوا موقفا وطنيا وموحداً وضد الخديوي ! جامبتا هو الذي يحرك جموع الفلاحين . جامبتا يعشق مصر ويتفانى فيها إلى هذه الدرجة ..

١ - هذه المذكرة الخالدة اصابت الخديوي بالرعب . صمم على إثرها على الارتماء في احضان الانجليز . إن الخديوي توفيق قبل هذه المذكرة كان كثير المناكفة مع الانجليز باعتراف كل من كتبوا مذكراتهم من الانجليز في هذه الفترة . وهو نفسه الذي راس الوزارة في جلستها التي رفضت الانذار برفع مدافع طوابي الاسكندرية . وارتماؤه في احضان الانجليز نتيجة رعبه من المذكرة.. يزكيه ضعف شخصيته وانه كان فاقداً للذكاء الذي تميز به اسماعيل وابراهيم ومحمد علي . وان زوجته كانت تراقبه وتراقب زواره .

٢ - هذه المذكرة التي ألقت الخديوي في احضان الانجليز فجأة رفضها الشراكسة

والأتراك المقيمون في مصر والعاملون بالحكومة والجيش . واعتبروا المذكرة تدخلا صريحا وكان مصر مستعمرة فرنسية . ويلاحظ ان الاتراك والشراكسة والمصريين الذين من اصل تركي والمصريين المتعاطفين مع تركيا (مثل مصطفى كامل) كانوا هم كل شيء في مصر في هذا الوقت : الزعيم الشعبي شريف باشا كان تركيا .

سامي البارودي شاعر الشعب كان تركيا .

وكان مصطفى كامل واحمد شوقي و الوف غيرهم متعاطفين مع تركيا . والمصيف الستوي الرسمي كان اسطنبول ، والمدارس العليا كلها في اسطنبول .

٣ ـ هذه المذكرة حركت الجماهير : فرنسا تدعو الشعب إلى عصيان الخديوي رسميا ! كيف إذن لا تتحرك الجماهير ولا تتملكها الثورة رغم وجود طبقة شريف وسامي البارودى ومصطفى كامل ؟ حتى قادة الجماهير المحترسين والمعتدلين امثال محمد عبده وسعد زغلول راوا فرنسا تغمز لهم بل تناديهم بل تحثهم . وتحثهم رسميا .

• • •

وراى الفلاحون المصريون في شخصية الضابط احمد عرابي صورة شيخ البلد جسما ومظهرا وروحا وقيادة وتحمسا . هل يستطيع الفلاحون منع انفسهم من الثورة ؟ كيف ؟! احس شيخ البلد واحس المصريون بدماء اجدادهم الفلاحين تجري ساخنة فى العروق تنادي بالثورة . واهم من هذا ، انهم احسوا لأول مرة في التاريخ ان هناك فلاحا يمكن ان يثور . واحس هذا الفلاح الثائر انه كان يشتغل مئات السنين السابقة بدون اجر !!

لم يكن في الشعب متعلمون . وحتى طلبة الازهر كانت غالبيتهم لا تتم دراسة الازهر . إذن لم تكن هناك طبقة مثقفين فضلا عن مفكرين . ولم يكن في مصر كلها مخلوق واحد يعرف شيئا عن الاطماع الصهيونيـة ولا الوطن القومي اليهودي ولا يتخيل قيام دولة اسرائيل . حتى اغنيـاء الريف واعيانه ما كانوا اكثر من ناس سذج اطهار غير متعلمين ، دماؤهم ساخنة ونيـتهم خالصة ، ولا يتصورون ان يكون جامبتا هذا وطنيا اكثر منهم . وكانت الوطنية هي إشعال الحريقة في كل شيء .. فيتم الاستقلال .

كان خافيا عليهم ـ واظنه لازال خافيا على كل المدافعين عن الثورة العرابية حتى يومنا هذا ـ ان المقصود هو فصل مصر عن الدولة العثمانية ، وانهم بعد ٤٠ سنة اخرى سيفصلون الجزيرة والعراق والشام عن الدولة العثمانية ، ثم ٣٠ سنة اخرى يقيمون اسرائيل . ثم تتحول اسرائيل إلى امبراطورية . ولم تقم على انقاض الدولة العثمانية فقط ولكن ايضا على انقاض الامبراطورية البريطانية والفرنسية ذاتها .

إذن كانت هناك سذاجة عامة وشاملة ومؤثرة على عقول كل المصريين . وافضل توضيح لهذه السذاجة ما رواه بلنت محامي وصديق العرابيين نفسه . روى ان قنصل بريطانيا الجنرال قال له : «المصريون كالطفل . ويجب معاملتهم كطفل . انا الذي فصلت لهم دستورا يناسبهم : وانا الذي صنعت الحزب الوطني (الحزب الوطني الأول الذي راسه عرابي !) ولن يستطيع المصريون ان يستمروا بدوني ابدا» .

إذن فى الوقت الذي كانت هناك صقور صهيونية جارحة فى السماء كان المصريون غير مدركين للعبة الخطيرة ، ووقعوا تحت وصاية مزعومة من الانجليز .. يزعمون حمـــاية الطـــفل من صقور السمـــاء !

موقف تركيا

كانت الدولة العثمانية تضم البانا ويونانا وعربا واتراكا واجناسا اخرى ، وكان السلطان عبد الحميد ـ المفترى عليه ـ لا يكف لحظة عن تذكير شعوبه بان الذي يربطهم هو الجامعة الاسلامية ، ويحذرهم من فرط عقد هذه الشعوب . وكانت تحذيراته صريحة بان الغرض هو القضاء على الرباط او الرابطة الاسلامية بينهم .

١ ـ فقد أرسل السلطان عبد الحميد رسالة حملها احمد راتب باشا يحذر عرابي فيها من «انتقال مصر إلى ايدي الاجانب» ! وركز على الرابطة الاسلامية باسلوب يمزق نطاق القلب !

٢ ـ أرسل السلطان بعثتين ، اولاهما برياسة نظمي باشا ثم بعد فترة اخرى بعثة برياسة درويش باشا . مكررا تحذيره من سلخ العنصر المصري من الرابطة الاسلامية . (فيالفترة التالية جمال الدين الافغاني يدعو نفس الدعوة بعد أن فات الوقت !) . بعثة درويش باشا حملت إلى عرابي وساما .. عرابي راى في إرسال هذا الوسام استدراجا له إلى فخ منصوب !! وهكذا كان حذره فى غير موضعه . فهو نفسه لم يبد مثل هذا الحذر مع دلسيس عندما تعهد له بعدم دخول اساطيل في قناة السويس . وهذا الحذر لم يبده عرابي عندما ظن ان انجلترا سوف تاتيه من الغرب فاتته من الشرق (كما فعلت مع ناصر عام ٥٦ !) وهذا الحذر لم يبده عندما قالوا له لا تضرب الضربة الاولى (كما قالوا لناصر فيما بعد !) . وهذا الحذر لم يبده ليلة معركة التل الكبير عندما انصرف هو وقواده إلى الاذكار !

٣ ـ كان السلطان عبد الحميد يتصل بالثورة العرابية عن طريق الشيخ ظافر ، وهو رجل صوفي كان عبد الحميد قد اخذ عليه العهد . روى هذه الواقعة احمد شفيق باشا في مذكراته .

٤ ـ فكر عبد الحميد في إرسال حملة لاخماد الثورة العرابية خوفا من خروج مصر من المنظمة الاسلامية . إلا ان كبار العسكريين حذروه بان إخلاء عاصمته من جيشه قد يعجل بحركة خلعه في اسطنبول فى غياب الجيش كما خلعوا سابقه عبد العزيز !

٥ ـ فى نفس الوقت الذي كان عبد الحميد محترسا ومتخوفا من انفراط عقد الدولة العثمانية ومتوجسا من يهود فلسطين لدرجة ان كان يامر اليهودي بعدم البقاء في قرية واحدة اكثر من ستة شهور متصلة . وفى الوقت الذي رفض فيه مقابلة هرتزل ورفض طلباته حتى رفض مجرد انشاء الجامعة العبرية اكتشف ان طبيبه الخاص ومرافقه هو من اصل يهودي وادعى الاسلام حتىوصل إلى منصب طبيب السلطان . فطرده عبد الحميد .

وظل عبد الحميد يعتبر أن دعوى المشروطية (البرلمان) هي دعوى مصطنعة يراد بها هدم وتفكيك رابطة الشعوب العثمانية . ولكنه اضطر إلى الخضوع لها وفعلا تفككت الرابطة بعد ذلك وانفصل اليونان والالبان ومصر وغيرها . ويقول خالد العظم رئيس وزراء سوريا بعد ذلك فى مذكراته التي نشرها في اواخر الستينات نادما على ما اصاب جميع دول المنطقة منذ تمتعت بالمشروطية .. إنه :

«منذ عام ١٩٠٨ لم يمر على الدول العربية يوم واحد ابيض حتى الآن !» .

مظاهرة ٩ سبتمبر ١٨٨١

يتخذ المدافعون عن الثورة العرابية حتى اليوم هذه المظاهرة حائط مبكى لهم ، يزعمون ان عرابي انما قام بالثورة لتحقيق دستور الشعب . ويوردون جملة نسبت الى عرابي مشكوك فيها تقول : والله الذي لا إله إلا هو لن نكون بعد اليوم عقارا يورث وقد ولدتنا امهاتنا احرارا .

هذه المظاهرة يجب دراستها بحذر شديد لأن اطوافا كثيرة كان لها مصلحة فيها .

١ — ان لم تكن المظاهرة بتدبير من الخديوي نفسه فانها على الأقل انتهت بكل ما كان يحلم به الخديوي ، وهو عزل رياض باشا وهتاف الجيش بحياة الخديوي .

رياض باشا هذا كان ظل بريطانيا وفرنسا في مصر . وكان كاتما لأنفاس الخديوي، ورياض باشا كان موجودا داخل السراي ساعة المظاهرة ولم يخرج لها رغم انه هو رئيس الوزارة . لم يخرج لها رغم خروج كولفن وكوكون وهم وزراء مساعدون له واجانب . لم يخرج لها لانه احس ان المظاهرة مدبرة ضده هو من الخديوي

٢ — هذه المظاهرة كانت من مصلحة بريطانيا ، اول دولة تمنت حدوث المظاهرة حتى تتدخل في شئون مصر هي بريطانيا . ويلاحظ في هذا الصدد ان كولفن كان يثير الخديوي ضد عرابي ويزين له اطلاق الرصاص عليه . ولكن الخديوي رفض ! بل ان خروج كولفن من السراي ووقوفه الى جانب الخديوي اثناء مفاوضة الخديوي لعرابي ربما كان ليتاكد تماما من افشال اي تفاهم بينهما .

٣ — كانت تركيا ايضا لها مصلحة في هذه المظاهرة حيث كانت تامل ان تتلقى نداء للتدخل بجيشها من جهة مصرية إما الخديوي وإما عرابي .

٤ — كان الخديوي اسماعيل المخلوع له مصلحة ايضا في استمالة عرابي مخلب قط يخلع به توفيق وهو ابن احدى سراريه فقط لا غير .

ووقائع المظاهرة نفسها تبدى انهـــا مدبرة : فبعد المظاهرة اصدر داود باشا امرا نفذ فعلا بنقل عرابي وفرقته الى راس الوادي بعد ان ادى المهمة والدور الذي رسم له واصبح مطلوبا التخلص منه . وكذلك بنقل عبدالعال وفرقته الى دمياط . اما علي فهمي المتزوج من السراي فقد صدر القرار ببقائه في مصر ! . ولم يعترض احد على هذه القرارات .

نظرة قديمة عن الثورة العرابية

إذا كان هناك من يقدسون الثورة العرابية ويتهيبون نقدها خوفا من اهتزاز الوطنية في قلوبهم ، فاننا يجب أن نتذكر مواقف بعض من اشتركوا فيها من اهل الراي .

١ — الشيخ محمد عبده في موضعين من مذكراته يقول : ان الثورة العرابية بدات حركة وطنية وانتهت كفتنة . وهو قال هذا رغم انه مات ولا يدرك الدور الصهيوني .

٢ — مصطفى كامل زعيم الحزب الوطني كتب سلسلة مقالات في اللواء ضد الثورة العرابية بعد ان جليت الاستعمار البريطاني وبعد ان احس أن مركز الدولة العثمانية التي كان يتعاطف معها قد تلاشى تقريبا . ونفس هذا الموقف وقفه ايضا خليفته محمد فريد . اما الشاعر احمد شوقي فقد قال في عرابي من شعر الذم والتحقير ما نرحم به ذكرى عرابي عن تكراره .

٣ — كتب محمد فهمي باشا وزير اشغال الثورة العرابية مذكراته في كتابه المعروف البحر الزاخر وفيه من الذم والقدح في عرابي وتصرفاته وسياسته وعسكريته وحياته في المنفى ما نانف من تكراره ايضا وهو كثير جدا .

نظرة حالية الى الثورة العرابية

لابد ان نعيد حساباتنا . ولابد ان ننصف انفسنا باعادة نظر هذه القضية على ضوء ما تحقق فعلا خلال المائة عام الماضية ، لنثبت لانفسنا اننا نتعلم من التاريخ واننا احياء ونتطور ونستفيد من الدروس ، لا ان نتحجر عقلا وتاريخا .

١ — لقد وصفنا القنصل البريطاني باننا اطفال سذج عشية الاحتلال البريطاني ، ولا شك اننا تطورنا الآن ، وتعلمنا دروسا ودروسا وهو عندما رمانا بالسذاجة كان مدركا لما تقدم عليه المنطقة من هدم الدولة العثمانية وبناء اسرائيل . وحتى لو لم يكن هناك تبييت لهذا ، فلابد ان نعيد نظرنا بعد ان كبرنا ولم نعد سذجا . بعد ١٠٠ سنة لم نعد اطفالا . اذا كنا اطفالا منذ ١٠٠ سنة فنحن الآن شيوخ . ويجب ان تكون لنا نظرة اخرى .

٢ — كان الشغل الشاغل سياسيا للشعب طوال القرن الماضي هو الاستقلال الوطني . والآن هل يجوز لنا ان ننظر الى ابعد من هذا الافق الوطني المحدود والمنفعل بالعاطفة الوطنية ؟

هل يمكن ان نمد بصرنا لأكثر من موضع قدمنا حتى نعي أن هناك لعبة امم يجب علينا ان نستكشف ابعادها حتى نعرف الى اين نساق . لم يكن احد يعرف لفظ لعبة الأمم قبل كتاب مايلزكوبلاند الذي اصدره بعد هزيمة ٦٧ عندما ظن اننا انتهينا .

واخيرا اننا لا نشكك في وطنية عرابي ولا نحمل على الثورة العرابية ولكننا بعد ١٠٠ سنة وبعد ان تجاوزنا مرحلة الطفولة في السياسة الدولية وبعد ان امتد افقنا لأبعد من الحدود الوطنية يظل هناك سؤال يجب الاجابة عليه على ضوء كل ما تحقق .

والسؤال هو : هل كانت الثورة العرابية خطوة أولى لفصل مصر عن الدولة العثمانية بعد ان فشل نابليون نفسه في ذلك ؟ وهل كانت الخطوة التي تتبعها بعد ذلك ومماثلة لها تماما في فصل البلاد العربيـــة الاخـــرى عن الدولـــة العثمانية ثم هل كانت اسقاط الدولة العثمانية ذاتها .. هل كل ذلك تم لاقامة دولة اسرائيل على انقاضها وهل تم ذلك كله قصدا ام عفوا ؟ ام يا ترى لم يحدث شيء من هذا ؟

السيد فهمي الشذاوي



صياد ينشر شباكه لصيد الأسماك المتعددة التي تعتبر من اهم مصادر غذاء الانسان .

اطلبوا الغـــذاء في الأرض فإن هي ضاقت فاطلبوه في البحار

بقلم : الدكتور عزالديـن فـــراج

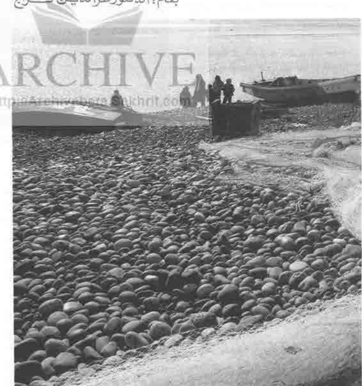
في البحار أنواع من الأسماك مختلفة الأشكال والألوان والصفات ، وتعتبر ثروة اقتصادية كبيرة ، لأنها من أهم مصادر غذاء الانسان ، ويمكن أن تحل الأسماك محل لحوم الأبقار والأغنام والدواجن . هذا مع رخص ثمنها وسهولة الحصول عليها .

ولحوم الأسماك سهلة الهضم ، لذيذة الطعم ، غنية ببعض الفيتامينات الهامة ، وخاصة فيتامين (١) وفيتامين (د) ، كما تحتوي الأسماك على مقادير مناسبة من الأملاح المعدنية ، وخاصة أملاح اليود والفسفور والكالسيوم اللازمة لتكوين العظام ونشاط الأعصاب .

والأسماك بجانب قيمتها الغذائية لها فوائد اقتصادية أخرى ، أهمها استخراج الزيوت الطبية الغنية بالفيتامينات من كبد بعض الأسماك ، وتستخدم زيوت بعض الأسماك في عدة أغراض كصناعة الطلاء ودبغ الجلود .

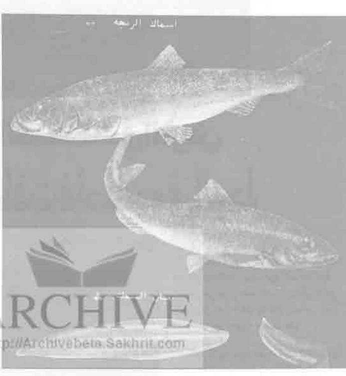
وتوجد في البحار عدة أنواع من الأصداف والقواقع التي تصنع منها الأزرار ، كما تستعمل الأصداف اللامعة في تطعيم الأثاث وإطارات الصور ، وتزيين الأبنية ، وعمل العقود والأقراط وغيرها من الحلي ، وتطحن الأصداف أيضا ، وتضاف إلى غذاء الدواجن .

وتطفو على وجه المياه نباتات عديدة ، وتكثر هذه النباتات في المياه الراكدة أو التي تجري ببطء ،



تحتل البحار والمحيطات ثلاثة ارباع مساحة الكرة الارضية .. ومعنى هذا اننا مطالبين بتوفير الغذاء من هذه الرقعة الشاسعة !

اطلبوا الغـــذاء في الأرض
فإن هي ضاقت فاطلبوه في البحار



اسماك السللون والرنجة .. وقد اصبحت للاسماك اليوم فوائد اقتصادية إلى جوار قيمتها الغذائية .

وكذلك توجد الطحالب في البحار والمحيطات ، وتجمع هذه النباتات ، وتجفف ، وتستعمل في تغذية الطيور والماشية ، كما تستخدم كنوع من الأسمدة وكنوع من الوقود ، ومن هذه النباتات والطحالب تستخرج بعض العناصر النافعة كاليود والحديد والكالسيوم وغيرها من مواد الدواء والطلاء .

وإذا عرفنا أن سكان الأرض يعيشون الآن على ربع الكرة الأرضية ، بما عليها من أرض مزروعة وصحراوات وثلوج غير مسكونة ، أما ثلاثة أرباع المساحة الباقية فتشغلها البحار والمحيطات ، والأنهار ... أذا عرفنا ذلك لأدركنا أهميتها في الاسهام في توفير الغذاء لبعض سكان هذه الأرض التي نعيش عليها .

مواجهة نقص البروتين

إن البحار الموجودة على كوكبنا الأرض تحتوي على ٢٠,٠٠٠ نوع من النباتات والحيوانات البحرية وأكثر من ١٠٠,٠٠٠ فصيلة من اللافقاريات ، ١١٠٠٠ نوع من الأسماك المختلفة . ويعتقد الخبراء أن البحر يمكنه تقديم ٢٠٠ مليون طن من الأسماك سنويا — أي أربعة أضعاف حصيلة الصيد السنوي في هذه الأيام — وذلك دون أن يتأثر الرصيد الضخم من الأسماك .

والمعروف أيضا أن البحر ينتج المواد الغذائية النباتية التي تعيش عليها الأسماك الصغيرة بكميات هائلة جدا — حوالي ٢٠٠ مليون طن من النباتات وحيدة الخلية والطحالب سنويا — وبالرغم من ذلك فهي لا تكفي كغذاء للعدد الهائل من الأسماك . ولا لكي تتحول عن طريق الأسماك إلى البروتين الحيواني في لحومها . فالأمر يتطلب ١٠٠,٠٠٠ رطل من الطحالب والكائنات النباتية الدقيقة حتى يمكن الحصول على رطل واحد من الأسماك . والحل هو زيادة كمية السمك فيها .

وتجري محاولات أخرى لاستخدام فضلات الانسان كنوع من السماد ، لزيادة نمو النباتات البحرية بنشرها على أعماق بعيدة عن مستوى سطح البحر . فسيؤدي ذلك الى نتائج مفيدة . كما يفكر العلماء أيضا في اضافة بعض المواد الكيماوية إلى هذه الفضلات حتى يتضاعف نمو الكائنات البحرية الدقيقة والطحالب وبالتالي تزيد كمية الأسماك التي تتغذى عليها .

وهكذا تستطيع أن نصل إلى انتاج أنواع من الأسماك الصغيرة بكميات هائلة تمكننا من صناعة « مسحوق السمك » الذي يحتوي على البروتين الحيواني . ويصبح في الامكان استخدامه لتعويض البلدان التي تعاني من النقص في البروتين الحيواني . ولا يبدي الناس اليوم اهتمامهم بمسحوق السمك نظرا للرائحة المعروفة التي تنبعث منه . وتجري الآن عمليات لانتاج دقيق السمك الذي يخلو تماما من الروائح الكريهة بمختلف الوسائل ليصبح غذاء شعبيا غنيا بالبروتينات الحيوانية اللازمة للنمو . وتقام الآن في مختلف البلدان المصانع التي سوف تقوم في المستقبل القريب بانتاج دقيق السمك على نطاق واسع .

الطحالب غذاء الانسان

وتعتبر الطحالب ذات أهمية غذائية كبيرة . إذ تتغذى عليها الحيوانات الصغيرة التي تأكلها بالتالي الأسماك الصغيرة ، وهذه تتغذى عليها الأسماك الكبيرة ، وهي من الأغذية الرئيسية للانسان .

وتلعب الطحالب دورا هاما في حفظ التوازن بين النبات والحيوان في البيئة المائية لأنها أي الطحالب تمتص ثاني أكسيد الكربون وتخرج الأكسيجين في الوقت الذي تمتص فيه الحيوانات الأكسيجين وتخرج ثاني اكسيد الكربون .

وتعتبر الطحالب من المواد والأطعمة الغذائية التي يتناولها الانسان مباشرة حيث يأكلها اليابانيون .

ويصنع من الطحالب مادة الجيلي التي تستخدم في صناعة الحلوى . ويستخلص من بعض أنواعها

مادة « الآجار آجار » التي تستعمل في عمل مزارع البكتيريا والفطريات .

والطحالب مصدر من أهم المصادر التي يستخلص منها الانسان اليود والبوتاسيوم ويستخرج من بعضها مساحيق تستخدم في طلاء الأخشاب .

ويضيف بعض المزارعين الطحالب في بعض البلاد إلى أراضيهم الزراعية كسماد .

ودخلت الطحالب مؤخرا سفن الفضاء حيث أستخدمت لتكوين المواد الغذائية ولاستهلاك ثاني اكسيد الكربون المتصاعد من تنفس الانسان أو الحيوان المسافر واخراج الاوكسيجين .

ويقدر ما تقذفه الأمواج من الطحالب على ساحل الصحراء الغربية المصرية بنحو ١٨٠٠٠ طن سنويا . ومن الممكن الاستفادة من الطحالب البحرية اقتصاديا في الأغراض السابقة .

والطحالب هي تلك الكائنات التي تستوطن عادة الماء . وتتراوح في ألوانها — حسب تباين أجناسها ما بين الأخضر الداكن الاخضرار . والاخضر الضارب إلى الزرقة أو الاصفرار . ومنها ما تتخذ ألوانا بنية أو حمراء . وهي تتباين فيما بينها من حيث الاطوال والاحجام . فمنها ما هي دقيقة الحجم — وحيدة الخلية أو خيطية — لا تستطيع أن تتبينها الا مجهريا . ومنها ما تتكون من تراكيب خلوية وتكاد تضاهي في أطوالها الأشجار . وقد اتجه إليها الانسان حديثا ليستمد منها احتياجاته المتزايدة من غذاء وكساء وعلاج . بعد ما ثقلت اليابسة بما تحمل من أعباء بني الانسان . وتكاد تعجز — بسبب الانفجار السكاني — أن توفيه شتى ما يتطلبه من احتياجات — وأصبح الشغل الشاغل لرجال العلم الآن أن يجدوا بين طيات البحار والمحيطات — مما تزخر به من طحالب وأحياء — الغذاء الذي يسد رمق الأعداد المتزايدة من بني الانسان . أو الدواء الذي يسبغ المناعة والشفاء ضد الامراض . أو الألياف الصناعية للمنسوجات . أو مايقوى التربة المنتجة لنباتات الألياف لزراعة الخضر وغيرها من مواد الغذاء .

وكانت بداية تحديد قدرة الطحالب على انتاج البروتينات والفيتامينات في أحد الطحالب الخضر الوحيد الخلية . ويطلق عليها علميا اسم « كلوريللا » . في عام ١٩٤٩ قدر « جافرون » المحصول السنوي لمزرعة مائية مساحتها فدان واحد بخمسين طنا من الوزن الجاف للكوريللا . نصفها من البروتين . ومن الدهون ١٠٪ . ومن فيتامين (ا) ٥٠٠٠ وحدة في كل جرام . ومثلها من فيتامين (ج) . ومن حمض الفوليك المضاد للكساح ٤٨٥ وحدة في كل جرام . وهذا المحصول يزيد عدة أضعاف على أي محصول زراعي جزيل العطاء . مما جعل من عملية استزراع الطحالب مشروعا مربحاً يسترعي الأنظار . تخطط من أجله البرامج وترصد الأموال .

ولابد من الاشارة هنا إلى أن البروتينات المستغلة كغذاء للانسان لابد وأن تحتوي على نسب متوازنة من الأحماض الأمينية الضرورية والشبيهة الى حد ما بتلك الموجودة في الاجساد . وهي تكاد تقارب في تكوينها تلك الموجودة في البروتين الكامل للبيض — من وجهة البيولوجيا الصحية — ١٠٠٪ .

وبعض الطحالب منتجة للدهون . خصوصا في الطحالب الخضراء . وفي أثناء الحرب العالمية الثانية أجريت في المانيا الغربية تجارب معملية لانتاج الدهون بواسطة الطحالب في مزارع كبيرة فوجد أن من بين الطحالب الكثيرة الانتاج للدهون الطحلبان كلوريللا و سينيدزمس وهي من الطحالب الخضراء .



إن كمية البروتين الحيواني التي يمكن استغلالها من المزارع السمكية اكثر بكثير من البروتين الناتج من حظائر الحيوانات .

الاهتمام بثروات البحار

ومن حسن حظ معظم الدول العربية أن لها شواطئ بحرية تمتد حولها لعشرات الألوف من الكيلو مترات . فالدول العربية بشمال أفريقيا تطل على البحر الأبيض والأحمر والمحيط الاطلسي . أو على بحرين معا « كما في جمهورية مصر العربية » . أو لها حدود على بحر من جهة . ومحيط من جهة أخرى « كما في المغرب » . ومنها ما يطل على الخليج العربي . أو المحيط الهندي . وهذا يعني أننا جميعا نحن العرب — نطل على بحار ومحيطات . لكننا لم نفتح عيوننا على ما فيها من ثروات . فهذه قد تغنينا عن ملايين الأفدنة الزراعية .

فالدول العربية جميعا . رغم امتدادها على شواطئ شاسعة . ولديها امكانات مالية وبشرية فان استغلالها جميعا لثروات البحار يقع في ذيل القائمة بين الدول الأخرى . كان من المفروض أو المحتم أن تنتبه لذلك . وتعطيه ما يستحقه من اهتمام . فهي لديها نقصا ملحوظا في البروتين خاصة . واللحوم عامة . ولابد أن يكون لها من ذلك النقص دافعٌ قويٌ وملح . كي تحصل من بحارها وشواطئها على هذه الثروة المتاحة . بدلا من أن تدفع جزءا من ثرواتها . لكي تستورد به ما تحتاج من ذلك المصدر الهام من مصادر الطعام .

ويؤيدنا في ذلك « جيفورد بنشوت » أستاذ الأسماك بجامعة « جون هوبكنز » بامريكا حيث يقول :

كميات البروتين الحيواني التي يمكن استغلالها من مياه البحار والمزارع السمكية من شواطئها تعادل أضعافاً مضاعفة من انتاج الثروات البروتينية الناتجة من حظائر تربية الحيوانات على اختلاف أنواعها . فالميل المربع الواحد من مزرعة سمكية قد يعطي حوالي ٩٠٠ طن من الأسماك كل عام . في حين أن تغذية الماشية على ميل مربع من المراعي يعطي ما يتراوح بين ١٠ إلى ٨٠ طن من اللحوم . فما أعظم الفرق !؟

عز الدين فراج

- عرفت مجتمعاتنا الصالونات الأدبية في سمر القبيلة وتزاحم الناس حول الشعراء في الأسواق
- من أجل مناقشة أخطر الأفكار الثقافية ، هجرت ابنة السفير الفرنسي حياة البلاط إلى صالونها الأدبي !
- وسط الخلافات القومية الأوروبية ، أطل المفكرون على آداب الأمم الأخرى في صالون "مدام دي ستال"
- كانت الحياة الأدبية الخالصة لا تشغل المترددين على صالون "نازلي فاضل" لاهتمامهم بالسياسة
- من هم الظرفاء والنبهاء من عشاق الأدب الذين كانوا يترددون على صالون "ماريانا" في حلب ؟



بقلم : الدكتور الطاهر أحمد مكي

لعبت الصالونات الادبية دورا هاما في إشاعة الثقافة العالمية ، فهي تجمع اناسا من مواطن شتى ، ويتدارس روادها احدث ما صدر من كتب ، ويناقشون اخطر الافكار ، ويتبادلون اخر الانباء . والكلمة لاتينية الاصل ، وتعني المكان الذي يستقبل فيه أهل البيت زوارهم بعامة ، واذن فتعريبها بندوة او منتدى لا يؤدي المراد منها بدقة ، لان محتوى هذين اللفظين قديم ، ويعرفه ادبنا العربي منذ أيامه الاولى ، في سمر القبيلة ، وتزاحم الناس حول الشعراء في الاسواق ، وفيما بعد في قصر الخليفة او الامير أو الحاكم ، ذلك ان المنتديات في مجملها كانت وقفا على الرجال وحدهم ، واقول في مجملها لان صالون ولادة بنت المستكفي في قرطبة ، في القرن الحادى عشر الميلادي ، وصالون حفصة الركونية في غرناطة في القرن الثاني عشر ، كانا يجمعان الادباء من الرجال والنساء على السواء .

عرفت فرنسا هذه الصالونات في القرن السابع عشر وكثرت في القرن التالي له ، واكتسبت طابعا عالميا بمن كانوا يترددون عليها وبالقضايا التي يتداولها السامرون . وكان يقوم عليها سيدات اتصفن بالالمعية والذكاء والثقافة والجمال ، والحس الاجتماعي الرهيف ، وتجمع الوانا من المتع الحسية والفكرية ، من ادب وفكر وثقافة ، وفنون ، وبذلك اصبحت سوقا لتبادل الآراء ، ومجالا رحيبا للاحاديث المتنوعة ، تعرض لكل شيء ، وتتناول كل جديد وطريف ، من استعراض «مودات» الأزياء إلى الافلاطونية الحديثة ، ومن أدب بترارك الايطالي ومقلديه حتى مناقشة قواعد الاملاء .

أقدم صالون فرنسي

بعض هذه الصالونات لعبت دورا بالغ الاهمية في إلقاء الأضواء الكاشفة على الآداب الاجنبية ، ودفع الادباء المغمورين الى عالم الشهرة والخلود ، وإذا كان يقال اليوم ان شهرة اي فنان او اديب او كتاب او اغنية في عالمنا العربي المعاصر ، تبدأ من القاهرة ، فقد كانت في باريس القرن السابع عشر تبدأ في «صالون اوتيل دي رامبوييه» وهو أقدم صالون عرفته فرنسا ، واوربا باجمعها .

كانت صاحبة الصالون كاترين دي فيفون ، مركيزة رامبوييه ، (١٥٨٨ —



مدام ريكامييه كما رسمها الفنان الفرنسي دافيد في عام ١٨٠٠ . وقد عاشت في الفترة ما بين ١٧٧٧ إلى ١٨٤٩ . وكان صالونها يجمع أهم الأدباء والشخصيات الاجتماعية .

١٦٦٥) ، فتاة جميلة ، مصقولة التربية ، والدتها رومانية ، وابوها فرنسي ، عمل سفيرا لوطنه في العاصمة الايطالية ، واثرت في زمن مبكر ان تدع حياة البلاط ، وان تفتح صالونها عام ١٦٠٨ للنبلاء ، والطبقة الارستقراطية ، والمثقفين الذين يودون ان يرتفعوا بذكائهم ومواهبهم الى مستوى هذه الطبقات ، واعدت قاعاته وزينت حجراته ، لتبعث البهجة والمتعة في نفوس زواره وتتسع لهما ، ولتكون منتدى لمجتمع الصفوة الراقية باكملها .

في هذا الصالون كانت تلتقي صفوة المثقفين والنبلاء ، وعلية القوم ، يناقشون التيارات الأدبية الحديثة التي تفجرت حول فرنسا ، في إسبانيا أولا ، ثم إيطاليا فيما بعد . فعرف رواده اتجاه جونجرة شاعر قرطبة الاسبانية ، واصول الرواية الحديثة ، وما سوف يطلق عليه ادب التصنع ، او الحذلقة ، او الادب المذقف ، والذي يعتمد على زخرفة الاسلوب ، والايغال في التصوير ، وبدا في اسبانيا ، ورحل منها إلى ايطاليا ، وانتهى به المطاف إلى المانيا وانجلترا مرورا بفرنسا نفسها .

وكان الكاتب المسرحي كورناي (١٦٠٦ ـ ١٦٨٤) من رواد هذا الصالون ، وعلى رواده قرا اصول مسرحياته ، ومسرحيته «السيد» وهو شخصية اندلسية من اثر هذا الصالون (١) ، وفيه ارتجل بوسيه (١٦٢٧ ـ ١٧٠٤) ، وكان شابا ، خطبة امتدت حتى منتصف الليل ، وقال عنها فولتير انه لم يسمع بمثلها لا من قبل ولا من بعد . وتردد عليه مالرب (١٥٥٥ ـ ١٦٢٨) الشاعر ، وظهر اثر القصائد الايطالية واضحا في شعره ، وبخاصة في ايام شبابه الاولى قبل ان ينضج ، على حين اهتم فوجيلا (١٥٨٥ ـ ١٦٥٠) بنقاء اللغة الفرنسية ، ومقاومة التسرب الأجنبي إليها ، في الالفاظ او التراكيب ، واستخدم اعضاء المجمع الفرنسي مؤلفاته في الدفاع عن اللغة هاديا لهم ، وبينما كان مهتما بالمفردات والنحو ، كان الشاعر شبلان يبذل اقصى جهده لتثبيت مبادىء الكلاسيكية في الادب . وقالت عنه جولي ابنة صاحبة الصالون ، انه «شاعر ملحمي تعس ، فاتن الجمال ، ومتعب حتى النخاع» .

وتعكس اعمال فولتير (١٥٩٨ ـ ١٦٤٨) التي نشرت فيما بعد روح هذا الصالون بدقة ، ورغم انه من اصل متواضع ، ظل على امتداد سنوات طويلة العبقرية التي تراس الغرفة الزرقاء في الصالون ، واثر ان يعيش حياته اولا ، وان يظهر مواهبه في



قدم طه حسين صورة ادبية لرواد صالون مي زيادة ، الذين كانوا يجتمعون ويتحدثون في كل شيء رغم اختلاف شعوبهم

رأي العقاد في حديث مي : طلاوة ورشاقة وجلاء .

الموضوعات الصغيرة والتافهة ، في مقطعات شعرية يصوغها في مهارة ويجعل منها نموذجا ، او في رسالة عاطفية تحمل مشاعره ، وتصبح للآخرين مثلا ، وبذل جهداً كبيراً كي يكون واضحا ، وجهداً اكبر في اختيار موضوعات تافهة عابثة ، ومع ذلك كانت رسائله موضع الاعجاب والتقدير ومثلا عاليا للاناقة الرفيعة ، وقد ذهب النسيان بسخرياته وعبثه وتفاهته ، وبقي منه انه اخضع النثر الفرنسي لكي يتسع للتعبير عن حياة المتع واللذاذة .

وفيما بعد أصبح الروائي الفرنسي بلزاك من رواد الصالون ايضا ، ويردون عالمية مصادره واتجاهاته إلى تاثير اجواء الصالون ، والحوار الذى كان يجرى بين قاعاته ، وكانت مدام لافييت من بين الشخصيات التي تتردد عليه في ايامه الاخيرة ، ولعله الهمها روايتها «سيدة» ، وهى تعبق باريج اندلسى إسبانى نفاذ .

وشهد الصالون نقاشا حاداً بين رواده حول الهجاء الصحيح لكلمة Muscadin ومعناها شاب انيق ، هل تكتب هكذا ، او تكتب على النحو التالى Muscardin ، ولم ينته المتحاورون الى رأى حاسم ودخلت الصورتان المعجم الفرنسى .

وحين بلغت ابنتا صاحبة الصالون ، جولي وانجليك ، السن التى تهيىء لهما الاشتراك فى المناقشات انضمتا الى رواده ، واصبحتا من زهوره ، وابديتا استعداداً ادبياً عاليا ومبكرا ، فهما تقران مسرحيات كورناي وتنتقدانها ، وتعكفان على دراسة كتاب «مقال فى المنهج» لديكارت ، وبلغ اعجابهما بهذا الفيلسوف غايته ، وفتنتا بالمقطعات الشعرية التى تتغزل فى الازهار ، وقدمت مجموعة منها تبلغ الستين هدية لجولي ، حين بلغت سن الرشد ، واقدم لها احتفال تقدم فيه الى المجتمع الباريسي انسة . وفيما بعد افترقت الاختان ادبيا ، وكونتا حزبين متنافسين ، وقامت بين الفريقين مناقشات ادبية حول الشاعرين فولتير وبنسيراد (١٦١٣ ـ ١٦٩١) ، ايهما ارق واجمل ، وكلمة الحذلقة Précieux التي اطلقت على نوع من الأدب الفرنسي يعنى بالزخرفة تعود الى هذا العصر ، وترددت كثيراً فى هذا الصالون ، وقد امتدت الحياة بصاحبة الصالون ، حتى شاهدت مسرحية موليير الساخرة «المتحذلقات الساخرات» .

وهناك صالون «مدام ريكاميه» في بداية القرن التاسع عشر ، وهي زوجة لاحد كبار رجال البنوك في فرنسا ، واصبح صالونها يجمع اهم الأدباء والشخصيات الاجتماعية المرموقة .. وكذلك هناك صالون الروائية الفرنسية «جورج صاند» التي جاءت إلى باريس عام ١٨٣١ ليصبح صالونها ملتقى لكبار الأدباء والشخصيات .

لم تتوقف عادة الصالون الأدبى فى فرنسا ، وانتقلت من باريس الى بقية عواصم الاقاليم ، والقينا الضوء على بعض ما جرى فى أهمها ، وكان نموذجا لها ومثلا ، وليس هنا مكان ان ناتى على باقيها ولكن صالونا اخر اخذ شهرة عالمية ، ولعب دوراً هاما فى الحياة الادبية ، لا يمكن ان نمر به غافلين ، واعني به صالون مدام دي ستال فى باريس ، او فى قصر كوبيه على ضفاف بحيرة جنيف حين تكون في المنفى ، وكانت صاحبته اديبة كبيرة ، وناقدة عظيمة هيات المناخ لتطور عظيم فى النقد والادب ، وقد فتح صالونها فى كوبيه ابوابه على دفعات بين عامى ١٧٩٥ و ١٨١١ لكثير من الادباء المشهورين الذين ينتسبون الى عدد من الامم المختلفة ، وكان ابان هذه السنوات البوتقة التى انصهرت فيها الخلافات القومية الاوربية ، واطل المفكرون من خلاله على اداب الامم الاخرى .

وخارج فرنسا اشتهر صالون الدوقة مازرين فى لندن فى القرن السابع عشر ، وقام بنفس الدور الذى قامت به الصالونات الفرنسية ، ومثله صالون ليدى هولاند فى القرن الذى تلاه ، وفى عام ١٧٥٠ انشات مدام نوردان فليشت أول صالون ادبى فى استوكهولم عاصمة السويد .

بعض ما كان يجرى فى هذه الصالونات نراه اليوم جنونا ، ورغم ما اصاب الادب فى ظلها ، بتعظيم اشياء لا اهمية لها ، لعبت دوراً بالغا فى جعل التقاليد اكثر رقة والافكار اكثر خصوبة ، وعملت على تشجيع الوضوح ، ومراعاة الذوق فى التعبير ، وفتح الطريق امام الادب لكي يتميز اجتماعيا ، وعظم تاثير النساء فيه ،







يعقوب صروف ، واسماعيل صبري صاحب مجلة المنار ، وسعد زغلول .. كانوا من ابرز رواد صالون مي زيادة .

واصبحن قوة كبرى فى توجيهه ، الى ما هو صالح او طالح على السواء .

صالون نازلي فاضل

حين بدات اليقظة العربية خطاها الأولى فى مصر عرفت القاهـــرة هـذه الصالونات تاثرا بفرنسا ، وإذا كانت هناك قد ازدهـــرت فـــي قـــلاع الســـادة ، وبيـــن عليـــة القـــوم ، فقـــد قـــام فـــى القاهرة اول صالون نعرفه فى العالم العربى ، ولدينا بعض اخباره فى قصر الاميرة نازلى فاضل ، وباشرافها ، وهى بنت الأمير مصطفى فاضل ، وكان وليا للعهد حين كان اخوه إسماعيل الخديوي ، ولكنه اختلف مع اسماعيل ، فهاجر مصطفى فاضل إلى الأستانة ، وكان محبا للثقافة ، ولديه مكتبة كبيرة ، استولى عليها الخديوي إسماعيل ، وجعلها نواة دار الكتب المصرية ، وحول قصره فى درب الجماميز الى قاعة للمحاضرات العلمية ، ومالبث ان اصبح مقرا لمدرسة دار العلوم العليا . وكانت الاميرة نازلى متزوجة من سفير تركيا فى باريس ، ودفعت بها ثقافتها الى ان تتصل بجماعة تركيا الفتاة ، التى اتخذت من العاصمة الفرنسية مقرا لها ، وكانت تعارض السلطان عبد الحميد ، وتطالب بالاصلاحات الدستورية ، وحين توفي زوجها جاءت مصر ، وشاركت فى النشاط الاجتماعى والثقافى فى تلك الأيام .

كان يتردد على صالون الاميرة نازلى كبار المصريين والاوربيين ، اناس من ثقافات مختلفة ، نعرف منهم الامام محمد عبده ، والشيخ عبد الكريم سلمان ، وسعد زغلول ، وقاسم امين ، ومحمد المويلحى ، وحسن عبد الرازق ، وحسن عاصم ، واخرون ممن لعبوا دورا هاما فى تطور الحياة الاجتماعية والفكرية فى مصر ، وكانت الاحاديث فيه تدور غالبا حول القضايا السياسية ، ووسائل الاصلاح الاجتماعي التى تشـــغل النـــاس فـــى ذلك الوقت ، وفيه تبلورت افكار قاسم امين التى حملها كتابيه : «تحرير المراة» و «المراة الجديدة» ووجد من زملائه التشجيع ، وكانت صاحبة الصالون هى التى اختارت صفية ابنة مصطفى فهمى باشا رئيس الوزراء زوجة لسعد زغلول ، وتوسطت له فى ذلك . كما ان الاعداد لانشاء الجامعة المصرية تم فى هذا الصالون . وبعامة كان الصالون وقفا على الطبقة الارستقراطية ومن تعلق بها ، لا يبلغه إلا الذين ارتفعت حياتهم الاجتماعية الى مقام ممتاز ، ولم تكن الحياة الأدبية الخالصة تشغل احدا ممن يترددون عليه .

صالون مريانا

وفى ذات الوقت تقريبا شهدت حلب فى ديار الشام مولد صالون شبيه ، رغم تعنت التقاليد وتخلفها ، ورجعية الحكم العثمانى وقساوته ، فى دار امراة تنتمى الى اسرة شهرت بالأدب والعلم والفضل ، هى : مريانا مراش (١٨٤٩ — ١٩١٩) ، ويصـــفها قسطاكى الحمصي ، وكان من رواد الصالون بانها «مليحة القد ، رقيقة الشمائل ، عذبة المنطق ، فكهة الاخلاق ، طيبة المعشر تميل الى المزاح ، حسنة الجملة ، عصبية المزاج» .

كانت مريانا اول اديبة سورية برزت فى مجالات الأدب والشعر والصحافة فى عصرنا الحديث، ومع ان الحكم العثمانى لم يكن يسمح ، حتى عام ١٩٠٨ ، لاى امراة بان تصدر صحيفة او مجلة ، او تعبر عن مشاعرها وافكارها عن طريقها ، حتى لو كانت نسائية ، لان ذلك ، فيما يرى ، يخالف العادات الاجتماعية .

إلا ان مريانا استطاعت ان تحصل على رخصة بنشر ديوانها الاول ، وكان صغير الحجم ، يضم قصائد فى الغزل والمديح والرثاء ، وصدر عام ١٨٩٣ م ، وربما يسر حصولها على الرخصة ان من بين قصائده واحدة هنأت بها السلطان عبد الحميد عندما تولي الخلافة ، وثانية عايدته بها فى احد اعياد جلوسه على العرش ، وهنأت امه بقصيدة اخرى .

ومنذ صباها الباكر بدات مريانا تكتب فى مجلة «الجنان» التى كانت تصدر فى بيروت عن القضايا الاجتماعية . فكتبت تدعو بنات جنسها الى الكتابة ، وترغبهن فيها ، وتنتقد عادات المراة العربية المعاصرة ، وتحضها على التربية بالعلم ، والتحلى بالادب ، وتشكو من انحطاط اساليب الكتاب ، وتحثهم على السمو بالمواضيع التى يكتبون فيها ، والترقى باساليبهم ،

ونشرت مقالاتها ايضا على صفحات «لسان الحال» فى بيروت ، و «المقتطف» قبل ان تترك بيروت وتلوذ بالقاهرة ، وبعدها كتبت فى مجلات اخرى ، ورغم انها لم تكن فى البدء ولزمن ، توقع المقالات التى تكتبها ، لانه لم يكن مسموحا للمراة ان تعبر عن مشاعرها، او حتى عن افكار انسانية عامة ، فقد وجدت مقالاتها صدى طيبا بين نساء عصرها ، واحيانا كانت تنشر ما تكتب على





مدام دي ستال الأديبة والناقدة التي اشتهر صالونها بين عامي ١٧٩٥ و ١٨١٧ م وكان في قصر كوبيه، على ضفاف بحيرة جنيف

جورج صاند (١٨٠٤ ـ ١٨٧٦) روائية فرنسية جاءت إلى باريس عام ١٨٣١ ليصبح لها اهم صالون ادبي .

- انه «ترجمات من بعض الصحف الاجنبية» رغم انه من ابداعها وبقلمها .

كانت مريانا تجمع بين الثقافتين العربية والفرنسية ، كثيرة السفر الى اوربا ، تقف عند معالمها الحضارية ، وترقب سير الثقافة والفكر فيها ، وتتامل اسباب نهضتها ، ومن المرجح انها قرات ، وربما عرفت ايضا ، شيئا عن الصالونات الادبية فى باريس ، ما شغل منها القرن الثامن عشر او كان قائما على ايامها ، مما دفعها الى ان تقيم فى بيتها صالونا ، على غير سبق في بلدها ، رغم تخلف العادات ، وفساد الحكم العثمانى .

وقد اصبح صالون مريانا فى حلب «مثابة الفضلاء ، وملتقى الظرفاء والنبهاء ، وعشاق الادب» ، ويتردد عليه قسطاكى الحمصى ، وجبرائيل الدلال ، وكامل الغزي ومن اسرتها اخواها فرنسيس مراش ، وكان طبيبا ، وعبد الله مراش ، وكان يدبج المقالات السياسية الداعية الى الحرية ، فى جريدة «مراة الاحوال» التى تصدر فى لندن عام ١٨٧٦ م ، واخرون من الشخصيات الادبية حلبية وشامية واجنبية ، يلتقون على موعد ، يتناشدون الاشعار ، ويتناقشون فى الادب ، وتضفي صاحبة الصالون على الجمع جوا من الالفة ، والمودة والرعاية وحسن اللقاء ، وتشارك فى الحوار ، وتدلي برايها فيما يعرض من قضايا ، وتطربهم من حين لآخر حيز تعزف لهم على البيانو انغاما جميلة .

ولكن الحياة فى ظل الحكم العثمانى كانت اسوا من ان تحتمل هذا التقدم والرقي ، فضيقت على رجال الفكر والادب ، ورات فى تجمعهم تحت اية راية خطرا على نظام الحكم ، وعصفت بهم وقست عليهم ، واضطرتهم واحدا وراء اخر الى مفارقة ديارهم ، ذهب بعضهم الى اوربا ، وهبطت الاغلبية مصر ، واتخذت منها وطنا ، ووجدت فيها ترحيبا ، وحرية فكر ، فاصدروا ما يريدون من صحف ، وكتبوا ما يودون من اراء ، ونشروا ما عندهم من ابداع ، واقفر صالون مريانا من رواده وإن ظلت هي تراسل الصحف والمجلات الادبية فى القاهرة وبيروت .

مي زيادة

على أن اشهر الصالونات العربية واحفلها بالشخصيات التى تتردد عليه ، صالون الادبية مي زيادة (١٨٨٦ ـ ١٩٤١)، ابوها إلياس زيادة من لبنان وامها من فلسطين ، وبرعت فى مجال الأدب مبكرا ، واخذت بحظ وفير من الثقافة ، فكانت تجيد الفرنسية والانجليزية والالمانية ، وتترجم منها فى سهولة ، وكان ديوانها الشعرى الاول «ازاهير حلم» Fleurs du Reve باللغة الفرنسية ، وإلى جانب ذلك تعرف الايطالية ، وتلم بالاسبانية واللاتينية والسريانية واليونانية ، وتكتب في العربية باسلوب شاعرى اخاذ .

نزحت مي الى القاهرة مع والدها حين جاء مصر عام ١٩١١ بحثا عن الحرية والتسامح ، وهربا من التخلف والاستبداد السائدين فى فلسطين ولبنان والشام ، وكان ميسور الحال فامتلك ارضا زراعية ،



كان الروائي بلزاك من رواد اقدم صالون ادبي في باريس ، ويقال ان عالمية مصادره واتجاهاته كانت بسبب تاثير هذا الصالون !

مي زيادة ، برعت في مجال الأدب في وقت مبكر وكان صالونها من اشهر الصالونات

فولتير ، عكست اعماله ـ بدقة ـ روح صالون «كاترين دي فيفون» مركيزة «رامبوبيه»

وحقق رغبته الصحفية فاشترى جريدة المحروسة ، واتفقت هجرة مي مع اكتمال انوثتها فاصبحت ناضجة اسرة ، ذات دل يزيدها فتنة ، ولو ان الهجرة نفسها تركت فى اعماقها اثارا بعيدة المدى لم تندمل مع الزمن ، فكتبت الى العقاد اثر رحلته الى لبنان رسالة ضمنتها مقتطفات من مقالة نشرتها بعد عودته ، بعنوان : «اين وطني؟» تقول فيها : «... ولدت في بلد ، وابي من بلد وامى من بلد ، وسكنى فى بلد ، واشباح نفسي تنتقل من بلد الى بلد ، فلاى هذه البلدان انتمى ؟ ... وعن اى هذه البلدان ادافع ؟ .. يمضى الموتى تاركين للاحداث وراثات حسية ومعنوية ينعمون بها ، وشرفا قوميا يعززونه ، وتقاليد يحافظون عليها . اما انا فلم يبق لي من اثار موتاي سوى الاثقال المعلقة فى يدى وعنقى ! . فلماذا قدر على ان اكون ابنة وطن تنقصه شروط الوطنية ، فامسى تلك التى لا وطن لها» !

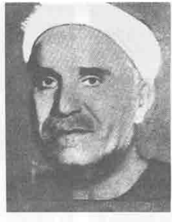
كانت ضائعة ، لان القومية العربية لم تكن قد اتضحت معالمها كاملة بعد فتنتمى اليها ، ولم تكن مسلمة فتشعر بانضوائها تحت راية الجامعة الاسلامية ، ولا مفكرة فيلسوفة ، تبشر بوحدة قادمة ، وتسهم في بنائها ، وكانت على ايامها وهما ، وهى على ايامنا حلم ، وسوف يعيشها احفادنا واقعا .

وصف سلامة موسى مى وصفا حسيا فى حديث اجراه معها ، ونشره فى عدد اغسطس عام ١٩١٤ من مجلة المستقبل ، فقال عنها : إنها «ربعة ، مستديرة الوجه ، زجاء الحاجبين ، وطفاء الأهداب ، دعجاء العينين ، يتالق الذكاء فى بريقهما ، ويجلل وجهها الجميل شعر جثل اسحم ، وتلعب على شفتيها ابتسامة الخفر ، وهى ابعد النساء عن الاسترجال واشدهن انوثة» .

فى جريدة والدها «المحروسة» بدات نشاطها الأدبى ، فاخذت تكتب بابا ثابتا تحت عنوان : «يوميات فتاة» ، وكانت غاية مقالاتها ـ فكرا ـ اصلاح المجتمع ورقي الامة ، واتصفت ـ اسلوبا ـ بتخير الالفاظ ذات الجرس الموسيقي ، ولو انها تكيف اسلوبها حسب ما تقتضيه الغاية ، ومحاولة التاثير فى القارىء عن طريق العاطفة ، فيجيىء شجيا ناعما فى مواقف الحزن والحب ، هامسا علتبا رقيقا فى الدعوة الى الاصلاح والتنبيه الى نقص ، متهكما قارصا عند التعرض للعوائد الاجتماعية المتخلفة ، رشيقا فى مجال العرض القصصى ، ينضح عاطفة متاججة فى المواقف الحماسية ، وينعكس فى كل ذلك ثقافتها الاجنبية الواسعة ، وما كان منها رومانسيا بخاصة ، فقد تعلقت بلامارتين ، ودى موسيه ، وشاتو بريان ، وجورج صاند من الفرنسيين ، وبايرون ، وكيتس ، وشيللى من الانجليز ، وترجمت عن الالمانية رواية «غرام الماني» لمكس مولر بعنوان : «ابتسامات ودموع» .

فقدت مي والدها عام ١٩١٩ ، وكانت صدمتها شديدة فيه ، إذ كانت تعتمد عليه فى مواجهة المجتمع ، واقتحام دروبه ، ولكنها بمازرة السوريين الذين فى مصر ، وكانوا يتعاضدون فيما بينهم ، تولت تحرير الجريدة ، وامدتها جريدة الأهرام بالعون ، بل انها قدمت لها عام ١٩٢١ مكانا مناسبا فى الطابق العلوى من احدى عمارات مبناها القديم فى شارع مظلوم ، وبدات فى الوقت نفسه تكتب فى جريدة الاهرام .







حافظ ابراهيم ومصطفى عبدالرازق وخليل مطران كانوا مع غيرهم يمثلون تشكيلة بين ثقافات متعددة تتبادل الراي والقراءة والاستماع في الصالون الادبي.

ولمجلة الزهور لصاحبيها امين تقي الدين وانطون الجميل ، وكان داود بركات رئيس تحرير الاهرام إذ ذاك متيماً بمي على تقدم سنه ، وهو الذى غير اسمها من «مارية» الى «مي» واردفه بلقب النابغة ، وقيل ان الغرض من تقديم المكان لها كان تجاريا

بحتا ، القصد منه كسبها كاتبة ، ونقل اهتماماتها الى جريدة الاهرام ومجلة الزهور . وقد انتهى الامر بالمحروسة الى التوقف عن الصدور ، ومع الزمن لم تقصر مي جهدها على الاهرام والزهور فاخذت

تكتب فى «المقتطف» و «الهلال» ، واشرفت على الصفحة النسائية فى «السياسة الاسبوعية» ، واسهمت فى تحرير مجلات مصرية وعربية اخرى .

بدا صالون مي عام ١٩١١ ، في مسكنها في شارع عدلي ، في المكان الذي تشغله محطة البنزين الآن ، وكان يحمل اسم شارع المغربي ، ثم انتقل عام ١٩٢٢ إلى الطابق الذي قدمته لها جريدة الاهرام ، واستمر حتى نهاية الثلاثينات ، وكان رحبا

فسيحا ، تانقت في اختيار اثاثه ، وظهر ذوقها السليم في الطرف المنثورة في جوانبه ، والصور المعلقة على جدرانه ، والتماثيل القائمة في اركانه ، واعتادت ان

تستقبل فيه كل يوم ثلاثاء نخبة من الباشوات الكبار ، او الادباء الاثرياء ، او من الادباء المعدمين» تمتلىء بهم حجرات

الدار ، وتساعدها امها في الترحيب بالضيوف ، تجلس في صدر الصالون تدير الحديث ، وتوجه الكلام ، وحواليها حشد فيه : اسماعيل صبري باشا ، ومنصور فهمي باشا ، وولي الدين يكن ، ولطفي السيد باشا ، وشيخ العروبة احمد زكي

باشا ، ورشيد رضا صاحب مجلة المنار ، وابن اخيه محيي الدين رضا ، والشيخ علي عبد الرازق ، ومصطفى عبد الرازق باشا ، وانطون الجميل باشا ، وخليل مطران بك ، وحافظ ابراهيم بك ، والامير مصطفى الشهابي ، والفريق امين المعلوف ،

والدكتور يعقوب صروف ، والدكتور شبلي شميل ، وسلامة موسى ، وعباس محمود العقاد ، ومصطفى صادق الرافعي ، وإسماعيل مظهر ، وإيمي خير ، ومحمد حسين المرصفي ، والخطاط نجيب هواويني واحيانا عبد العزيز باشا فهمي ، واحمد

شوقي ، وإبراهيم المازني ، وآخرون .

كان المترددون على الصالون يمثلون تشكيلة متنافرة وعجيبة ، فى مجالات الفكر والادب والسياسة ، بينهم المسلم والمسيحي ، والذكي ونصف الذكي

واصحاب الثقافة العربية وحدها ، او الاجنبية وحدها ، والجامعون بين ثقافات عديدة ، وقد قدم لنا طه حسين صورة لرواده فقال : «... وكان الذين يختلفون الى هذا الصالون متفاوتين تفاوتا شديدا ، فكان

منهم المصريون والسوريون والاوربيون على اختلاف شعوبهم ، وكان منهم الرجال والنساء ، وكانوا يتحدثون فى كل شيء ، وبلغات مختلفة ، وبالعربية والفرنسية والانكليزية ، وربما استمعوا للقصيدة تنشد او مقالة تقرا ، او قطعة موسيقية تعزف ، او اغنية تنفذ الى القلوب» .

وهم خارج الدار يهاجم بعضهم البعض فى عنف ، ويتبادلون اشد التهم ، ويستخدمون اقسى الالفاظ ، فى الادب او السياسة ، فاذا اجتازوا عتبة الصالون نسوا خلافاتهم ، واخذوا يتبادلون الراى فيما يقراون او يسمعون ، على امتداد العالم العربى وخارجه ، ومي معهم ، تشترك فى الحديث وتديره ، وكما يقول عباس العقاد : «وهبت ملكة الحديث فى طلاوة ورشاقة وجلاء ، ووهبت ما هو ادل على القدرة من ملكة الحديث ، وهو ملكة التوجيه وادارة الحديث بين مجلس المختلفين فى الراى والمزاج والثقافة والمقال فاذا دار الحديث بينهم جعلته مي على سنة المساواة والكرامة ، وافسحت المجال للراى القائل ، وللراى الذى ينقضه او يهدمه ، وانتظم هذا برفق ومودة ولباقة ، ولم يشعر احد بتوجيه الكلام منها ، وكانها توجهه من غير موجه ، وتنقله بغير ناقل ، وتلك غاية البراعة فى هذا المقام» .

وقدم سلامة موسى تعليلا جيدا لتفوقها فى الحديث وادارته على الكتابة ، فقد كانت فى الاول اذكى منها فى الثانى ، «والسبب انها شرقية ، تخاف فى الكتابة ان تبوح بكل ما تفكر فيه ، ولكن هذا الخوف يزول عنها فى الحديث» .

استطاعت مي ان تفتن اعلام عصرها ، رغم انها عادية الجمال ، وكان وراء ذلك ذكاء نادر تتمتع به ، واطلاع واسع يفرض احترامها ، الى قدر من اللباقة والاناقة فى اللقاء والترحيب ، فلا يجالسها مفكر او

اديب او شاعر حتى يعجب بها ، ويخالها تحبه ، فهي تتكلم بسهولة ، ولغة صحيحة ، فيؤخذ من يصغي إليها بتلك النغمة الآتية من الاعماق ، وقد تنتقل بالحديث من العربية الى غيرها مما تجيد من اللغات الاجنبية ، فضلا عما تعرفه من الفنون



مصطفى صادق الرافعي .. كانت اصابته بالصمم تجعل مشاركته في الحديث محدودة !



انطون الجميل ، اعطى لمي زيادة عليقا في جريدة الاهرام ، انتقل اليه صالونها في عام ١٩٢٢ .

الجميلة كالتصوير والموسيقا ، فلا يعرف مجالسها الملل ولا السأم .

لكن اعجاب الرواد بها لم يكن واحدا ، ولا بمستوى واحد ، بعضهم يكتفى بالنظر والانصات كعبد العزيز فهمي ، وبعضهم يتأمل ويسرح كأحمد شوقي ، او يلجأ الى الغزل المكشوف كولي الدين يكن ، او يكتب الخطابات الغرامية كلطفي السيد وعباس العقاد ، وتعودت مي على كل هذا ، فهي تتجاهل الالفاظ والكلمات والروايات التي تجدها خارجة ، كأنها لم تسمع ولم تقرأ ، او كأن الرسالة لم تصل .

كان مصطفى صادق الرافعي متيما بمي مع انه يقيم في طنطا ، وله زوجة واولاد ويكبرها بثلاثين عاما ، ويبكر في الحضور كل ثلاثاء على أكمل ما يكون مظهراً واناقة ، وتستقبله مي بما يليق بمكانته كأديب اسلامي وعربي كبير ، وشاعر يزاحم شوقي في إمارة الشعر ، وكانت اصابته بالصمم تجعل مشاركته في الاحاديث محدودة ، وربما لهذا السبب اولته مي رعاية خاصة ، فلما ذهبت صرخته سدى ، واحس بفتورها نحوه ، كتب اليها عام ١٩٢٤ رسائله الثانية «رسائل الأحزان» ، وفيها بدا أشد هياماً من رسائله الأولى ، وضمنها فلسفته في الحب والجمال ، وفي العام نفسه ارسل اليها رسائله الاخيرة من خلال كتابه «السحاب الاحمر» ، وتعكس عواطف الغضب والانتقام التي كانت تجتاح داخله .

وكان الشاعر اسماعيل صبري مهذبا مصقولا ، ويكبر مي بثلاثين عاما ايضا ، ولا يلقاها إلا وينحني على يدها مقبلا ، وهام بها حبا ، ولم يخف هواه او غيرته عليها ، وصاغ ذلك شعرا ، على حين كان ولي الدين يكن يحبها «بعنف وجسارة» ، وربما احست مي بعواطفه ، او لعلها اشفقت عليه بسبب مرضه وبؤسه . وكان مصطفى عبد الرازق يحبها في عفة وحياء ، وكتب اليها مرة من باريس يقول : انه على حبه للعاصمة الفرنسية «يتعجل العودة الى القاهرة .. لأن فيها من هو احب اليه من مدينة الشباب والأمل» .

وكان عباس العقاد يأمل ، في السنوات الأولى على الأقل ، ان يحتل من قلبها مكانا مرموقا ، إن لم يكن المقام الاول ، فحام حول الحمى سنوات ، ولكن كبرياء المتنبي فيه حال دون ان يفصح او يواصل ، وكانت مي على الطرف الآخر ، يلفها حياء شديد ، وفي خلقها احتشام ، درجت عليه منذ الصبا ، ذات فطنة قوية ، شديدة الحفاظ على كرامتها رغم شبابها المتوقد ، فلم تصرح بشيء ، رغم الرسائل المتبادلة بينهما ، وتوقف بهما الامر عند رسائل فيها تلميح وعتب ، واقبال وصدود ، ولا شيء اكثر من هذا .

وهناك من كانت علاقتهم بها تعبق بأريج الأبوة ، كالذي كان من الدكتور شبلي شميل إذ كان طبيب العائلة وصديقا حميما لها ولأسرتها ويعاملها كابنة له ، وربطتها بسلامة موسى صداقة حميمة ، واعجاب متبادل لم يتجاوز هذا القدر ، رغم ان فارق السن بينهما لم يكن كبيرا ، ولم يكن سلامة موسى قد تزوج بعد .

اين كانت مي من هذه القلوب الهائمة ؟ من المؤكد ان قلبها كانتى خفق واضطرب ، امام شخص ما في لحظة ما ، وانها احبت وهامت ، ولكنها استطاعت ان تكتم هواها فلم يعرف له احد قرارا حقيقيا . قيل إنها احبت جبران خليل ، ولكن عواطفهما ظلت ورقية ، دلفاها في الرسائل المتبادلة بينهما ، ولم تتجاوزاها ، ومات جبران ولم تعرفه إلا صورة . وربما هفا قلبها الى الجانب الأجمل في كل الذين يترددون عليها ، ولم يلبث جملة عند واحد ، إذا كانت ، فيما يقول سلامة موسى : «تحب عندي مصطفى عبد الرازق» وتؤثر لطفي السيد بشيء من الود ، ومثله انطون الجميل وخليل مطران .

واستمر صالون مي قرابة ثلاثين عاما كاملة ، وهي اطول فترة عرفها صالون ادبي في الشرق او الغرب ، ثم بدأ العمر يتقدم بصاحبته ، واخذت الشيخوخة تزحف عليها ، واختطف الموت بعضا من رواده ، وانفض الآخرون لأن الصالون كان يفتقر المنهج والغاية ، ويتوقف على جمال صاحبته ، ورقتها ودلالها ، وانوثتها وعقلها ، فلما وهي في ذلك بتقدم السن ، انفض المعجبون وتخلف الرواد ، ولم يبق من الأمس إلا طيفه ، ومن المجد إلا رماده ، وتحولت حياة صاحبته نفسها إلى خواء ، ركبها الهم والقلق والرعب ، وحاصرتها الأمراض النفسية ، وتخلى عنها الجميع ، وودعت الدنيا وحيدة في مستشفى المعادى بعد ان انزلت قبله مكرهة مستشفى المجانين في العصفورية في بيروت عاما ، ولزمت مستشفى الجامعة الأمريكية فيها عاما آخر ، رغم انها لم تفقد توهجها العقلي حتى الأعوام الأخيرة من حياتها .

واغلق الموت حقبة من الزمن في حياتنا الأدبية ، بما لها وما عليها ، وكان تأثيرها في مجال الابداع والنقد قويا مثمرا ، فأثرت حياتنا الأدبية في مجالات الشعر والنثر ، والتأليف والصحافة .

وبينما صالون مي يغلق ابوابه تعرضت الحياة الاجتماعية في مصر لرجات عنيفة ، وتغيرات عميقة ، فخرجت المرأة الى مجال العمل في أعداد كبيرة ، وملأت الفتيات المدارس والجامعات ، ولم تعد المرأة شيئا نادراً يجهد الانسان وراءه ليراه او يحاوره ولم تعد الأبنية في معمارها الحديث الضيق والمدينة في امتدادها المترامي ، تشجع على مثل تلك الصالونات ، فحلت مكانها المنتديات في دور الصحف ، وفي المقاهي ، وعرفت القاهرة في الأربعينات ، والحقبة التي تلتها قهوة الحلمية في الحلمية الجديدة ، وقهوة القزاز في باب الخلق ، والفيشاوي في حي الحسين ، ومقاه اخرى خلفت ما اندثرت منها ، او انحط مستواها ، وفي الوقت نفسه حاولت بعض المتأدبات في مصر وسورية اقامة مثل هذه الصالونات ، ونسين ان الزمن غير الزمن ، وان الناس غير الناس ، فجاءت محاولتهن تقليدا شائها ، تفتقد الأصالة والغاية وانتهت كلها إلى لا شيء .

الطاهر احمد مكي

مدينة الناقة

إحدى عجائب الأرض التي عاشت فوقها قبيلة ثمود

بقلم: فوزي الخميس

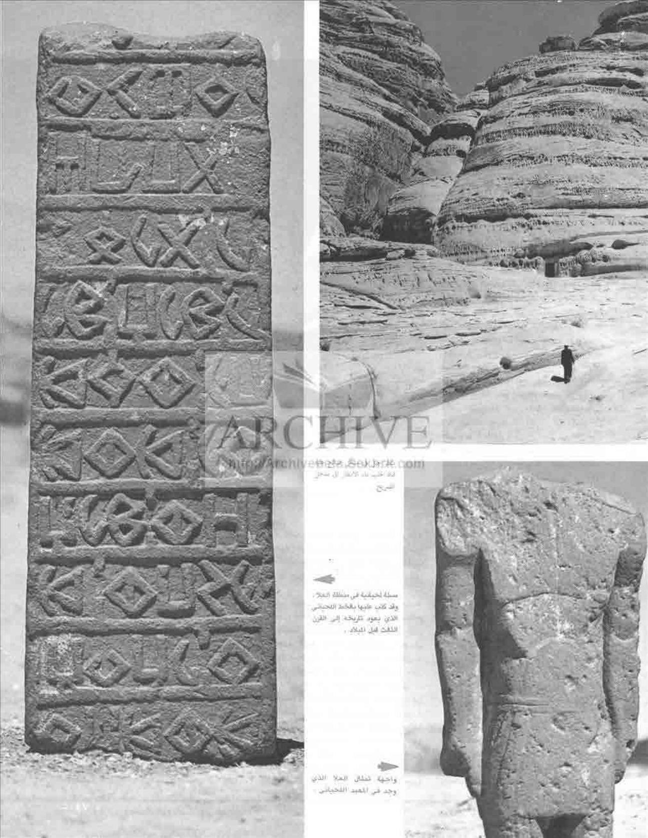
[illegible]
لانسان يلبس الحزام ، وهو شاهد
قبر عثر عليه في منطقة العلا .

إنها الحجر .. مدينة الناقة .. او مدائن صالح .. او ارض الثموديين .. ارض بعض العرب البائدة !

وهي إحدى العجائب على الأرض .. تزخر باعذب الحكايات في عمق التاريخ ، فعلى ارضها عاش منذ زمن قديم قوم ، مسهم الغرور بالمال ، ودعاهم احساسهم بالأمن في مساكنهم الجبلية القوية الى ممارسة لون من الحرية العابثة ، التي جعلتهم يسخرون بالقيم والمبادىء الأخلاقية .. فكذبوا نبيهم صالحا .. وعقروا ناقة الله ، فباءوا بسخطه وغضبه .. واصبحوا عبرة للمعتبرين !

ترى ما هي قصة الثموديين ؟ وكيف نحتوا قبورهم في الصخر ؟ .. ولماذا كذبوا نبيهم ؟ .. ومن اي هذه الجبال خرجت الناقة ؟

إجابات كثيرة .. ومعلومات اكثر .. نضيفها إلى معلوماتنا لو تابعنا الحكاية منذ البداية ..



مسلة لحيانية في منطقة العلا، وقد كتب عليها بالخط اللحياني الذي يعود تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

واجهة تمثال العلا الذي وجد في المعبد اللحياني.

رؤوسكم ، ومروا مسرعين ، خوفا من ان يلحقكم عذابهم ، فهم يعذبون في منازلهم الى يوم الدين » .. ولهذا كنت اردد في اعماقي : اللهم لا تجعلني مخالفا لأمر رسول الله .. اللهم سهل مهمتي ، واخرجني من هذا المكان بالسرعة التي اقر بها رسولك ووفقني في نقل العبرة لأولي الألباب !

جزاء الغرور والسطوة

لقد عاش على هذه الارض اقوام كثيرة ، وتعاقبت عليهـا مجموعـات عديدة من القبائل ، اهم واشهرها قبيلة ثمود ، او قوم صالح ، وهم من قدماء العرب الذين اصابوا حظا وافيا من النجاح التجاري ووفرة المال ووصلوا الى درجة عالية من الرفاهية في العيش والسيادة بين الناس ، وكانوا اقوياء شديدي الباس فاغتروا بانفسهم وقوتهم وباسهم واخذ الغرور والفساد والتسلط برؤوسهم ، فارسل الله لهم نبيا هو صالح بن عبيد لياخذ بيدهم الى طريق الهداية ، ولكنهم كذبوه .

● « إذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون .. اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ، إن اجري إلا على رب العالمين » ..

● « اتتركون في ما ها هنا امنين ، في جنات وعيون ، وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ، فاتقوا الله واطيعون ، ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون » .

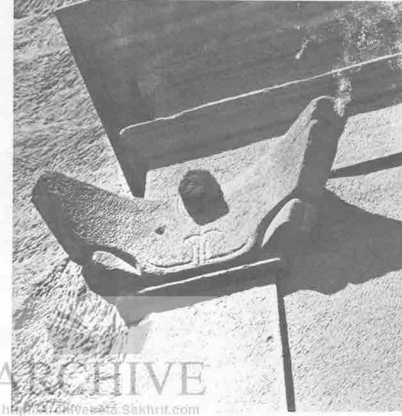
● قالوا .. إنما انت من المسحرين ، ما انت إلا بشر مثلنا ، فات باية إن كنت من العارفين » ..

● « قال .. هذه ناقة .. لها شرب .. ولكم شرب يوم معلوم ، ولا تمسوها بسوء .. فياخذكم عذاب يوم عظيم » ..

● « فعقروها ، فاصبحوا نادمين ، فاخذهم العذاب ، إن في ذلك لآية ، وما كان اكثرهم مؤمنين » ..

الابواب المحكمة

وعندما ارتفعت الشمس ، وارتفعت درجة الحرارة قليلا ، تلقينا دعوة لزيارة حرس المنطقة في معسكرهم ، والسلام على الأمير ، الذي استقبلنا بالحفاوة والاكرام ، وحملنا السلام الحار الى القطريين على



تفاصيل لتاج عمود نبطي يعلو واجهة احد الابنية .

كلنا نعرف ان ارض مدين ودادان في التـاريخ جـزء من المملكـة العربيـة السعودية ، وان هذه المنطقة تمتد من «المدورة» حدود المملكة مع الأردن الى شمال المدينة المنورة ، وذلك في شريط يصل طوله الى الف كيلومتر ، تتناثر فيه ابرز مدن واثار ما قبل الاسلام مثل تيماء ، وخيبر ، والعلا ، ومدائن صالح ، والقرية ، وغيرها من المناطق التي كانت تقع على الطريق التجاري بين الجزيرة العربية والشام ..

ولو توقفت عند كل اثر من تلك الاثار لاحتاج الأمر مني الى سنوات ، ولذا قررت ان اركز على مدائن صالح او «الحجر» باعتبارها من اهم مدن تلك المنطقة واكثرها حشدا بالقصص والمعلومات ..

ان مدائن صالح تبعد عن مدينة «العلا» الى الشمال ، حوالي ١٥ كيلومترا ، وهي تابعة إداريا الى «العلا» التي تقع شمال المدينة المنورة ، في وادي القرى .. وقد كانت «العلا» ذات الاسم الحديث واحة تاريخية لعبت دورا هاما عندما كانت قصرا للدادانيين والمعينيين ، وقد استولى عليها الانباط بين القرن السادس والثالث قبل الميلاد ..

وقد جاءت في القرآن الكريم باسم «الحجر» كحاضرة ثمود قوم نبي الله صالح والمنطقة كما عرفنا قبل زيارتها ، تشتمل على عدة كهوف ومقابر منحوتة في الجبال الرملية المتقاربة ، وقد كانت تلك المدافن — كما تدل نقوشها — مقابر لاقوام كثيرة ممن حكموا المنطقة من انباط ورومان وعرب ..

وعندما دخلناها قبل شروق الشمس ، في عز الشتاء ، كانت أطرافنا ترتعد من البرد ، وعيوننا تحدق بحذر ودهشة وقلوبنا يملاها الخوف .. فنحن نتوجه الى مكان قوم ما زالوا يعذبون حتى الآن ، وسيبقى عذابهم مستمرا الى يوم الساعة ، فقد قال الرسول الكريم عنهم : « إذا مررتم بارضهم ، فكمموا

المستويين الرسمي والشعبي ، وأبدى اعجابه باذاعة قطر لما تقدمه من اخبار صادقة في نشراتها ..

وعلى انغام رنة فناجيل القهوة ، بعد التمر والزبدة الطبيعية ولبن الجمال ، تحدثنا كثيرا عن مدائن صالح ، وكان ابرز ما في ذلك الحديث ان الاجانب يهتمون بالآثار اكثر من العرب ، وبحثنا معه الأسباب ، واختلفنا بالطبع ، وودعناهم منطلقين نواصل رحلتنا ، في مدائن صالح او « الحجر » مدينة الناقة ..

وقد كان الناس يعتقدون ان تلك القبور التي في مدينة الناقة هي منازل وقصور الثموديين ـ بقايا عاد ـ وجاء القرآن الكريم يروي قصص الغابرين من البشر .. ووضح الفرق بين القبور والمنازل ..

وقبل حوالي عشر سنين ، هطلت على المنطقة امطار غزيرة ، سالت على إثرها السيول ، فجرفت التراب ، وبينت المدينة الثمودية المدفونة ، على اثر ذلك شكلت حكومة المملكة العربية السعودية ، لجنة للتنقيب عن هذه المدينة ، واعتقد ان السنوات القادمة ستكشف عن اهم آثار هؤلاء القوم ، من خلال مدينتهم المدفونة وقبورهم المكشوفة ..

إن نحوت هؤلاء القوم على الابواب وطريقتهم المحكمة في صنعها واحكام إغلاقها على القبور ، يدل على ان الاقوام البائدة من ثمود ، كانوا اناسا عاديين ، وليس كما يقال بانهم من العماليق ، او انهم اناس غير عاديين !

تفاصيل الافريز على واجهة مبنى في «قصر البنت» مزدانا بنحت « ابو الهول » والنجوم الدائرية .

وقد راينا على واجهات المقابر تماثيل وصورا ورءوسا خرافية وثنية يعود نحتها الى القرن الثاني قبل الميلاد .

وتوجد بالقرب من منطقة المقابر آثار مستوطنات ، ربما كانت في الزمن القديم بيوتا لسكان مدائن صالح في العصور المختلفة .. كما راينا بعض الاواني المنحوتة من الصخر ، والتي كانت تستعمل للحليب الذي تحلبه الناقة !

وعند بئر الناقة الرئيسي ، الذي مضى عليه اكثر من تسع الاف سنة ، كانت تقف الناقة عند الزروع الممتدة اكثر من كيلومتر ، وتمد رقبتها لتشرب من هذا البئر !

وقد جاء الاتراك فبنوا عليه هذه القلعة وحصنوه لشرب الحراس من الداخل ، وربطوه ببئر اخرى خارج القلعة بواسطة قناة داخلية ليشرب منه الآخرون ، وهذا إضافة الى بركة ، خصصت للحجاج ، بحيث يتوقفون عندها ، يشربون ويغتسلون ويتزودون بالماء ..

ومازالت من آثار الاتراك في هذا المكان ، بقايا سكة حديد الحجاز ، حيث كانت القطارات تتوقف عند مدائن صالح ، تتزود بالماء والوقود ، وكانت الخدمات تقدم في المدينة للقطارات والحجاج على السواء !

كيف نشأت ؟

ولكن كيف نشأت مدينة الحجر او مدائن صالح ؟

إن تنوع آثار الحجر وفنونها المختلفة يدل على ان حياة ازدهار المنطقة يعود الى الآف السنين ، فقد ظلت تلك المدائن لزمن طويل ، تتلقى تجارة الشرق القادمة من الموانىء العربية في الجنوب ، وتصدرها نحو الغرب بواسطة موانىء سوريا في الشمال ..

ويلاحظ ان مقابرها تشبه مقابر البتراء عاصمة الانباط القديمة التي تقع الآن في الاردن .

ولا يعرف بالضبط ما إذا كان الانباط قد فكروا في إمكان تعرض معقلهم الاساسي في البتراء للخطر ، خصوصا بعدما قوي ساعد الدولتين الكبريين في الشرق الادنى ـ مملكة البرثيين الفرس ، وامبراطورية البيزنطيين التي تحكم كامل سوريا الكبرى . وبذلك فهم قد انشاوا لهم طريق رجعة بتشكيلات المدن الداخلة اليوم في المنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية قريبا من الحدود الاردنية ، والتي وان لم تبلغ مبلغ بتراء في الضخامة إلا انها تحمل طرازها المعماري وتعتبر في بعدها اقل تعرضا للاخطار ..

قد يكون ذلك هو السبب في نشوء الحجر (وتعني ايضا تحتجر) في المواقع الثابتة نسبتها الى قوم ثمود من العرب



في الحجر او مدائن صالح او مدينة الناقة .. إحدى عجائب الأرض التي تزخر باهم الحكايات في عمق التاريخ



كاتب المقال امام اثر في مدائن صالح

البائدة ، وهم الذين كذبوا النبي صالحا عليه السلام فباءوا بسخط مهلك من الله تعالى ..

وربما كان السبب مجرد انتشار واتساع رقعة دولة الانباط عهد الملك الحارث الرابع الذي أوصل ملك الانباط الى قمة عظمته واتساعه .

وايما كان الحال فان الحجر التي كذبت المرسلين شانها شان البتراء في استهداف القصد التجاري من انشائها وسكناها ، فهي تقع على شريان التجارة في العالم القديم ، وهي نفس « اجرا » التي اشار اليها المؤرخ القديم سترابو ، وقد اشار لها المؤرخ بلانيوس على انها مقر القبيلة التي سماها «ليانيته» ويرى مؤرخون عرب واجانب انها هي مدائن صالح ، فيما يرى آخرون ان المدائن انما هي موقع « العلا » القريبة من الحجر ، ويدفع اخرون بانهما في الواقع كيان واحد رغم المسافة القليلة الفاصلة بينهما .

ويرد ذكر الحجر في مؤلفات الهيلدنيين كبطليموس كما ذكرها المؤرخ البيزنطي اسطفانوس .

بقايا المدينة

وقد عثر على عدد من النقوش في مدائن صالح جعلت بعض المؤرخين يعتقدون بوجود علاقة بين الحجر او المدائن وبين دولة المعينيين (معين) في اليمن .. ويتردد اسمها في الكتابات القديمة على عدة الفاظ كـ حجرو ، هجرو ، الحجر . وهي نفسها الحجر المذكورة في القران الكريم ، ومؤلفات المؤرخين المسلمين من بعد وفي تحديدهم ان الحجر هي ديار ثمود ناحية الشام عند وادي القرى . وقد تضاءل شانها في الاسلام حتى لم تعد في القرن الثالث الهجري سوى مجرد معلم من اثار يمر بها الناس معتبرين ، وتمتد خرائبها حتى وقتنا الحاضر بين جبل الثلث وموقع قصر البنت وخط سكة حديد الحجاز حيث يرى عابر السبيل هناك آثار حصن قديم وبقايا أبراج وآثار اسوار متعددة .. اما الاثريون فقد عثروا على تيجان اعمدة قديمة ومزولة شمسية ونقود نبطية ترجع الى عهد الحارث الرابع ملك الانباط المشهور ، وبينما بعض آثار البيوت له اسس حجرية ، فان سائر الجدران تبدو وكانما بنيت من اللبن (الطوب المجفف) ، والى الجنوب منها تمتد خرائب العلا .

وقد عثر في هذه الخرائب على قبور من بقايا مدينة الحجر القديمة منقوشة جدرانها نقشا فيه جمال وذوق ، ولا سيما المقبرة العائدة الى القرن الاول قبل الميلاد ، وهي تتالف من حجرات نحتت داخل الصخور ، وبينها دروب تفضي من الواحدة الى الاخرى ، وهي قبور الاسر او فروع القبائل ، ومنها الموضع المشهور بـ « قصر البنت » المنحوت داخل احد التلال ومدخله الخارجي يرتفع عشرين مترا وقد كثرت فيه الزخارف والنقوش بما يشعر باهمية الثاوين فيه .

وهنالك المعبد الذي يناظر معبد بتراء ، وهو مثله مبني على سطح قمة جبلية في جبل اثلب وينهض على قاعدة مربعة عرضها عشرة امتار وطولها اثنا عشر مترا وعلو سقفها ثمانية امتار ، وعرض مدخلها حوالي ثمانية امتار ونصف بارتفاع سبعة امتار ، وعلى جانبي المدخل هذا عمودان من الحجر ، وهناك معبد اخر اقل شانا على مسافة (١٥٠) مترا من جنوب جبل اثلب ، ويعتقد ان ثمود ايضا هم بناة (القرية) في الحجاز وهي اطلال تمتد على مسافة خمسة واربعين ميلا الى الشمال من تبوك في ارض (حسمى) وقد وجدت بها كتابات يونانية ونبطية ورد فيها اسم الامبراطور الروماني ماركوس أوريليوس انطونيوس ، ولوقيوس اوريليوس فيروس .. ويبدو ان النبط في اخر ايام عهدهم قد ركزوا اهتمامهم بهذه المناطق المبتعدة عن عاصمتهم المهددة بالتدخل الروماني المتكرر وربما كان معبد (القرية) عائدا الى القرن الثاني قبل الميلاد ..

ويستدل من الرواية القرانية التي هي الحق بعينه ان هؤلاء الناس اصابوا حظا وافيا من النجاح التجاري ووفرة المال فمسهم الغرور ، ودعاهم الاحساس بالامن في مساكنهم الجبلية المنحازة الى اطراف الصحراء الى ممارسة لون من الحرية العابثة ، والسخرية بالقيم والمبادىء الاخلاقية ، الى ان اراد الحق جل جلاله ان يجعلهم عبرة للناس حيث لم تغن عنهم مساكن الحجر الوطيدة فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم .

فوزي الخميس



شكل (١) بجوار القارب المنطلق على صفحة البحر نقط الناس أيضا على الماء دون أن تغوص فيه ترى ، كيف حدث ذلك ؟ .. راجع المقال .

على هامش ظواهر حيّرت الناس

ومنهم من يمشي على الماء
ومنهم من يطير في الهواء !

بقلم د. عبد المحسن صالح

تواترات الأخبار — ولا تزال — عن بشر رآهم الناس رؤية العين وهم يمشون على الماء . أو يحلقون على ظهور الخيل في الهواء . وطبيعى أن مثل تلك الظواهر تعتبر غريبة أشد الغرابة لأنها تتنافى مع المنطق . وفوق ذلك فهى تخرق الشرائع الطبيعية . وتطيح بقوانين الجاذبية !

ولقد ورد ذكر تلك الظواهر في التراث اليوناني والروماني وغيره .. أى من أزمنة مختلفة ، وأمكنة متفرقة . وعقائد متباينة . وطبيعى أنه لا يوجد دخان بدون نار . كما أن الناس لا تجمع — عادة — على باطل . فهذه الاقوال لها بالفعل مايبررها ، اذ من المحتمل أن ترى العين انسانا وكأنما هو يخطو على الماء الى أن يختفي عن الأنظار .

ولا شك أن العقل البشرى الحائر يحاول جاهدا أن يبحث عن تفسير لمثل تلك الأحداث الغريبة . لكن غالبا ماتعييه الحيلة . عندئذ لايجد أمامه الا أن يطلق لخياله العنان . ويعلل ما رأى بحكاية أو أسطورة تنطوى على شيئ من الشفافية والكرامات والبركات .





شكل (٢) اذا سكن الهواء ، وارتفعت الحرارة ، تأثرت طبقاته الملامسة لسطح الأرض أو الشارع ـ لتصبح أكثر سخونة ، وأقل كثافة ، وفيها تتكسر الأشعة ، وتنعكس إلى العين بجيودها ، فترى الطريق مبتلا كما هو واضح بالصورة .



شكل (٣) سراب الصحراء وتبدو فيه التلال والجبال وكأنما قد أنعكست صورها تحت مستوى الأفق . وبهذا تخدع العين . وتهيأ لها أنها ترى ماء .

الصورة خير دليل

والآن : ما رأى العلم في مثل هذه الظواهر المحيرة ؟ . . واذا كانت قد حدثت حقا ، فكيف يمكن تفسيرها ؟ . .

الواقع أن الظاهرة صحيحة . لكن اذا كانت بضاعة الناس في هذا المجال كلاما يرددون فيه ويحورون ، دون أن يستطيعوا تقديم الدليل الملموس على ما يقولون ، فان العلم قد التقط الدليل بصور دامغة ، وبحوث هادفة . ولقد قدمنا منها هنا واحدة ، لتكون خير شاهد على أنه بالامكان الظهور فوق الماء ، ودون أن يغوص فيه من يسير عليه (شكل ١) .

الصورة ـ كما تبدو ـ لشابين واقفين على الماء ، ونحوهما يتجه قارب على ظهره بعض الأفراد ، وهي صورة حقيقية ، وقد التقطها دكتور آليستار فريزر ، استاذ علم الأرصاد والظواهر الجوية بجامعة بنسلفانيا الأمريكية ، وعرضها ضمن دراسة له على صفحات مجلة علمية امريكية مشهورة (سايتنفيك امريكان) .

ومع أن الظاهرة صحيحة ، الا أنها ـ مع ذلك ـ لا تنطوي على معجزات أو كرامات كالتي يتحدث بها الناس عندما رأوا شيئاً شبيها بهذه الصورة ، فهذان الشابان اللذان تراهما يقفان على الماء ليسا هناك بشحمهما ولحمهما ودمهما ، بل إن مكانهما على الشاطئ . ومع ذلك فيمكن رؤيتهما ـ في نفس الوقت ـ على الماء ، وبعيداً عن الشاطئ بكيلومتر أو أكثر !

ما هذا التناقض الذي يشبه الهراء ! . . مرة نقول انهما على الشاطئ ، وأخرى نقول أنهما على الماء ! . . فما هي الحكاية بالضبط !

الحكاية ابسط مما نتصور ، ثم أن التناقض غير وارد ، فالاصل على الشاطئ ، والصورة على الماء ، وهي لعبة جديدة من العاب الضوء مع الهواء ، كما لعب الضوء لعبته قبل ذلك مع قطرات الماء ، فظهر بها هالات وأقواس وصلبان كان للأقدمين فيها حكايات وروايات (انظر دراستنا السابقة على صفحات هذه المجلة) .

لكن اللعبة هنا مختلفة ، لأن الأشعة الحرارية تؤثر في الهواء عندما يسكن ، وتجعل طبقة منه أعلى حرارة من الأخرى ، وقد تكون الطبقة الملاصقة للارض اسخن أو أبرد من الطبقة أو الطبقات التي تعلوها ، وبهذا تصنع ما يشبه عدسة هائلة ، فينكسر الضوء فيها ، ثم ينعكس الى عيوننا ، فيرينا الأشياء في غير موضعها ، أو يرسم لنا صوراً في الهواء أو على صفحة الماء أو في الصحراء لأشياء غير موجودة ، وسوف نوضح ذلك أكثر في نهاية تلك الدراسة .

إن صورة الشابين على الماء ليست إلا نوعاً من

شكل (٥) السفينة أو العبّارة التي قد يظهر لها أحياناً سراب يتخذ أشكالاً شتى . لاختلاف كثافة طبقات الهواء ، وإزاحتها من مكانها بنسيم خفيف (أنظر الصور التالية) .

شكل (٤) صورة لسراب معلق . وفيه نرى بعض المعالم الأرضية وكأنما هي سابحة فوق الأرض في الهواء ، وعدم الوضوح يرجع الى عدم ثبات الطبقات الهوائية التي تحرف الضوء عن مساره .



الخداع البصري لنفس الشابين وهما يخطوان على الشاطئ . وهذه الظاهرة الغريبة نوع خاص ونادر من السراب . صحيح أننا نعرف سراب الصحراء ، أو حتى نراه يمتد على صفحة شارع مرصوف في يوم حار سكن هواؤه ، فيبدأ الينا أن الشارع مبتل (شكل ٢) ، حتى إذا وصلنا الى حيث كان البلل ، لم نجد للماء أثراً . ومع أن الخدعة هنا لا ضرر منها ، إلا أنها في الصحراء قد أضلت المسافرين المحتاجين للماء ، اذ هم في تيههم يحسبونها واحة فيحاء . ويشدون لها الرحال ، لكنهم لن يجدوا شيئاً ، ومن أجل هذا ، فقد أطلق عليها البعض اسم بحر الشيطان . فكأنما الشيطان — في عرفهم — قد زين لهم بحراً ، ليخدعهم ويضلهم ويسخر منهم . لكن السخرية قد جاءت من انكسار الضوء في طبقات الهواء . ليكون ذلك النوع من السراب الذي يخدع العين ، وينشئ بحيرات ذات ماء (شكل ٣) .

قلاع في الهواء

هل يعني ذلك أن السراب يتخذ صوراً أخرى ؟ بالتأكيد نعم . فقد خدع كاتب هذه الدراسة يوماً في رؤية مدينة معلقة في الهواء فوق مياه البحر الأبيض المتوسط . وكان ذلك بالتحديد في أحد أيام شهر مايو عام ١٩٧٦ . وفيه ارتفعت الحرارة ، وسكن الهواء ، وخيم على البحر واليابسة جو خانق قلما يحدث . وبينما كنت أنظر الى البحر قبيل غروب شمس ذلك اليوم ، شاهدت — من الطابق الخامس لبناية تقع على شاطئ مدينة الأسكندرية — جزءاً من المدينة معلقاً فوق البحر ، وعلى مسافة تبعد عني بحوالي خمسة كيلومترات — على حد تقديري ، وناديت مضيفي — وكان ضابطاً بالبحرية المصرية — ليرى ما رأيت . فلعل البصر قد زاغ . لكنه رأى ما رأيت . ولم تطل حيرتنا ، فلطالما قرأت في مراجعي عن مثل تلك الظواهر الفريدة دون أن أراها . لكن ما ظهر في ذلك اليوم لم يكن إلا نوعاً من السراب المعلق أو المرتفع فوق الماء (شكل ٤) وهو غير السراب الواطئ أو المنخفض عن مستوى الأفق البصري .

القصة التالية أوردها ليو لوساك في كتابه «الغلاف الهوائي» . وهو يقدم لظاهرة السراب . ومحتوى القصة قريب الصلة بالظاهرة التي رأيتها فوق البحر . يقول لوساك : اندفع صبي صغير نحو منزله — الكائن في ضاحية كوكسهافن بالقرب من ميناء هامبورج بألمانيا — وهو ينادي على أمه بذعر وعصبية : أماه . هناك جزيرة معلقة في الهواء وكأنما هي تهبط من السماء . وابتسمت الأم لتهدئ من روع ولدها ، اذ حسبته يمزح . لكنه أكد لها أن





شكل (٦) هذا الشكل الغريب هو سراب للعبارة التي تراها في شكل ٥ . وهو نوع من السراب المتخفض الذي غير في نسب الأجزاء . والفرق بين الصورتين يرجع الى أن التدرج الحراري كان أكبر في الصورة السفلى عنه في الصورة العليا .

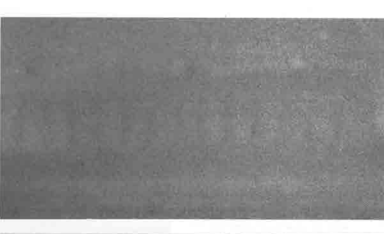
ما رآه حقيقة . وعندما نظرت من النافذة الى حيث أشار ابنها ، تسمرت في مكانها ، اذ رأت بالفعل جزيرة هيليجولاند القريبة نسبياً معلقة فوق بيتها في السماء . إلا أن تلالها الحمراء وأشجارها الخضراء بدت وكأنما هي مقلوبة في الهواء . وظلت الأم وابنها يرقبان هذا المنظر المثير وهو يتراقص أمام عيونهما ، وبهت بالتدريج الى أن اختفى بعد حوالي ثلث الساعة !

مثل هذه الأمور ترد في الكتب العلمية الخاصة بدراسة الظواهر الجوية باسم « فاطا مورجانا » Fata Morgana ... وربما كان هذا الاسم مأخوذاً عن أساطير الحي مرجان — ملك الجان التي وردت في ألف ليلة وليلة . اذ تزعم هذه الأسطورة أن أخت مرجان فاطا (وربما كان الاسم محوراً ويرمز الى فاطمة) كانت تنشئ القلاع والمدن والحدائق في الهواء . فاذا غضبت . نفخت فيها . فتزول بعد دقائق أو ساعات . وليس ببعيد أن تكون هذه الأسطورة قد حيكت لتفسر معنى السراب المعلق أو المرتفع . اذ لم يكن الانسان وقتها يملك غير شطحات خيال تفسر له ما عجز العقل عن توضيحه .

أبراج تختفي وتظهر !

لكن أجمل وأدق وصف لظاهرة السراب المعلق يجئ في خطاب كان قد بعث به القس الايطالي أنجيلوتشي لصديق له بتاريخ ١٤ أغسطس عام ١٦٤٣ . وفيه يجئ : في صباح ذلك اليوم الذي كنت أتطلع فيه الى البحر الذي يحيط بجزيرة صقلية ، رأت عيناي الشاطئ وقد ارتفع في الهواء . وظهر كأنما هو سلسلة من الجبال الداكنة . وفي واجهته تجلت سلاسل من الأعمدة التي أقدر عددها بحوالي عشرة آلاف عمود ذات لون أبيض رمادي . ثم بدا لي أن الأعمدة بدأت تنكمش حتى صارت في نصف أطوالها الأصلية . ومع ذلك فقد اتخذت هاماتها شكل أقواس وكأنما هي قد تحولت الى ما يشبه القنوات المائية الرومانية المعلقة . وقبل أن تختفي كلية ظهرت فوقها قلاع ذات نوافذ وأبراج ... » الخ

مثل هذه الصورة المعقدة من السراب توحي بأن هناك أيد خفية تعمل وتشيد وتبني وتغير نماذج البناء بسرعة هائلة لا يقدر عليها بشر . ولهذا تصور القدماء أن وراءها قوى خفية تنشئ القلاع والقصور والمدن في الهواء . ثم تخفيها عن الأعين . وكأنها لم تكن . ومن





شكل (٧) السراب المعلق أو المرتفع لنفس العبّارة . وقد جاء بهذه الصورة لأن كثافة طبقات الهواء الملامسة للماء كانت أعلى (حيث الهواء أبرد) .. والفرق بين الصورتين يرجع الى أن التدرج الحراري كان أعظم في الصورة السفلى عن العليا .

والسراب . وفي الأخير تتغير نسب الأجزاء . فيصغر بعضها أو يختفي . أو يكبر البعض الآخر . ويصبح مبالغاً فيه . كما يبالغ الرسام الكاريكاتوري مثلاً في نسب الأشكال . أو أشبه بالصور المهزوزة أو غير المضبوطة على شاشة التليفزيون . أو في المرايا ذات الأسطح غير المستوية . وهذا يعني أن السراب الناتج من حيود الضوء في طبقات الهواء (ذات التدرج المتتابع في درجات الحرارة . ومن ثم الكثافة) غير ثابت لعدم ثبوت درجات التدرج الحراري .. فأي خلل فيه يعطي خللاً مبالغاً في السراب . وهو ما نراه في الصورة السفلى من شكل ٦ . حيث تختفي السفينة حتى سطحها العلوي (لأنه سراب واطئ أو منخفض) ولا تظهر الا أجزاؤها البارزة على السطح مثل المدخنة و « الهوايات » وكابينة القيادة وما شابه ذلك . وواضح أن خللاً كبيراً قد حل بالنسب . لأن التدرج الحراري في الطبقات كان أكبر .

أو قد يحدث العكس لنفس العبارة تحت ظروف أخرى . وبحيث تؤدي الى ما يعرف بالسراب المرتفع (لأن درجة حرارة الهواء قرب سطح الماء أبرد) .. وهو ما نراه في شكل ٧ . ولكن بصورة مشوهة . اذ يبدو جسم العبّارة كحائط يبرز قليلاً فوق سطح الماء (الصورة العليا من الشكل) . وفوقه تبدو النوافذ وكأنما هي أعمدة كالتي وصفها بيلوتشي من قبل . ثم قد يتغير هذا المنظر الى تشوه بالغ . فيبدو كحائط مرتفع فوق سطح البحر . وفوق الحائط تشكيلات غير واضحة . وكل من يراها يتخيلها حسب هواه (الصورة السفلى من الشكل ٧) .

سراب مخيف

لقد قدمنا الصور السابقة لتكون بمثابة مدخل مناسب يمكن أن نتصور به ما قد يوضح لنا معنى ظهور المناظر الغريبة التي رآها الناس قديماً . ولم يستطيعوا لها تعليلاً . وربما اتخذ السراب صوراً أخرى أعظم تشكيلاً . وأكثر اثارة . اذ أحياناً ما يحدث التكبير أو التصغير للأشياء المحسوسة . فتظهر بصور أخرى على شاشة غير منظورة في ثلوج القطبين . أو على سطوح البحار والمحيطات . أو في الصحاري ..

تذكر بعض الكتب التي تناولت دراسة الظواهر الجوية قصة غريبة حدثت للجيش الفرنسي أثناء غزوه لمصر في عام ١٧٩٨ . اذ رأى الجنود أثناء تقدمهم أرضاً مبتلة موحلة على مدى البصر . وفي هذه الأرض بطريقة غريبة . وبحيث يتمخض هذا الحيود عن صورة مثيرة لا تمت كثيراً لصورة العبّارة .. ففي فترة زمنية ترى للعبّارة سراباً . وكأنما هي قد غاصت في الماء . وبحيث لا تستطيع أن ترى منها إلا كابينة القيادة والهوايات والمدخنة ومؤخرة السفينة ونوافذها التي تتراص فوق سطحها (شكل ٦ — الصورة العليا) ..

لكن .. لماذا ظهرت النوافذ . وكأنها أعمدة مرصوصة . أوكأنما السراب هنا يوحي في شكله العام بوجود قصر عائم على الماء . وللقصر أعمدة كثيرة تنتظم على واجهته . ومن أوله الى آخره ؟

الواقع أن ذلك يرجع الى أن « العدسة » الهوائية ليست شيئاً مجسداً وثابتاً . بل هي دائمة التغير مع أية حركة طفيفة للهواء . وبهذا تختلف النسب بين الأصل هنا ظهرت أساطير الجن والمردة والعفاريت وما شابه ذلك .

لكن .. كيف يمكن تفسير مثل هذا المشهد المعقد حقاً ؟ .. وهل يمكن أن يتمخض السراب عن كل هذه النماذج التي رآها الجيلوتشي أو غيره ؟

الواقع أن الأستاذين ا . ب . فريزر . و هـ . ماخ قد قدما لنا في هذا المجال دراسة ممتعة . وفيها يحللان السراب مدعماً بالصور والشرح (التي لا يتسع لها المجال هنا) . ومع ذلك دعنا نقدم شيئاً قريباً مما رآه القس منذ أكثر من ٣٤٠ عاماً . وعرضه كل من فريزر وماخ . ولقد بدأ هذا العرض بعبارة أو سفينة ترى صورتها ضمن هذه الدراسة (شكل ٥) . لكن الاختلاف بين كثافة طبقات الهواء التي يعلو بعضها البعض قد تلاعب بأشعة الضوء فحادت عن سبيلها

ومنهم من يمشي على الماء ومنهم من يطير في الهواء!



شكل (٨) هكذا يبدو السراب المعلق لسفينة على سطح بحيرة كل منها شاهد عيان وقد جاء السراب بصورة مكبرة . وظهر وكأنما له ظل مقلوب .

ظهرت بحيرات ثم اختفت . لكن الذي أفزع الجنود أن الحشائش قد تحولت في الهواء الى ما يشبه النخيل المعلق . ثم ما يلبث أن يختفي ليظهر . كما ظهرت بعض معالم المنطقة مقلوبة . وهنا ، ركع الجنود على ركبهم ، وأخذوا يبتهلون الى الرب لينقذهم من النهاية المدمرة للعالم « ... على حد وصف بعض تلك المراجع ! ... »

ويقال أن الوحيد الذي توصل الى السر هو عالم الفيزياء الفرنسي جاسبارد المصاحب لجيش الغزو . اذ تقدم نحو الجنود المذعورين وأفهمهم بأن هذه اللعبة الخادعة ليست إلا ظاهرة من ظواهر السراب !

وفي الحرب العالمية الأولى ، وبينما كانت المعركة قائمة بين الألمان — وكانوا كثرة . وبين الانجليز ، وكانوا قلة . وذلك بالقرب من مدينة مونز ببلجيكا . تراجع الألمان عندما رأوا ما يشبه الخيول التي يمتطيها فرسان وهي تحلق فوق ميدان المعركة . ولقد انتشرت هذه القصة بعد أن كتبت عنها جريدة « الأخبار المسائية — ايفننج نيوز » البريطانية ، ثم أكدها بعض العائدين من المعركة ، لكنهم لم يذكروا أسماءهم ، خوفاً من اتهامهم بالخبل ، واعتبروا هذه الظاهرة معجزة أو نجدة جاءتهم من السماء . وبهذا انقذتهم من إبادة محققة على أيدي الألمان . وربما بالغ الجنود فيما شاهدوه وهم في محنتهم وذعرهم . مثلما اعتقد الفرنسيون أن النخيل قد تراقصت أمامهم في الهواء ، ولم تكن إلا حشائش كبرتها « العدسة » الهوائية ونقلتها على « شاشة » الهواء !

وفي كتاب « الأجسام الطائرة المجهولة » الذي كتب فصوله ١٦ عالماً من تخصصات مختلفة ، يذكر دكتور دونالد مينزل أستاذ الفيزياء الكونية بجامعة هارفارد في الفصل الذي كتبه بعنوان : « اليوفو ، (أن الأطباق الطائرة كما يطلق عليها العامة) — الأسطورة العصرية — يذكر : أثناء عملي في البحرية الأمريكية كضابط رادار في الحرب العالمية الثانية ، ورئيساً لقسم البحوث الرياضية والفيزيائية بالاتصالات البحرية . حدث أن ظهر للمدمرة الأمريكية هدف في البحر الأبيض المتوسط ، وفتح الجنود النيران . وظلوا يطلقون قذائفهم حتى غاص الهدف في الأعماق . ولم يظهر له أثر . ثم تبين فيما بعد أن الجنود كانوا يطلقون قذائفهم على سراب . اذ لم يكن الهدف المزعوم إلا انعكاساً لجزيرة مالطة البعيدة !

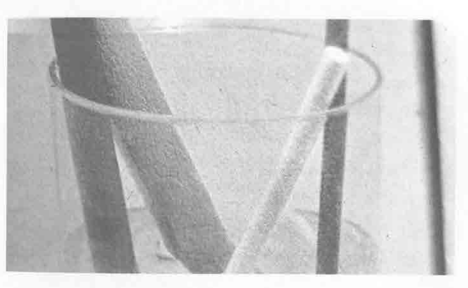
وفي كتابه الممتع « بين الأرض والفضاء » يذكر لنا دكتور كلايد أور الأستاذ بمعهد جورجيا للتكنولوجيا بالولايات المتحدة الأمريكية ظاهرة أخرى للسراب . فيقول « لقد شاهد بحارة البحر الأبيض المتوسط بدهشة بالغة ظهور جزيرة نائية في المياه الواقعة بين مالطة وصقلية . وعندئذ كانوا يتوجهون اليها ليكون لهم سبق امتلاكها . لكن أمامهم كانت تتبخر عندما يكتشفون أن ما ظهر لهم لم يكن في الحقيقة إلا جبل « إتنا » الذي انعكست صورته كسراب على صفحة البحر !

ومن الظواهر الغريبة التي يذكرها أيضاً أن ركاب عابرة المحيطات « موريتانيا » قد وقفوا مشدوهين وهم يرقبون سفينة بضائع ضخمة وكأنما مؤخرتها قد ارتفعت في الهواء ، ثم انشطرت الى نصفين . وركب أحدهما الآخر . ثم يذكر بعد ذلك شيئاً مثيراً حدث على سطح بحيرة نيس باسكتلندا . اذ ظهرت سفينة وكأنما هي قد تركت الماء . وأبحرت في الهواء . وكان لها فيه ظل مقلوب (شكل ٨) .

خدعة الجبال على الثلوج

لكن المزاج او الخدعة الكبرى لحيود الضوء عن مساره في الهواء قد جعل العالم يظل زهاء مائة عام وهو يتحدث عن أرض أطلق عليها المكتشفان الانجليزيان جيمس وجون روس اسم « كروكرلاند » . فعندما توجها في رحلتها البحرية تجاه القطب الشمالي في عام ١٨١٨ ليستكشفا ممراً مائياً قيل أنه يفصل بين محيطي الباسيفيكي والاطلنطي في شمال غرب كندا . توقفا في نهاية الرحلة حيث ظهرت لها سلاسل من الجبال العالية وكأنما هي تسد عليهما طريق الابحار . وعندئذ عادا ليعترفا أنه لا يوجد أثر لهذا الممر المزعوم . ونفس الشئ حدث للأدميرال الأمريكي روبرت بيري في عام ١٩٠٦ . اذ وقف ينظر بانبهار لتلك الجبال البيضاء — جبال كروكرلاند التي رآها الأخوان روس من قبل

وأثارت هذه الأرض الجديدة اهتمام هيئة المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي . ورصدت لها ٣٠٠ ألف دولار لاستكشاف ما يمكن أن يوجد فيها . أو مايقع



شكل (٩) عندما توضع الأشياء المستقيمة في كوب به ماء ، تبدو وكأنما هي مكسورة أو بها حيود ، بل جاء ذلك نتيجة لحيود في مسار الضوء بوسطين ذوى كثافتين مختلفتين .



وراءها من ثروات أو كائنات . وبالفعل قامت رحلة بحرية ثالثة في عام ١٩١٢ بقيادة دونالد ماكميلان . وفي طريقة الى كروكرلاند لا في الأهوال . لكنه في النهاية وصل اليها ليجدها أمامه وكما وصفها السابقون . ولم يستطع أن يتقدم بسفنه لكثرة العوائق . فنزل مع بعض رفاقه للسير على الأقدام . لكن المسافة بينه وبين تلك الجبال ظلت ثابتة . فكلما تقدموا تراجعت هي الى الوراء . واذا وقفوا توقفت . وأثار ذلك حيرتهم وخوفهم وفضولهم . وظلوا يسيرون حتي غروب الشمس . وعندئذ بدأت الجبال تختفي . وامتدت أمامهم أرض مستويةمغطاة بالثلوج على مرمى البصر . ونظر الرجال بعضهم الى بعض . وكأنهم لا يكادون يصدقون مايرون . فهذه هي أكبر خدعة وتضليل ومزاح سخيف — لعبه السراب بالانسان — على حد تعبير واحد منهم . اذ هيأ حيود الضوء في الهواء الملامس للثلوج جبالا لم تكن موجودة في يوم ما على الاطلاق !

القصص بعد ذلك كثيرة . وظواهر السراب غريبة . والتفسيرات القديمة ساذجة ومريبة . لكن كل ذلك يرجع الى انكسار الضوء اذا مر من وسط ذي كثافة أصغر الى وسط آخر ذي كثافة أكبر . ولكي تتأكد من ذلك . فعليك احضار كوب ملآن بالماء . وضع فيه قلما من الرصاص أو أى شئ آخر مستقيم . عندئذ ستجد القلم وكأنما هو عند التقائه بالماء قد انكسر . أو بمعنى أوضح ليس قلما مستقيما . بل معوجا . لكن القلم بالتأكيد سليم . ولقد جاءت الخدعة من انكسار الضوء او حيوده قليلا عن مساره في الماء . لأنه أكثف من الهواء (شكل ٩) .

ولقد تعودت عيوننا على استقبال الأشعة الضوئية من مصادرها في خطوط مستقيمة . لكنها اذا انحرفت أو حادت عن استقامتها . هيئ للعين أن الضوء لا يزال في استقامته . وعندئذ تجوز الخدعة . فنضع الأشياء في غير مواضعها (شكل ١٠) وأحيانا ماتتلاعب بنسبها . وكأنما طبقات الهواء الساكن ذى الكثافات المختلفة قد أصبحت بمثابة عدسة غير محسمة . أو مرآة خيالية . وفي هذه وتلك ينكسر الضوء وينعكس بطريقة خاطئة الى عيوننا . لنرى سرابا أو أوهاما أو خيالات فسرها الأقدمون بحكايات خرافية . وفسر المحدثون بعضه بأطباق طائرة . ولكل عصر مايناسبه . ولكل ما سعى وأدرك خرافات كان ذلك خيالا أو علما

عبد المحسن صالح



لقطتان : الأولى لطفلة فقدت حنان الأم .. وأصبح والدها مسئولا عنها .. بداية من تنظيف ملابسها وإعداد طعامها .. الى تصفيف شعرها .. واللقطة الثانية لأب وحيد .. يحاول أن يشق طريق حياته الصعب مع ابنه .. متظاهرا أمامها بأنه لايوجد مايكدره أو يضايقه .

"الرجال الأرامل..!"

"عندما يفقد الرجل زوجته ويصبح مسئولا عن تربية أطفاله..

ماذا يقول العالم .. وماذا يقول الواقع ؟"

نادية يوسف

عندما يفقد الرجل زوجته .. ويصير مضطرا الى أن ينفق كل وقته في رعاية أطفاله منفردا .. وينظر الى عمله خارج المنزل نظرة مربية الأطفال التي تقطع الطريق عائدة الى أطفالها في لهفة وشوق .. ويتكرر هذا الرجل من بيت الى بيت .. ويتكون منهم جمعية ونادى وهيئة وقضية اجتماعية .. تشغل بال أكثر من ثلاثين مليون زوج وحيد في العالم ..منهم في انجلترا وحدها مليون زوج وحيد .. كل منهم وجد نفسه فجاة وبدون مقدمات في مواجهة أبناء صغار يحتاجون إلى كساء وغذاء ورعاية وتعليم .. وأمن اجتماعى أيضا ..

لقد أصبح هؤلاء الآباء الوحيدين .. جميعا .. أعضاء دائمين في جمعية «كعكة الزنجبيل للآباء الوحيدين» .. ومهمتها بالدرجة الأولى رعاية مصالح هؤلاء الآباء .. وتبادل الخبرات فيما بينهم .. وأيضا تقديم خدمات محدودة للصغار من وقت لآخر .. بهدف تخفيف العبء عن كاهل الأزواج الذين يتولون مهمة اضطرارية .. وشاقة وقاسية .. وغير محببة الى نفوسهم على الاطلاق ..

وها هو أحدهم يحكى تجربته .. يقول :

لقد تحطم زواجى على صخرة الخلافات الزوجية

منذ حوالى ثلاثة اعوام .. تركتني زوجتي فجاة في مواجهة طفلين أحدهما في الثالثة عشرة اسمه « ريتشارد » .. وطفلة في الخامسة اسمها « سارا »

ويضيف : فجأة وجدت أنه لا يوجد ملابس نظيفة بعد أسبوع من مغادرة زوجتي للمنزل .. وكنت خلال الأسبوع أحاول أن أوفر للطفلين كل أسباب السعادة حتي لا يشعرا بغياب والدتهما .. الوقت كله .. لعب .. نزهات خارجية .. استجابة لكل طلباتهم المعقولة وغير المعقولة .. وطبعا بالاضافة الى مهمة غسل الملابس وكيها دون أدني فكرة عن ذلك .. وبالمثل .. كان لا طعام على المائدة .. الا إذا ابتعته أنا من السوق وقمت بطهية بنفسي .. ويتضاعف عذابي عندما لا يقترب أى من الطفلين من الطعام الذى انفقت في طهيه أكثر من ساعتين ..

لقد ارتكبت أثناء محاولة إرضاء صغارى ، كل الأخطاء التي يمكن أن يرتكبها طفل أثناء محاولة تجربة أى شئ جديد .. وكانت الوجبة التي يقبل عليها « ريتشارد » و « سارا » هى البيض والبطاطس المقطعة شرائح رفيعة ومقلية في الزيت .. لا لشئ إلا لأنها كانت الوحيدة التي أصنعها باتقان .. لقد بالغت في تقديمها لهما .. حتي جاء وقت وقد أصبحنا ثلاثتنا مرضي من كثرة ماتناولنا من البيض والبطاطس !

ومن الأمور المضحكة بالفعل .. أن المرة الأولى التي شرعت فيها في تنويع الغذاء ، « قررت » تحمير دجاجة .. ووضعتها في الفرن كما هى دون أن أنزع الغلاف البلاستيك من عليها !

إن « دان دين » الأب الوحيد يصف مشاعره بصدق فيقول :

لا شك أنكم تضحكون الآن من حكاية الدجاجة هذه .. ولكن أيامها وبعد الطلاق مباشرة .. كانت هذه المواقف تبدو لى كما لو كانت مأساة حقيقية أكثر منها مادة مثيرة للضحك .. لقد حاولت في العام الأول ، أن أحقق التوازن الفعلى بين العمل في المنزل وخارجه .. وكنت ألهث في محاولة لإنجاز الاثنين معا .. أصحب « سارة » الى المدرسة في الصباح الباكر .. وأعود بها مهرولا بعد الظهر لأعد طعام الغداء .. وكم من مرة اقتطعت من وقت العمل حتي أقوم بانجاز شئ هام لهما .. حتي أنني لم أستطع تحقيق ساعات عملى المطلوبة كى أحصل على الأجر الكامل الذى يفي بديوني ومتطلبات أسرتي .. وفي الوقت ذاته كنت أحاول أن أمنح صغارى بعض الأمن المفقود بمغادرة والدتهما . وهذا في حد ذاته كان مشكلة المشاكل . إذ كيف يمكن لرجل يشعر في قرارة نفسه بالفشل الذريع في تحقيق التوازن في حياته الزوجيــــة أن يمنــح للصــغار الأعــزاء

الأمن ؟ .. وكم من مرة انتهى بي الأمر أن أشارك الطفلين فراشهما .. لمزيد من الشعور بالأمن والأمان ..

ولكن هل استطاع « دان دين » الأب الوحيد أن يحقق الأمن النفسي لطفليه ؟ ..

يقول هو في أسى :

يكفي أن فقد « رينشارد — ١٣ سنة — حماسه للمدرسة .. وطبعا بدأت الحالة باهماله للواجبات المدرسية .. وأعتقد أنه يحس انهيارا نفسيا .. ولكن لم يرد التحدث معي في أى من مشاكله .. ومن ناحيتي لم أبذل محاولة من أى نوع للضغط عليه .. حتى أنه أسلم نفسه لأ صدقائه من ناحية وموسيقاه من ناحية أخرى ..

أما « سارا » — خمس سنوات — فقد بلغت في الالتصاق أكثر مما كانت أيام وجود والدتها .. لقد تخيلت لفترات طويلة أنها تحتاج لعلاج نفسي .. عندما كانت تجلس ملتصقة بأى امرأة موجودة أثناء زيارات الأصدقاء لنا ..

والخلاصة .. أنك مهما كنت أبا مثاليا في كل شئ .. فإنه لا يمكن أن تكون أما كما ينبغي ..

مواجهة الواجبات المنزلية

والحق أنها المرة الأولى التي يجلس فيها « دان دين » ليفكر في أسرته عندما تخيل في وقت ما .. أنه يمكن أن يفقد أطفاله كما فقد زوجته من قبل .. ولذلك فكر في الانضمام الى جماعة « كعكة الزنجبيل للآباء الوحيدين » .. فهناك سوف تتاح الفرصة أمامه لسماع مآسي غيره من الآباء الذين يعيشون حياة مماثلة بمفردهم مع أطفالهم .. وايضا الاستماع الى نصائحهم إن وجدت ..

ولانضمام « دان دين » لهذه الجمعية سبب آخر .. هو أن معظم أصدقاء الأسرة .. هربوا واحدا بعد الآخر بعد الانفصال .. وكان عليه أن يقوم بتكوين حلقة أخرى من الأصدقاء .. لأنه لم يكن من الممكن أن تدور حياته في حلقة مفرغة مع الأطفال فقط .. فضلا عن أن هذا الوضع لم يكن ليحقق مصلحة من أى نوع .. لا بالنسبة للأب الوحيد أو بالنسبة للأطفال .. وتعرف من خلال الجمعية على أصدقاء جدد .. قاموا بمهمة عمل ميزانية منتظمة للمنزل .. كما أشاروا عليه بضرورة أن يكسب دخلا اضافيا .. حتى بدأت حياته تسير في الطريق الصحيح مرة أخرى .. ولكن .. هل عرفت السعادة طريقها الى قلب « دان » ؟ ..

يجيب هو نفسه على السؤال :

« انني الآن أفكر أكثر من ذى قبل .. لو أنني كنت قد منحت أطفالي وزوجتي بعض الاهتمام .. لو أنني كنت حريصا على مناقشة مشاكلي معها بعيدا عن الصغيرين .. لو أنني نظمت نفسي بحيث يتبقى وقت لأرفه فيه عن زوجتي وأولادى خارج المنزل .. ها أنا الآن أهث في محاولة .. ربما تكون بلا جدوى .. لأحقق للأطفال جزءا مما كانت تحققه لها والدتهما ..

ومهما فعلت فإن هناك شيئا ما يحتاج إلى يد لانجازه .. فالعمل داخل المنزل لا ينتهي .. وبدون عيون المرأة لا يمكن للمنزل أن يستقيم .. على سبيل المثال .. الستائر .. وأغطية الفراش .. لم أكن أعرف كيف تبدوا نظيفة طول الوقت أثناء وجود زوجتي معي .. ولماذا تتسخ وتحتاج الى تغيير كل يومين بعد أن انفصلت عنها .. وأتساءل كثيرا ماذا كانت تفعل لتحقق لنا وجبة ساخنة كل يوم .. وأنا لم أتعود على ذلك .. وأفكر كثيرا أيضا .. ماذا كانت تفعل بحيث تتوافر فيه كل العناصر الغذائية ؟ .. وكيف لم أكن أسمع .. أثناء وجودنا معا .. بمرور وجبة الغذء بدون دجاج أو لحم مشوى .. أو مسلوق .. في حين أسمح لنفسي وللأولاد الآن .. بتناول وجبات محفوظة وجافة .. كل يوم تقريبا ؟ .. إن هذا العقاب الذى أجريه بيني وبين نفسي يعطيني طاقة لبذل المزيد من الجهد من أجل أن أحقق توازنا في غذاء الأطفال من الناحية الصحية على الأقل .. إن الكثيرين يقولون لى لابد وأن يساعدك أطفالك .. وهم بالفعل يساعدونني .. ولكن هل من المناسب نفسيا أن يتحمل الأطفال هذا النوع من المسئوليات .. في هذا الوقت المبكر من عمريهما ؟ لا أدرى

ومن الأمور التي تستهويني الآن .. هي كيف أشرب كوبا من الشاى دون أن أقوم أنا بصنعه .. ولكن هذا لا يتحقق أبدا .. كيف يتحقق هذا المطلب .. و « ريتشارد » — صغيرى — يطاردني بطلباته ؟ .. فهو يقضي اليوم كله خارج المنزل .. وعندما يعود في المساء يكاد يجن لأني لم أعد له حمامه .. أو أضع له الطعام على المنضدة .. أو لم أقم بغسل قميصه الكاروه ؟ .. إنه يشكو دائما من أنني لا أقوم بغسل رداء التدريب عندما يتركه في المكان المخصص للغسيل .. ويأتي يوم التدريب والرداء مازال متسخا .. بينما كانت أمه تقوم بغسله فورا دون أن يطلب منها ذلك .. إنني غالبا ما أحاول عبور هذه المنغصات التافهة مقارنة بأمور أخرى أكثر قسوة وشقاء .. وذلك حتى لا يعلو صوتي على « ريتشارد » وتصبح مشاجرة فعلية بيننا .. إنني أحاول ألا أحزنه أو أضايقه .. وأبتعد تماما عن عقابه بالضرب أو غيره .. إنني أعرف أنني أبدو له كما لو كنت غير مناسب لهذه المهمة .. ولا أستطيع أن أعاقبه بالضرب وخاصة وهو في هذه السن ..

إن « سارا » شقيقته مثلا .. تعرف أيضا .. رغم صغر سنها .. أنها تستطيع أن تجعلني أرقص باشارة من أناملها الدقيقة .. ولكن عندما تسوء الأمور بيننا لدرجة لايمكنني السيطرة عليها .. وأغدو في حالة لا يمكن معها الاستجابة لأى من الصغيرين الماكرين .. انني أعتبر أبا متساهلا طوال الوقت .. ولكن التربية الحقيقية للأولاد من أب وحيد تبدو صعبة وقاسية بكل هذا القدر من التساهل .. وثمة حقيقة يجب أن تعرفها جميعا أن تبذل مجهودك .. ثم تمني في قرارة نفسك ألا ترتكب الكثير من الأخطاء أثناء ذلك ..

والحق أن كتب التربية الحديثة التي استعنت بها .. ساعدتني كثيرا على أداء مهمتي .. فان الاطفال وهم صغار .. يحتاجون لرعاية بسيطة وواضحة .. فما عليك الا أن تعلمهم وترشد خطواتهم الصغيرة الى مايجب عمله .. ولكن المشكلة كلها تكمن في الفترة التي يطلقون عليها « فترة المراهقة » .. عندئذ يكون عليك أن تحميهم من الصدمات العاطفية .. حتى لايكبروا وهم غير قادرين على الاحساس بالسعادة من ناحية .. أو الثقة في النفس .. أو على أقل تقدير فانهم سيشبون غير قادرين على معرفة احتياجات الآخرين .. كذلك فانك لو تعودت على حمل أطفالك دوما فانهم لن يتعلموا السير ابدا ..

الثمن : فقدان الوظيفة

وهاهو أب وحيد آخر .. يقوم بمهمة رعاية صغاره بمفرده .. إنه « ريتشارد باجت » .. يبلغ من العمر ٣٩ سنة .. أرمل من مقاطعة أمبتون شاير بانجلترا .. يقول :

إنها مشكلة كبيرة أن تحقق التوازن بين طرفي المعادلة مع الأطفال في تربيتهم وتهذيبهم .. والاحتفاظ في نفس الوقت بكل حبهم لك .. فابنتي « شيرلى » — عشر سنوات — ناضجة بالنسبة لمن في مثل سنها .. لقد كبرت سريعا بعد وفاة والدتها منذ حوالى ثلاث سنوات .. ولكن « جون » — ٨ سنوات — فإنه ينصرف بطريقة غير مقبولة .. وأنا اكره أن أعاقبه .. حتى لو بدت أعماله شيطانية .. لا لشئ الا لأن العقاب يحزنه كثيرا ويجعله بائسا ..

إن الأطفال لايقبلون على فكرة عدم التنازل عن حقوقهم مهما كان الأمر .. ان كلا منهم لديه مايفعله داخل المنزل .. ولكنهم اذا أرادوا أن يمارسوا اللعب على أساس أنه جزء من تحقيق سعادتهم .. فان العمل يقع على وحدى .. حتى لا أزعجهم أو أثير تبرمهم ..

والحقيقة أنه من الصعب أن أقارن بين أطفالي وأطفال الآخرين لأعرف ما إذا كنت أسير معهم على الطريق أم لا .. لأن هذه الأمور تبعد تماما عن



أب من الرجال الأرامل .. يحاول أن يكسب ثقة ولديه بمشاركتهما في بعض الألعاب .. فهل ينجح في ذلك ؟

حديث الرجال .. وأنا لا أحاول أن أسأل عن ذلك كنوع من أنواع الخجل فقط ..

ويقول « ريتشارد » بأسى :

لقد فقدت وظيفتي ، كأمين مكتبة ، أثناء مرض زوجتي .. لأنني كنت أحتاج الى وقت طويل للعناية بها .. وبعد وفاتها افترضت أنه يمكن أن أعود الى العمل .. ولكن كل أصحاب الأعمال يصرفون النظر عن تعييني نهائيا . عندما يعرفون أنني أقوم برعاية طفلين بدون مساعدة من أحد .. والآن .. أعيش بمكافأة الضمان الاجتماعي .. دون أن أؤدى أى عمل فعلي أو منتظم ..

لقد تعودت على أن أدفع العربة أمامي لابتاع حاجيات الأطفال من السوبر ماركت .. أو أن أذهب « بجون » الى المدرسة .. لأنني أشعر كأنني أقوم بعمل هام .. بالطبع كانت البطالة تمزقني في البداية .. ولكن الآن أرى الكثيرين من الرجال لايعملون فلم تعد البطالة تقلقني .. لأنني أعرف أنه لابد أن يأتي يوما تنتهي فيه كل مشاكلي ..

وفي الصيف الماضي .. عندما قضى « ريتشارد » ثلاثة شهور في العمل في المكتبة كجزء من دورة تدريبية طويلة للأشخاص الذين لايعملون . تأكد من أنه لايمكن الجمع بين العمل ليوم كامل وادارة منزل وتربية طفلين في آن معا .. ويقول « ريتشارد » أكره أن أعود الى المنزل بعد نهاية يوم كامل من العمل .. لأن الطهي والغسل والكي والتنظيف كلها أشياء تنتظرني .. فضلا عن أن انجازها يستغرق وقتي كله بحيث لايتبقى منه شيء للأولاد أو لأداء واجباتهم المدرسية .. لقد تأكدت الآن أن الأطفال في حاجة الى أشياء كثيرة أقلها اهمية النقود . إذن ليس أمامي حل آخر حتى أعمل طوال اليوم ثم أعتني بهم بعد ذلك .. لقد تعودت على خدمة أولادى منذ كانت زوجتي مريضة .. ولكن هناك فرق كبير بين أن أطهو بنفسي مثلا .. والتفكير يوميا في أنواع الطعام التي سنأكلها كل يوم .. وعندما برزت ركبتا جون من بين ثنايا بنطلونه لم يكن لدى أدنى فكرة عما يجب عمله .. ولكن واحدة من جاراتي عرفتني بالرقع الصناعية التي يجب أن ألصقها على ركبة البنطلون بواسطة المكواة .. حتى لاتتهرأ مرة ثانية .. والآن .. لدى فكرة عن الكثير من الأمور الخاصة بالملابس .. وأنا وشيرلى .. ابنتي .. تتعلم الطهو .. كي نستطيع أن نطهو الأطعمة التي كنا نتناولها قبل وفاة زوجتي ..

العلاج في الكتب

ولكن هل يقضي « ريتشارد » حياته بين البيت والأطفال فقط ؟ ..

يقول هو :

« اننا نقطع مبلغا صغيرا أول كل شهر .. لكي نستطيع قضاء الصيف خارج المدينة . ومشاهدة مباريات كرة القدم في الملاعب .. ولكن الصعوبة الحقيقية .. والكلام على لسان الأب الوحيد .. « عندما يحدث وأقابل مجموعة من الناس .. أجد صعوبة في مشاركتهم الحديث .. إن جميع الرجال يتحدثون عما وصلوا اليه في أعمالهم وماذا فعلوا لتحقيق طموحاتهم .. أما أنا فلا أستطيع الاستجابة لهذا الحديث .. والمؤسف أنني حتى الآن لم أفكر جديا فيما يمكن عمله لمستقبلي .. أعرف أنني أحيا يوما بيوم .. وأعرف أنني لابد وأن أبني حياتي من جديد .. وأفكر في نفس الشئ بالنسبة لأطفالى الذين يؤكدون لى في كل مناسبة أنهم لايمكن أن يتركوا البيت وأنهم سوف يبقون معى الى الأبد .. ولكنني لا أريد أن يشبوا وفي عقيدتهم أنهم لايمكن ترك الدهم العجوز وحده .. ولذلك أفكر في أن أقدم طلبا لمجلس المدينة للانتقال الى مدينة « ليدز » حيث توجد بقية العائلة .. وبذلك يمكنني أن أجد عملا .. وأن أجد أيضا الحل الأمثل لكثير من مشاكلي .

مؤكدا يقول « ريتشارد » :

مهما كان درجة مايحدث الآن وفي المستقبل فلا يمكن أن أتجاهل مهنتي في تربية صغارى .. ومسئوليتي الكاملة نحوهم .. لقد أصبحت قريبا منهم لدرجة كبيرة أكثر مما يحدث مع كثير من الآباء .. إن الرجل الذى يستطيع أن يقوم برعاية الأطفال وحده لم يوجد بعد .. وإن وجد فهي على كل مهمة غير محببة الى نفسه على الاطلاق ..

إن المشكلة الرئيسية في رأى « ريتشارد » — الأب الوحيد — عندما تأتي اليه ابنته « شيرلى » .. لتسأله أمرا حول سر الحياة .. والعلاقة بين الرجل والمرأة .. في بداية الأمر كان « ريتشارد » يصمت .. ويدعي الجهل بالشئ .. ولكنه أدرك أن صمته هذا لن يحفظ على ابنته جهلها بالاجابة .. ولكنه قد يوقعها في حيرة .. وبعد أن سأل أحد الخبراء في تربية الطفل .. أجابها بقوله : لماذا لانبحث عن الاجابة سويا في كتاب لنتزود بالمعلومات .. وبالفعل .. إن « شيرلى » تأتي الى الآن لتلقي بما عندها من اسئلة تحيرها .. ومن ناحيتي لا اتركها مطلقا الا بعد أن أشهد علامات الرضا النفسي على ملامحها ..

والحق أن « ريتشارد » يبذل الكثير من وقته لكي يكون قريبا من ولديه .. ويقوم بدور الأم .. والأب .. في وقت واحد .. وبالتفصيل يقول « ريتشارد » : اذا لجا أطفالى الى .. في أى وقت للاستفسار عن أى شئ .. حتى لو بدا لى تافها .. لا أنهرهم أو أبعدهم عني بحجة أنني مشغول بأمور أخرى .. حقيقة أنهم يمكن أن يلجأوا الى في لحظات غير مناسبة على الاطلاق .. كأن أستعد لاعداد الغداء أو أجمع الغسيل لاضعه في الغسالة .. مهما كان الأمر فأنا لا أحاول ابعادهم عني .. لأنني قرأت في كتب تنشئة الأطفال .. أن هذا الشئ التافه في نظرك .. هام جدا بالنسبة لهم .. بل لاتكون ثمة مبالغة اذا قلنا أنه بمثابة اختبار يجرونه هم لأبويهم من حين لآخر .. إنهم يريدون منا أن نقرر في لحظة غير مناسبة دائما .. ايهما أهم في نظر والدهم .. هم .. أو الغسيل ؟ ..

إن الأطفال في جميع أنحاء العالم .. وهذا





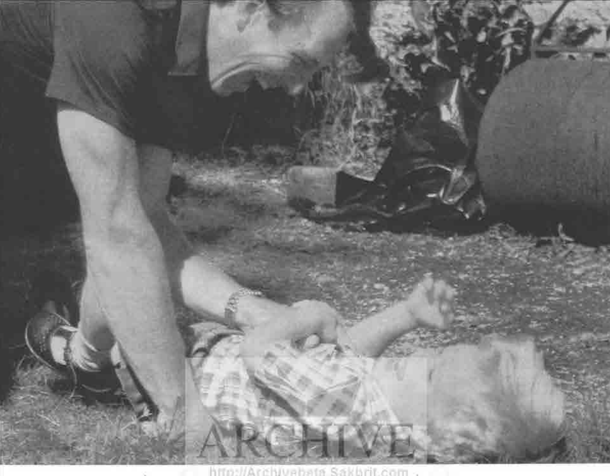
هؤلاء الأطفال ، بما يحملون من قلوب صغيرة بريئة ، يتحولون دائما لمشكلة إذا ما تخلت عنهم الأم ، وتصبح مهمة الأب أن يواجه عالمهم الصغير

ماتؤكده أيضا كتب التربية لايريدون آباء عظماء .. آباء يتمتعون بالجمال والوسامة .. أو آباء مليونيرات .. إن كل طفل لايريد أكثر من أب أو أم قريبا اليه .. آباء على استعداد لكي ينحوا كل شئ جانبا في أى مكان وفي أى وقت .. من أجل أن يستمعوا الى مافي عقول صغارهم .. عندئذ يمكنك الحصول على ماتريد دون رد فعل شئ من ناحيتهم أو محاولة للخروج من حصار الأسئلة .. ربما بكذبة أو انكار تام ..

ابنتي « شيرلى » على أبواب المراهقة .. أعرف أنها في حاجة الى والدتها الآن أكثر من أى وقت مضي .. ولكنني أحاول بكل ما أستطيع تجنبها مشاكل هذه الفترة .. لقد عكفت على قراءة الكتب التي تؤدى الغرض .. « لتنزع من قاموسك نهائيا هذه الكلمات .... » لايمكنك أن تخرجى ياابنتي بهذا المنظر .. أو ماهو نوع الوقت الذى سيقضيه الولد خارج المنزل ؟ .. لماذا أنت كسول هكذا ؟ ..

إن كل هذه الأسئلة يطلق عليها علماء النفس في العالم اسئلة « مغلقة » .. بمعني أنها تغلق الطريق أمام أى تفاهم بينك وبين صغيرك .. حتي لو استنفدت كل طاقتك ولم يعد عندك المزيد من الوقت أو الجهد أو الراحة النفسية المطلوبة لحسن معاملتهم .. ولك أن تضع نفسك مكانهم أو اذا فعل بك رئيسك في العمل مثلما تفعل أنت بهم .. لاشك أنك ستغضب .. واكثر من ذلك وهو المهم .. سوف تتردد ألف مرة قبل أن تلجأ اليه في أى مشكلة .. اذن لماذا تنكر على صغارك هذا الحق ؟ .. انهم لايختلفون بالمرة .. ويمكنك أن تلقي الاسئلة على أولادك بصورة أخرى .. مثلا هذا اللون رائع .. هل هو الموضة الآن ؟ .. أو أنا قلق عليك فلا تتأخر كثيرا .. قل لى أين ستقضي الوقت حتي اطمئن فقط ؟ .. أويبدو أنك مشغول ومتعجل .. هل يمكنني أن أساعدك ؟ .. إن المعني بلا شك واحد .. ولكن طريقة التوصيل مختلفة .. ويمكن القياس على ذلك في أى شيء تطلبه من أولادك .. ثم بعد ذلك لابد وأن نجعل من أنفسنا أذنا صاغية دائما .. وصديقا كل الوقت لهم ..

إن هذه الطريقة أفضل كثيرا من مهاجمتهم .. لأن الهجوم ككما تعرف جميعا يحتاج الى دفاع .. حتي لو كان مع فلذات أكبادنا .. والأطفال جميعا .. عندما يصلون الى سن المراهقة يميلون عادة الى الرومانسية .. وهم في حاجة الى الالمام بكل أنواع المعلومات بطريقة علمية واضحة .. في حاجة أيضا الى نصائحك .. ولكن ليس على شكل خطب منبرية .. أعطها النصيحة في برشامة واحدة لا في زجاجة دواء كاملة .. وتأكد .. وليتأكد كل الآباء أن الابن أو الابنة عندما يتلقون النصيحة .. ربما لا يأخذون بها .. وهذا يحدث غالبا .. وقد تشعر باليأس والبؤس .. ونفاد الصبر .. عندما ترى أولادك وهم يرتكبون نفس الخطأ أكثر من مرة رغم أنك قدمت النصيحة أكثر من مرة أيضا .. ولكن ثق بأنهم



هل يستطيع أن يعوضه حنان الأمومة ؟ .. هل يستطيع أن يستمر في المهام التي لا تتقنها إلا المرأة ؟ !

سيعبرون أزماتهم بأفكار جديدة وسلوك صحيح .. تماما كما يفعلون مع الموضات .. انهم يجربونها ثم يتركونها لحالها .. ومع الثقة التي تمنحها لهم والابتسامة الدائمة على وجهك تجعلهم يقتفون أثر خطواتك في النهاية وهو المطلوب .

هل هناك حل ؟

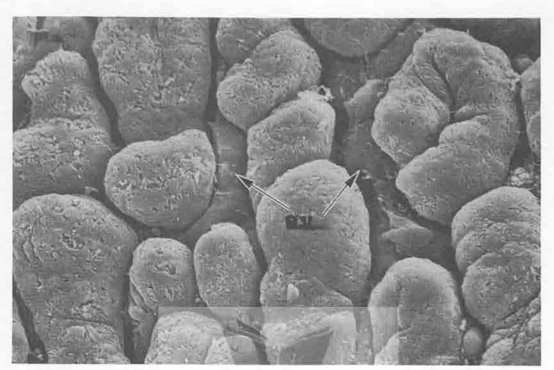
إن نجاح « رينشارد » في العناية بأطفاله .. تحقق على حساب حياته هو .. الى جانب أنه ليس النموذج الأمثل للآباء الوحيدين في العالم . الذين يتجرعون عبء تربية صغارهم وحدهم .. ولقد أوضحت أبحاث الأسرة التي أجريت حول الطلاق في أمريكا .. مثلا .. أن الآباء الوحيدين الذين يمارسون أعمالهم العادية بجوار العناية بأطفالهم بعد الطلاق .. يعيشون حياة أكثر استقرارا من الناحية العاطفية والانفعالية .. كما يكتسبون ثقة وتلاؤما مع كل شئ .. والأب الوحيد « دان دين » أفضل نموذج لذلك .. فهو قد استمر في عمله .. كما يواظب على حضور اجتماعات مجموعة الآباء الوحيدين بانتظام .. ولا بد وأن يفعل « رينشارد باجت » نفس الشئ حتى تصبح حياته أكثر اشراقا .. بتحقيق الاتصال الضرورى لاستمرار القناعة النفسية .. وأيضا باقامة صداقات مع أناس يقتسمون معه الخبرة والأخطاء ..

وثالثا لتحقيق الاستفادة الكاملة من مشروعات الجمعية .. من أجل صالح الأطفال بعد اليوم المدرسي وفي الأجازات .. لأن هذه المشروعات فوق أنها تتيح للأب الوحيد فرصة التحرك بحرية .. فهي تحقق الأمن الذى يحتاج اليه أطفال الآباء الوحيدين .. فهى تساعد على تنمية مواهبهم واكتشاف قدراتهم الابتكارية مبكرا .. كما أنها تحقق المشاركة وتخفف من حدة المشاكل التي قد يتعرضون لها خلال ممارستهم لمختلف الخبرات .

وفي بعض المناطق تشترك بعض المدارس ودور الحضانة في حل مشاكل هؤلاء الآباء .. فتحصر عدد الآباء الوحيدين وتدعوهم لتنظيم أوقاتهم بحيث يقوم كل منهم برعاية صغاره مع صغار الآباء الآخرين بعد اليوم المدراسي .. وتتم هذه الرعاية عادة بالتناوب بينهم جميعا .. بحيث يتمكن كل أب من أن يكون حرا باقي الاسبوع .. وفي نفس الوقت تتيح للأطفال فرصة التعرف على من هم في مثل أعمارهم .. كيف يعيشون .. ويكونون صداقات فيما بينهم .. من المؤكد أن هذه الصداقات ستحقق لهم السعادة لأن الظروف متقاربة بشكل عام .

إن هذه الظاهرة تجرنا في النهاية الى ضرورة الاهتمام بتعليم الصبي بعض الأمور المنزليةضمن مواد الدراسة حتى تتاح له ــ على الأقل ــ فرصة العناية بنفسه أولا .. وبمن يحتاجون اليه ثانيا ..

نادية يوسف



المادة المطابقة لجزيء البيتا إندرفين « أسبقاين » الذي يؤدي لعدم الاحساس بالألم

هل الفنون جنون ؟

فن التصوير يكشف عن علاج جديد لأمراض العقل !

بقلم : الدكتور نبيل سليم

إن الاضطرابات العقلية لا تفرق بين شخص وآخر فهي تصيب الغني والفقير .. الأذكياء والأغبياء ، بل وحتى أصحاب المواهب .. والعباقرة . وأسباب الجنون أو الانهيار العصبي تنبع دائما من إحساس الشخص بالوحدة وسط عالم مليء بالبشر وبتعقيدات الحياة أو الشعور بالاضطهاد ، واليأس المفاجئ . وغالبا ما تفترس هذه الأفكار ذا الاحساس المرهف القلق ..

ولكن هل نحن على وشك تحقيق النجاح التام في علاج الاضطرابات العقلية ؟ .. لقد ثار هذا التساؤل بعد اكتشاف الأندروفين . هذا العقار الذي يعد نوعا من المورفين الطبيعي الذي تفرزه بعض المراكز في المخ . وتمثل الأندروفينات الأمل المرتقب والعلاج الفعال لبعض الامراض أو الاضطرابات العقلية أي «عدم التوازن العقلي» . ولذلك فإن الأبحاث التي قام بها الطبيب الفنان الفرنسي الدكتور «روجر كيلمن» في هذا المجال أهلته للفوز بجائزة نوبل .

وكان مدخل وسرّ اهتمام هذا الطبيب الفنان ومجموعة العلماء الباحثين هو علاقاتهم ودراساتهم لأعمال الفنانين العالميين أمثال «جويا» . و «واين» وما اعترى حالاتهم النفسية من اضطرابات رغم تأثيرهم الكبير والقوي في تاريخ فن التصوير بالألوان وبريشتهم السحرية .

ففي الصور التي رسموها . نجدها وان كانت تحفا فنية تحتفظ بها المتاحف الكبرى إلا أنها تعبر عن المرحلة التي مر بها هؤلاء الفنانون .

فمثلا نجد في المقال لوحة للفنان الاسباني «جويا» وهي آخر ما رسمه الفنان الكبير . وقد صور فيها عددا من الغربان الذين يهبطون على حقل بعثرت أوراقه الرياح . ويفسر أطباء النفس هذا التصوير على أنه دليل على حالة من الحزن واليأس الذي أصابه إلى جانب الاحساس بالثورة والغضب ومحاولة التخلص منها .

ومثال آخر للفنان الرسام «لوي واين» الذي كان يعيش في وحدة تامة بعيدا عن الناس رغم نجاحه الفني مع قططه السبع عشرة الذي كان يعشقهن اكثر من جنسه .

وقد رسم (واين) سلسلة من التحف الفنية التعبيرية لحيوانه المفضل «القط» وهي في نفس الوقت التفسير الحقيقي لما أصابه من حالة نفسية أثناء مرضه «بالشيزوفرينيا» والتي كان سببها كما قال علماء النفس : الوحدة والانطواء الشديدين اللذين كان يعشقهما ..

صدق أو لا تصدق : الجرام الواحد من «الأندروفينات» يساوي ٣٠٠ ألف دولار !

وكانت هذه هي الخطوة الأولى في سبيل البحث عن علاج لهذه الأمراض التي شخصتها تلك الفنون والتي توجت بعد ذلك بالاكتشاف الجديد .

أمل مرتقب

«من الذي أسكت الأصوات» .. لقد كانت هذه الكلمات صيحة مريض «بالشيزوفرينيا» أو انفصام الشخصية التي تتميز بتفكك العوامل النفسية لدى المريض — عندما عولج بهرمون الأندروفين . وأحرز العلاج نجاحا باهرا لم يكن في الأمكان تحقيقه باستعمال الأدوية الأخرى التي تستعمل في مثل هذه الحالة .

وكانت هذه أولى النتائج التي حققتها التجارب الأولية التي أجراها الباحثون على الإنسان لاكتشاف فعالية مجموعة من المواد الطبيعية التي تتشابه في تركيبها مع المورفين وهي ما تسمى بالأندروفينات . ويعتقد هؤلاء الباحثون وهم من أشهر العلماء في الولايات المتحدة . أنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من تحقيق اكتشاف خطير سوف يحدث تغييرا جذريا في الآراء المعروفة عن كيمياء الأعصاب .. بفضل «الاندروفينات» .

والأندروفينات ما هي إلا أحد أنواع البيتيد أي الهرمونات أو الإفرازات التي تفرزها الغدة النخامية . وأبرز مراكز تجمعه في اللوزتين وفي الجهاز الليمفاوي حيث بان على مجموعة كبيرة من الخلايا التي تفرز الأندروفينات . ولم يعد هناك ثمة شك في أن الألم والمتعة والإنفعال ، وكثيرا من الأمراض العقلية لها اتصال بعمل الأندروفينات التي اكتشفت منذ إثني عشر عاما ، بل إن الشخصية ذاتها قد تكون نتاجا لتلك المواد الطبيعية . وعلى ذلك فإن القدرة على تحمل الألم العظيم قد تكون نتيجة لزيادة كمية الأندروفينات عما هي موجودة في الشخص العادي . وفي المقابل فإن الميل إلى إدمان السموم وكذلك التسمم الكحولي قد يكون مرجعه الى انخفاض في كمية الأندروفينات عما هي عليه في الأشخاص العاديين .

ويتوقع العالم الدكتور S. Kline مدير معهد أبحاث روكلاند بنيويورك . وواحد من اشهر الأطباء النفسانيين . أن يأتي اليوم الذى يمكن فيه التحكم في هرمونات المخ . ومعرفة الخلل فيه ومعالجته بهرمونات صناعية مناسبة .

تصنيع الأندروفينات

ومنذ عام تم اكتشاف عائلة بأكملها من تلك المادة سميت ب «الاندروفينات» أو المورفين الداخلي ، كما أمكن تركيبها خارج جسم الانسان



لوحة الغربان : أحد أعمال الفنان الأسباني « جويا » التي فسرها علماء النفس على أنها دليل على حالة من الحزن واليأس بالإحساس والثورة ومحاولة التخلص منها .







ثلاث لوحات للفنان « واين » عبر فيها عن حالة الرعب والقلق والعصبية التي أصابته والتي جعلته يصور لنا القط وكأنه شبح أو مخلوق لا يمكن مقاومة عينيه . بينما جعل الرعب يمثل الشيطان الذي صوره في شكل هندسي وبألوان مثيرة

ولكن بتكاليف باهظة جداً . حيث أن الجرام الواحد يتكلف ٣٠٠,٠٠٠ (ثلاث مائة ألف) دولار ! !

ولقد بدأت هذه الإكتشافات في عام ١٩٦٥ على يد الكيميائي الدكتور « هيلي » من جامعة كالفورنيا بسان فرانسيسكو واطلق عليها اسم بيتا أندروفين . ولكنه أي الدكتور « هيلي » لم يتمكن حتي الآن من رؤيةأي تطبيق لاكتشافه . وان كان قد حدد أن تلك المادة قد تكونت من الغدة النخامية وهي التي تلعب دور « المايسترو » أو الوسيط بين النظام الغددي الداخلي .

ومنذ عامين تمكن الدكتور « سولمان سيندر » الأمريكي والدكتور « هانز كوسترليت » الاسكتلندي – كل على حدة – من ابتكار مادة فعالة أكثر صغراً . تتكون من خمسة أحماض أمينية فقط . في المخ البشري . هذا الجزئ الصغير الذي لم يكن من « البيتا أندروفين » كانت له أيضا بعض خواص المورفين . وقد أطلق عليها اسم انسيفلين . وهو يؤدي بدوره إلى عدم الإحساس بالألم . وكما هي العادة فإن الصدفة تلعب دوراً هاما في الاكتشافات الخطيرة . ذلك أن باحثاً عربياً عراقياً كان يتمرن في معمل الدكتور « هيلي » . وهو بحكم نشأته وبيئته يعلم أن الابل مشهود لها بقوة تحملها للألم أكثر من بقية الحيوانات الأخرى . ولذا فقد تساءل عما إذا كانت الجمال تنتج كميات أوفر من المواد المسكنة للألم ؟ . . لقد كانت هذه الفكرة صحيحة تماماً فقد استورد الدكتور « هيلي » الغدد النخامية من ٥٠٠ جمل . وتمكن من استخراج مادة مطابقة لجزئ من ذرة « بيتا أندروفين » التي كان قد اكتشفها منذ عشرة أعوام . وقدم لبعض اطباء الأمراض النفسية والعصبية ١٦٠ مج من « البيتا اندروفين » لاجراء

تجارب عليها . وكان الدكتور «كيلن» أول من قام بتجربة هذه المادة على المصابين بأمراض عقلية وشاركه زميله الدكتور «هانز لهان» فاختار ستة مرضى لم تكن حالتهم قد تحسنت بالرغم من علاجهم بالمستحضرات الطبية المعروفة في علاج المرض العقلي ، وأعطى لكل منهم ١.٥ مج من المادة ، وكانت نتيجة هذا العلاج مشجعة للغاية . إذ أن أحد هؤلاء المرضى كان يشكو من حالة اكتئاب مزمنة ، فتحسن مزاجه سريعاً . والمريض الثاني البالغ من العمر ٣٤ عاماً كان مصاباً بحالة إنفصام مزمن في الشخصية . ويشرح حالته النفسية بنفسه قائلاً «منذ عدة سنوات وأنا جالس على الكرسي . أدخن واستمع الى الراديو دون أن أسمع كلام الأغنيات حتى كدت أصاب بالجنون . وأمس فقط استطعت ولأول مرة أن أسمعها فكدت أبكي من السعادة» .

وثلاثة من المرضى الآخرين المصابين بانفصام في الشخصية أحسوا بنوع من الغبطة تراوحت مدتها بين عدة ساعات وبضعة أيام والملاحظ أن اثنين من هؤلاء الثلاثة قد استمروا في تعاطي المهدئات المخالفة للوصفة التي تقررت . ووجدا أن مفعول الاندروفينات بالنسبة لهما قد زال بعد يومين من حقنهما . أما الثالث الذي نفذ الوصفة بدقة وامتنع عن تناول أي عقار منذ بداية التجربة معه فقد استمرت حالته في التحسن التدريجي . أما المريض السادس فلم يحقق علاجه أي تقدم .

إذن فإن هذه التجربة ، وكذلك التجارب الأخرى التي قام بها أطباء اخرون على المرضى بانفصام الشخصية لم تكلل جميعها بالنجاح التام . فما زلنا على أعتاب فتح جديد في مجال الكيمياء العقلية .

إجراء تجارب على الانسان

وأخيراً فإن الدكتور «لاسكي» من نيويورك قام باجراء التجربة على نفسه فتناول على دفعتين جرعة ٩٠ ملج من مادة البيتا اندروفين وكان يتوقع أن تحدث له شعور بالغبطة كذلك الذي لاحظه على مرضاه .. إنه يصف إحساسه قائلاً «كان كاحساس من يسبح في الفضاء علاوة على تمتعي بمزاج سعيد وعدم مبالاة ..» ويضيف قائلاً : «لم يكن شعوراً بالضيق .. انه يشبه الإحساس بعد نوم عميق» .

وفي إحدى التجارب حقن الدكتور «لاسكي» نفسه بمادة مخدرة مضادة ولكنها مع ذلك لم تقض على مفعول البيتا اندروفين إلا بعد ساعات من تناوله لها . كما أحدثت تغيراً مفاجئاً في حالته الذهنية . وكما يقول «كما لو كنت قد أدرت محولاً كهربائياً» .

ويقول الدكتور «كلين» أن تلك التجارب يجب أن تجرى على الانسان دون الحيوان لأن الحيوانات لا تشكو من انفصام في الشخصية أو من انهيار نفسي . وهذا لن يحول في المستقبل - عندما يكون في إمكاننا الحصول على كمية أكبر من الأندروفينات - من اجراء تجاربنا على الحيوان لدراسة آثارها عبر الجسم . وفي معرفة مدى تأثيرها على بقية الأعضاء .

وبصفة عامة فإن التجارب الأولية قد أثبتت حتى الآن أن تلك المواد لا تمثل أية خطورة على المريض اذا ما تناولها . وليس ثمة أدنى مجال للشك في تأثيرها الفعال على الذهن وعلى السلوك . فضلاً عما لتلك الأندروفينات من ميزة يجب أن تؤخذ في الاعتبار . وهي أنها وبمقارنتها بالأدوية النفسية الأخرى . عبارة عن مادة طبيعية يفرزها الجسم . ومن المأمول ألا تكون لها أية آثار جانبية كما هو الحال بالنسبة للأدوية الأخرى التي تعطى للمصابين بأمراض عقلية .

ويؤكد الدكتور «كلين» أنه ليس من المستبعد أن نتمكن من تحديد الجرعة التي قد تؤدي بالتالي الى القضاء على الأسباب المباشرة للمرض العقلي وان كان الكثير من الباحثين يرون أننا ما زلنا بعيدين عن ذلك .

ولقد نجحت مجموعة من الباحثين ذوي الشهرة العالمية تابعة لمعهد «سالك» بكاليفورنيا باشراف الدكتور «روجر كليان» السالف الاشارة اليه في صدر هذا المقال من عمل تركيبة لثلاثة أنواع من الأندروفينات يتم بنجاح استخدامها تحت التخدير بالابر الصينية . اذ ان الابر تحث الخلايا العصبية على افراز الأندروفينات التي يكون لها مفعول مخدر شبيه بمفعول الأفيون . ومن المعتقد أن هذه الأندروفينات تنتج عن نشاط كهربي مكثف للمخ .

والخلاصة أن الأمل يحدونا الى أن يتحقق خلاص البشرية بفضل هذا الاكتشاف . من المرض العقلي أو على الأقل التخفيف من آثار المرض الذي يهدر انسانية المريض مادياً وأدبياً .

الخبز وعلاقته بالجنون

ومن ناحية أخرى فان البحث مستمر . والعلم يتقدم . وما تزال المناقشات جارية لمعرفة أسباب «انفصام الشخصية» والتفسير الوحيد الذي يبدو مقبولاً هو أنه يحدث نتيجة لمركب كيميائي حيوي . فقد تم حقن حيوانات التجارب وايضاً العنكبوت ببول مرضى انفصام الشخصية فأحدث هذا الحقن تصرفات شاذة لتلك الحيوانات .

ولقد قامت مجلة «اللانسيت» الطبية البريطانية بدراسة مفيدة في هذا الخصوص وخلصت الى أنه قد تكون هناك علاقة بين «الشيزوفرينيا» وعدم تحمل «ال جلوتين» وهو غذاء نباتي عبارة عن راسب بروتيني يتم الحصول عليه من الدقيق بعد استبعاد السكريات . حيث اننا نجد في هذا الراسب البروتيني مادة «الخلايدين» وهي مادة بروتينية ما زال أثرها مشكوكاً فيه . اذ أنها تحدث عند بعض الأشخاص اضطرابات معوية ! ! .

ومما يزيد من أمر الشك في أثرها . أننا نجد أحياناً اضطرابات نفسية لدى الأشخاص الذين يشكون من عدم التقبل المعوي لمادة الجلوتين . وقيام علاقة كبيرة بينها وبين انفصام الشخصية ! !

والأكثر غرابة من ذلك أنه قد تحقق تحسن سريع لدى مرضى انفصام الشخصية بعد اخضاعهم لنظام غذائي خال من الدقيق . ولقد تمادى بعض الباحثين مثل العالمين «كاي» وسنج» الى حد اتهامهم للجلوتين باحداث مرض انفصام الشخصية .

هذا وقد حدث خلال الحرب العالمية الثانية . أن لاحظ الطبيب اليوناني «اناستوسوبولوس» أن الاقلال من تناول منتجات الحبوب (الدقيق) كان له تأثير مفيد على المصابين بالأمراض العقلية .

والعامل المرجح والمؤيد لهذا الافتراض . أن المصابين بانفصام الشخصية الذين يخضعون لنظام غذائي مكون من الجلوتين اصيبوا باضطرابات أكثر وضوحاً . وقد قلت هذه الاضطرابات بمجرد خضوعهم لنظام غذائي خال من دقيق الحبوب ! !.

فهل يمكن الادعاء بأن الخبز يدفع الانسان الى الجنون ؟ ..

والرد على هذا السؤال أن السواد الاعظم من شعوب العالم تعتمد أساساً في غذائها على الخبز ! !.

وفي نفس المضمار أعلن في لندن أن الأطباء بالمستشفى الملكي هناك . توصلوا الى أن الدواء الجديد «فروي رونولول» الذي يستعمل لعلاج امراض القلب ثبت نجاحه لعلاج مرض انفصام الشخصية .

وأضاف الأطباء الذين جربوا الدواء أن ستة من المرضى شفوا نهائياً وطرأ تحسن ملحوظ على صحة المريض السابع وتحسنت حالة الآخرين - وكانوا اثنين - الى درجة معتدلة . ولم يستجب لهذا العلاج سوى مريض واحد من عشرة مرضى أجريت عليهم التجربة .

وذكر الدكتور «ماكلوم ترافيلد» أن استعمال الدواء المخصص لعلاج انفصام الشخصية فشل في معالجة الحالات المتقدمة من المرض . في حين أن دواء القلب نجح في علاجها . وأن الدواء الجديد ليس له أية مضاعفات جانبية على الدورة الدموية أو الجهاز العصبي . وقد بدء في استخدامه على نطاق واسع في مستشفيات الأمراض النفسية والعصبية .

نبيل سليم علي

حول كتاب : د. كافود

النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي

الحلقة الثانية

بقلم: عبدالرزاق البصير

غلاف كتاب النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي

ان أول ما ألاحظه على الدكتور كافود قوله : « وكان رأس الخارجين على عمود الشعر العربي وزعيمهم مسلم بن الوليد ، وإبا تمام وغيرهما ، وكان أبو نواس يدعو صراحة الى عدم الاقتداء بالقدماء ويحاول أن يختط لنفسه مذهبا جديدا في مطلع القصيدة العربية » .

والذى اعرفه ويعرفه كل من قرأ شعر أبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي تمام انهم لم يخرجوا على عمود الشعر ، وانما خرجوا على مضمونه ، وهذا هو رأى الاستاذ عبدالله زكريا الأنصارى الذى انتقده المؤلف ، وحتى ثورة المازني والعقاد في كتاب الديوان المشهور لا تخرج عن هذا الاطار . فمن المعروف ان العقاد لا يعترف مطلقا بالشعر الحديث حتى انه كان اذا عرض عليه اى ديوان من الشعر الحديث يوم ان كان في مجلس الفنون والآداب كان يطلب ان يعرض على لجنة النثر !

ولست أشك ان ذلك لايخفى على المؤلف لأن هذه القضية مشهورة بين الأدباء . لهذا استغربت عندما وجدته يستشهد على رأيه الداعي الى اصطناع الشعر الحديث شكلا ومضمونا بفقرة من العقاد ، رحمه الله . والتي يقول فيها : « ان المعاني والخواطر ليست هي وحدها الغاية من الشعر ، وليس الجديد أن تقتحم المعاني وتتعسف الخواطر . لأن المعاني والخواطر أدوات الشاعر ووسائله وليست بغاياته وقصارى مقاصده » .

وخلاصة القول ، ان كثيرا من الشعراء المحدثين الموهوبين يعبرون عما يدور في نفوسهم بلون القديم ، وهو مايسمى بالشعر العمودى ، والشعر الحديث ، واذا ماسألتهم عن ذلك قالوا بأن القضية التي يعالجها الشاعر هي التي تفرض عليه ما يلائمها من القوالب ، وهذه حالة قد لا يتصورها الا الشاعر .

ويحضر لي أن أورد بعض الأبيات العمودية لشعراء مطبوعين عرفوا بالتعبير عن أنفسهم بالشعر الحديث ، أذكر منهم الشاعر المعروف « أحمد مشارى العدواني » ، وهو شاعر لا يختلف اثنان في موهبته الشعرية ، يقول في قصيدة بعنوان « تأملات ذاتية » :

أيامنا تموت ..
كالحشرات في خيوط العنكبوت
أيامنا تموت ،
تنحل في بالوعة الزمن
وظل « خضراء الدمن :
المرأة الحسناء في المنبت السوء »
لنا وطن .

ويقول في قصيدة أخرى عنوانها « سأم » :

دعيني أكتم الحزنا
وأطوى الويل والوهنا
سئمت العيش والدنيا
وعفت الأهل والوطنا
رواق لي السردى كأسا
وجوف القبر لي سكنا
دعيني تحت أوقارى
جريحا يحمل الكفنا

وما أظن ناقدا يستطيع أن يقول بأن الأستاذ العدواني لم يكن موفقا في أى قطعة من هاتين القطعتين ، اذ انه استطاع أن يصور فيهما ، العمودية والحديثة ، ما يشعر به كل فرد من حزن وأسى خلقته هذه الأيام البائسة التي تمرّ بهذه الأمة . وتستطيع أن ترى مثل ذلك عن الشاعر على السبتي والأستاذ خالد سعود الزيد والدكتور خليفة الوقيان والدكتور غازى القصيبي .

وأجد أني أكمل الصورة ان أنا أشرت الى بعض ما جاء في تلك القصيدة البائية الشهيرة التي نفث بها القصيبي والتي احدثت أثرا كبيرا في أوساط المثقفين وهي من الشعر العمودى الذى يرفضه المؤلف ، وقد جاء فيها :

بيني وبينك ألف واش ينعب
فعلام أسهب في الغناء وأطنب
صوتي يضيع ولا تحس برجعه
ولقد عهدتك حين أنشد تطرب
وأراك مابين الجموع ولا أرى
تلك البشاشة في الملامح تعشب
وتمر عينك بي وتهرع مثلما
عبر الغريب مروعا يتوثب

والقصيدة كلها تجرى على هذا النسق القوى ، وشاعرنا هذا هو صاحب ديوان « معركة بلا راية » ، وغيره من الدواوين ، وكلها اتخذت الشعر الحديث طريقة للافصاح عما في نفس الشاعر.

اذن ، فانني محق حين أقول بأن استاذنا الدكتور كافود قد اشتط في رفضه كلية للشعر العمودى .

حيث يقول : « فقد يكون المضمون أو الافكار معاصرة ولكن لفّها واخراجها بأثواب قديمة هو الذى يفقدها رونقها وروعتها ويزهد القراء فيها ، فالتجديد في المعاني يحتم التجديد في الصور والأوصاف » . فهل من المؤكد أن القراء يزهدون في القصيدة العمودية التي تعالج قضايانا المعاصرة لأنها عمودية ؟ . ذلك أمر أشك فيه كل الشك .

الجماهير والأدباء المعبرون عن آدابهم :

فهل يستطيع أحد أن يزهد في هذه القطعة التي يصور فيها الشاعر أحمد مطر حقيقة ما نحن فيه بهذه الأسئلة الاستنكارية ، فيقول :

ليس لي في الدرب سفـّاح
ولا في البيت مأتم
ودمي غير مباح
وفمي غير مكمم

الى آخر ما جاء في تلك القطعة الرائعة .

أعتقد أن كل من يقف على هذه القطعة لا يستطيع الا أن يعجب بناظمها ويشكره لأنه عبّر عن بعض ما يجول في نفسه ، فالقضية ابداع فني يهز أوتار القلوب ، فان كان ناظمها مالكا لها ، فان قراءه يرغبون فيها ويعجبون بها . وان كان ناظمها متكلفا في ممارسته لفنه فان قراءه يزهدون في آثاره . وقد تحدث النقاد عن القدرة الفنية أحاديث مستفيضة منذ عدة عصور حتى عصرنا الحاضر ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحددوها تحديدا جليا في أطر وقواعد معينة . وعلى كل حال ، فان الحديث عن هذه القضية متشعب ألـّفت فيه كتب كثيرة مما يجعل الحديث عنه غير ممكن في هذا المجال .

وبعد أن ينتهي الأستاذ المؤلف من ابداء رأيه في التقليد والتجديد ، يدعوه بحثه الى الحديث عن شعر المناسبات . والحق أن المؤلف أبدى في هذه القضية رأيا جريئا ، حيث أوضح « أن النظم التقليدية في المجتمع الخليجي كان لها أثرها في شيوع شعر المديح وانتشاره ، وان النظام القبلي ــ كان يتمثل عند بعض الشعراء ــ ان الحاكم فيه هو صاحب النعمة التي يغدقها على من يشاء » .

كل ما أستطيع أن أعقبه على هذا الفصل الممتع هو أن نتذكر جميعا أن عمر نهضة خليجنا العربي قصير ، ولها مقتضياتها ، وما حدث من شعر الشعراء ونقد النقاد لا بد وان يحدث لمثل هذه اليقظة المتأخرة .

من الدواعي التي تدفع الشعراء ، كذلك ماأصدره النقاد من آراء حول الشعر ، أما من حيث الشكل ويتمثل فيما قيل فيه من حيث الغموض والوضوح فانها آراء ما زلت أعتقد بصحتها ، ويكفي أن نتأمل في الأسباب التي أوصلت الجواهرى الى هذه المكانة المرموقة عند النقاد وفي نفوس الجماهير ، حتى أن بعضهم دعاه بمتنبي هذا العصر ، ولست أرى ذلك الذى قارن الجواهرى بالمتنبي مجانبا للصواب ، ولو أردنا أن نفصل القول في ذلك لطال بنا المقام ، وانما اريد أن أشير الى أن الجماهير لم تقبل على آثار الجواهرى الا لأنه قد عبّر عن آلامها ومطامحها ، ويخيل اليّ أن المؤلف يرى بأن الفن يقصد لذاته ، ويتضح ذلك من قوله : ولذا فنحن مع الناقد فيما

الدكتور غازى القصيبي


ابراهيم المازني


عباس محمود العقاد

ذهب اليه من إبعاده للشعر والفن عموما اذا لم يحمل بين طياته مافيه منفعة الجماهير وتحقيق مصالحها الحيوية . لكن المسألة تتوقف عن كيفية تعبير الشاعر عن منفعة الجماهير ومصلحتها ، فاذا كان الشاعر موهوبا ، فانه يكون قادرا على أن يخرج تلك المنفعة بصورة فنية رفيعة ، ودواوين الجواهرى كلها شاهدة على ما نذهب اليه ، ولنأخذ قوله من هذه القصيدة البائية :

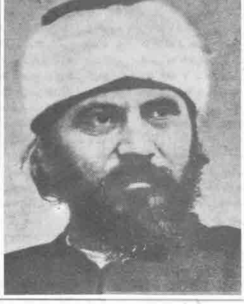
اطـبق على متبـلدين
شـكا على خمولهـم الذباب
لم يعرفـوا لون الســماء
لفرط ما انحنت الرقـاب
ولفرط ما ديسـت رؤوسـهم
كمـا ديـس الــتراب
اطـبق على المعزى يراد
بها على الجـوع احـلاب

هذا ، لا نستغرب من انثيال الجماهير بصورة قوية حين تعرف أن لسانها الجواهرى سيحيي أمسية شعرية ، حتى أنه لو وقف في أى شارع من شوارع أى مدينة عربية وألقى قصيدة لاحتشدت الجماهير واندفعت كالموج المتلاطم تنادى بسقوط الطغاة ، فقضية الفن للفن قضية تجاوزها الزمن ، ويقال مثل ذلك في حق كل أديب ، ناثرا كان أو شاعرا ، لأن الناس تلتصق بالفرد الذى يرفع صوته عاليا ليعكس ما تشعر به جماهيرنا المقهورة ، وذلك حين يكون الاديب واضح التعبير مشرق الأسلوب .

وعلى كل حال ، فان دراسة أستاذنا الدكتور كافود قد شملت مواقف النقاد في منطقة الخليج العربي حول القصة والمسرحية والشعر المسرحي مستمرا في مناقشة ما أبداه النقاد والأدباء من أفكار وآراء ، شأنه في ذلك كشأنه في مناقشة آراء النقاد حول الشعر شكلا ومضمونا .

وصفوة القول ان هذا الكتاب بجملته يوضح أن المؤلف قد بذل جهو ادا مضنية في تأليف هذا الكتاب ، حيث انه قرأ كل ما صدر عن كتاب منطقة الخليج من أحكام أدبية وناقشها مناقشة موضوعية تجعل كتابه هذا مرجعا للباحثين ، كما ذكرت قبل قليل ، على أنني في هذا الحديث لم أشر الا الى نحات قصيرة من هذه الدراسة القيمة على الرغم من أنني أسهبت في الكلام لأنني وجدت من واجبي أن أجرى ما أجريت من حوار . . فعساني وفقت لما قصدت اليه .

علي شلش


جمال الدين الأفغاني



ثلاث وثائق خطيرة عن عصر إسماعيل وتوفيق

كشفت أوراق جمال الدين الأفغاني التي نشرتها جامعة طهران عام ١٩٦٣ عن الكثير من الحقائق عن حياة الرجل وأعماله. وألقت هذه الأوراق الكثير ـ أيضا ـ من الأضواء على عصر الأفغاني وأعلامه.

وقد اخترنا من هذه الأوراق ثلاثا على جانب كبير من الأهمية والخطورة، مصورة في أصلها العربي ضمن المصورات العديدة التي ضمها مجلد الأوراق والوثائق. ونقلها هنا بنصها مع التحقيق اللازم.

أولى هذه الأوراق مسودة رسالة كتبها الأفغاني وهو قادم من الهند في طريقه إلى أوربا بعد نفيه من مصر. وكان قد نفي عام ١٨٧٩ وعاش في الهند نحو ثلاث سنوات حتى تمكن الانجليز من إخماد ثورة عرابي عام ١٨٨٢، فاختار السفر إلى أوربا حيث أصدر من هناك صحيفته المعروفة «العروة الوثقى». وقد كتب هذه الرسالة إلى مصطفى رياض باشا (١٨٣٤ ـ ١٩١١) رئيس الوزراء بمصر في تلك الفترة، وكان يعد ولي نعمة الأفغاني بمصر وصاحب دعوة إقامته بها بعد طرده من تركيا عام ١٨٧١.

وثانية هذه الأوراق رسالة مطولة كتبها ابراهيم اللقاني، أحد تلاميذ الأفغاني بمصر، من بيروت بعد نفيه مع الشيخ محمد عبده على أثر فشل الثورة العرابية. وفيها صور لأستاذه أحوال مصر بعد طرده منها.

والورقة الأخيرة مسودة مذكرة كتبها ابراهيم المويلحي للسلطان عبد الحميد، وكان المويلحي سكرتيرا للخديوي اسماعيل وصحفيا، اضطر لمغادرة مصر على أثر تنازل اسماعيل عن حكم مصر لابنه توفيق عام ١٨٧٩. وكان المويلحي من المقربين إلى الأفغاني أثناء فترة إقامته بفرنسا واصداره صحيفة «العروة الوثقى».

تكمن أهمية هذه الأوراق الثلاث وخطورتها فيما تكشف عنه من حقائق وما تلقيه من أضواء تتعلق بتاريخ مصر الحديث وما حدث في أواخر عصر اسماعيل وأوائل عصر ابنه توفيق من تطورات أدت إلى احتلال الانجليز لمصر. بل تكشف أيضا عن طبيعة النضال السياسي التقليدي في ذلك الوقت.



اسماعيل باشا



الخديو توفيق

وثيقة عمرها ١٠٢ سنة

- كيف طُرد الأفغاني من مصر .. وكيف عاش في الهند؟
- حقيقة الدسائس التي تعرّض لها الأفغاني في القاهرة

كيف طرد الأفغاني من مصر وكيف عاش منفيا في الهند ؟

لم يستطع أحد ممن كتب عن الأفغاني ، قبل ظهور مسودة رسالته إلى رياض باشا رئيس الوزراء المصري ، أن يتوصل إلى الظروف الحقيقية التي أحاطت بطرد الرجل من مصر والمعاملة المهينة التي عومل بها عند القبض عليه وترحيله من القاهرة إلى السويس ، ولا استطاع أحد أن يلم بالظروف التي أحاطت بالرجل بعد أن نفي إلى الهند ، وراح ينتقل من مدينة إلي مدينة حتي نجح الانجليز في إخماد الثورة العربية في مصر واستتبت أمورهم ، وعندذاك سمحوا للأفغاني بحرية الحركة فغادر الهند إلى أوربا مارا بمصر. وأثناء مروره وتوقف السفينة في السويس كتب هذه الرسالة إلى الرجل الذي دعاه إلى الإقامة بمصر ورعاه نحو ثماني سنوات حتي غضب عليه الخديو توفيق . ثم أرسل الرسالة بعد تبييضها مع تابعه « أبو تراب » لتوصيلها مع ثلاث رسائل أخرى إلى معارفه وأصدقائه مثل شريف باشا غريم رياض ورئيس الوزراء الأسبق وعبد الله فكري باشا الصحفي الأديب الذي كان وكيلا لوزارة المعارف في عهد اسماعيل . ولهذا كله تكتسب الرسالة أهمية كبيرة .

ومن الملاحظ أن مسودة الرسالة قد كتبت بخط دقيق وامتلأت بالشطب والتعديل حتي أن بعض عباراتها لا يقرأ ، ومع ذلك فهذه العبارات القليلة القصيرة لا تؤثر في السياق الأساسي . ومن الملاحظ أيضا أنه بالرغم من مرور نحو ثلاث سنوات على طرد الأفغاني لم يستطع — كما سنرى — التخلص من الألم البالغ الذي يبدو أنه لحق به بسبب سوء المعاملة التي لم يكن يتوقعها أصلا .

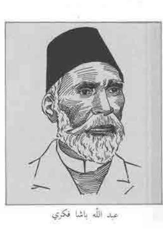
ويبدو أيضا أن هذا الألم البالغ قد قوي في نفسه الشعور بالبراءة الذي يعبر عنه هنا وهنالك على طول الرسالة .

سنرى في هذه الرسالة بعد ذلك ما كان من ود بين الأفغاني والخديو توفيق قبل توليه حكم مصر ، وكيف كان أبوه ، الخديو اسماعيل ، يعيش على الدسائس حتي لحظاته الأخيرة . وكيف قام الماسونيون في مصر وقتها بدور كبير من أجل تثبيت قدمي حليم ابن محمد علي وعم اسماعيل المطالب بالخديوية . ولأن الأفغاني كان وقتها يتشيع لتوفيق فقد ناصبه المتشيعون لحليم العداء . وازداد عداؤهم له عندما نجح توفيق في الاستيلاء على عرش أبيه بفرمان من السلطان العثماني . وانضم إليهم في العداء عثمان غالب ، ضابط القاهرة ، أو حكمدارها ومدير أمنها بالمعني العصري . وكان عداء عثمان للأفغاني بسبب مقال كتبه احد تلامذة الأخير ضده . ولم تنجح مساعي شريف باشا رئيس الوزراء لرفع الظلم عن الأفغاني . بل إن عثمان الضابط هذا انقض على الأفغاني فور استقالة شريف وصدور تعليمات الطرد من الخديو توفيق نفسه الذي تولى الوزارة بنفسه بعدها .

وبالرغم من إصرار الأفغاني في رسالته على أن وشاية عثمان غالب ضده لدى الخديو هي السبب في طرده فلم يكن الأمر بمثل هذه البساطة التي تصورها ، لأن غالب لم يكن إلا أداة عند الخديو . بل لم يكن الخديو نفسه إلا أداة في أيدي القناصل الأوربيين ، ولا سيما القنصل الانجليزي والقنصل الفرنسي . وقد كان طرده أول عمل قامت به الوزارة التي ترأسها الخديو توفيق بنفسه يوم ١٨ أغسطس (آب) ١٨٧٩ بعد أن طلب من شريف باشا الاستقالة في الليلة السابقة ، ثم أرسل إلى رياض باشا تلغرافا في أوربا بالحضور لتشكيل وزارة




رياض باشا


عبد الله باشا فكري

جديدة ، ولكن رياض لم يصل إلا يوم الثالث من سبتمبر (أيلول) ، أي بعد أن تم طرد الأفغاني ، حتى لا يتشفع له رياض بصفته راعيه . وربما كانت قضية الأفغاني من الأسباب التي أدت إلى استقالة شريف المفاجئة . ولأن شريف كان يعطف على الأفغاني فربما رفض طلب الخديو بابعاده . ويقوي هذا الاحتمال أن وزارة توفيق نفسه التي لم تستمر أكثر من شهر وثلاثة أيام لم تتخذ أي قرار خطير سوى قرار طرد الأفغاني ، وهي نفسها الوزارة التي كانت تضم الشاعر ورئيس الوزراء فيما بعد محمود سامي البارودي أحد أصدقاء الأفغاني ومريديه ، لدرجة أن المؤرخ عبد الرحمن الرافعي علق على ذلك بقوله : « لا شك أن موقف البارودي في هذه الحادثة لا يمكن تسويغه أو الدفاع عنه بأي حال » ومع ذلك فمن الواضح أن توفيق كان قد قرر بعد توليه الحكم في أواخر يونيو (حزيران) ١٨٧٩ أن يتنكر لمبادئ الحكم الدستوري التي وعد بها قبل توليه ، ولكن مشكلته عند ذاك أن فرمان توليته من جانب السلطان العثماني تأخر في الوصول حتى يوم ١٤ أغسطس (آب) من تلك السنة ، أي قبل ثلاثة أيام فقط من استقالة شريف ووزارته . فلما تسلم توفيق فرمان التولية في مساء ذلك اليوم قرر أن يمضي في خطته . ويؤيد ذلك ماكتبه أحد رجال حاشيته في ذلك الوقت ، وهو أحمد شفيق (باشا) الذي قال :

« وقد كثرت الأقاويل حول هذه الاستقالة الفجائية (استقالة وزارة شريف) ، ولكن بواعثها الحقيقية لبثت سرا خفيا حتى علمنا من السراي أن الاستقالة كانت بسبب آراء شريف باشا الدستورية وتوسعه في الأخذ بمبدأ الشورى . فقد قرر مجلس النظار في إحدى جلساته رفع مشروع لتأسيس حكومة دستورية شورية إلى الخديو ، على أن تستقيل النظارة إذا لم يقبل ما عرضته . وتعاهد النظار في هذه الحالة على ألا يدخل منهم أحد في النظارة التي تخلفهم . ولكن توفيق لم يوافق على المشروع بناء على نصائح حاشيته ، فضلا عن أنه كان يرى أنه ليس من السهل انتقال الشعب من حكومة فردية محضة إلى حكومة نيابية بحتة من غير تدرج » ولأن الأفغاني كان يقود تيارا ، تعبر عنه صحف تلاميذه ، وينادي بالحكومة الدستورية الشورية أي الديموقراطية ، كان لابد من التخلص منه فور تمكن الخديو من الحكم ، وهذا ما حدث ، وأكده بعد ذلك تهديد صحف تلاميذه ثم إيقافها جميعا ، وكان عددها ثلاث صحف . ومع ذلك كله فرسالة الأفغاني إلى رياض تكشف عن إصراره على بث الود للخديو الذي أساء إليه ، وتحميله ذنب طرده على أحد أتباع الخديو الصغار وهو الضابط المذكور . ولأنه يعرف قرب رياض من الخديو في تلك الفترة ، كما يعرف أن رسالته هذه ستنقل بفحواها على الأقل إلى الخديو فقد أصر على ذالك فيما يبدو لغرض في نفسه ، ولكنه بالقطع لم يكن غرض الرجوع إلى مصر . فكلماته تحمل من الألم والغضب ما يؤكد عزمه وقتها على الذهاب إلى بلاد غير بلاد المسلمين ، التي لم يلق فيها إلا العذاب والمتاعب .

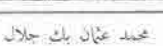
ومن ناحية أخرى يشير الأفغاني في رسالته إلى ما كتبته عن طرده صحيفة « الوقائع » الرسمية ، التي نشرت خبر طرده في « بلاغ رسمي » من إدارة المطبوعات يوم ٣١ أغسطس (آب) ١٨٧٩ . وفي هذا البلاغ المكتوب بالسجع السخيف قال « مدير مطبوعات ووقائع » بالحرف الواحد :

« ... وحكومتنا الخديوية التوفيقية الجليلة التي ما زالت على بصيرة ، متيقظة كل التيقظ ، لا تغادر في استقصاء الجزئيات والكليات صغيرة أوكبيرة ، لا سيما في هذا العصر الجليل ، الذي أنعم الله به علينا بحضرة خديوينا هذا الموفق الجدير بكل تبجيل ، الباذل كليته فيما به نفع العباد ، وإصلاح حال البلاد ، ورفع كل خلل ، ودفع ما يوقع في الزلل .

« فمن ثم قد استشعرت بأن هناك جمعية سرية من الشبان ذوي البطش ، مجتمعة على فساد الدين والدنيا المضر بالبرية ، رئيسها شخص يدعى بجمال الدين الأفغاني ، مطرود من بلاده ، ثم من الأستانة العلية لما ارتكبه من أمثال هذه المفسدة في ديارنا المصرية ، المتحققة بالقبض من أهل الضبط ، والتيقظ والبصيرة والربط ، على أوراق عنده مضمونها شاهد عليه بالتوسل بتلك الجمعية إلى السعي في جميع القبائح والمفاسد ، التي لا تخفى على أهل الكياسة ، خصوصا رجال الحكومة المحنكين المدربين على السياسة والرئاسة »

ومن يطالع هذا البلاغ الرسمي السخيف حتى نهايته ، ويطالع صحف تلك السنة على الأقل ، ومنها صحف تلاميذ الأفغاني (ولا سيما ابراهيم اللقاني وأديب اسحق) يشعر على الفور بأن مصر عادت بذلك البلاغ قرنا على الأقل إلى





محمد عثمان بك جلال



حليم باشا



حسين فخري باشا

الوراء ، لا من ناحية الفكر السياسي فحسب وانما من ناحية فن الكتابة والتحرير أيضا !

يبدو أن الأفغاني كان يتلقى رسائل من مريديه وأتباعه في مصر على أية حال وألا ما عرف شيئا عمّا نشرته « الوقائع » بعد رحيله .

وإذا كانت شرطة الخديو قد أهانت الأفغاني على النحو الذي رواه في رسالته فلم تبزّها إهانة شرطة الانجليز في الهند حتى انتهت الثورة العرابية التي سماها الأفغاني « الداهية » ثم شطب الكلمة واستبدل بها كلمة « الفتنة » ، ووصف عرابي بأنه « القوال المجازف » . ويبدو أن هذه الأوصاف قد اضطر إليها الأفغاني لأنه كان يخاطب رجلا (رياض) معاديا لعرابي والعرابيين . وهي متناقضة مع ما كتبه بعد ذلك عن عرابي والعرابيين في صحيفة « العروة الوثقى » بل متناقضة مع ما كتبه قبل ذلك في مصر نفسها عن دستورية الحكم ونيابيته . ومع ذلك فقد كشف الأفغاني في رسالته عن الضعف الذي قد يصيب الانسان في المحن ويضطره إلى سلوك طريق يأباها . فقد طلب من السلطة الانجليزية في لحظة يأس أن تبعث به إلى مصر أو إلى الخديو كما قال حتى يساعد على تصفية الجو ، أو بمعنى آخر على إطفاء ما سماه بالفتنة !

لم ينس الأفغاني في ختام رسالته أن يوصي رياض باشا — وهو في موقع سلطة — بتلاميذه الذين تعاونوا مع عرابي . بل لم ينس أيضا أن يذكره بأداء الشهادة في حقه عند الخديو مع شريف وعبد الله فكري .

وإذا كانت لغة الأفغاني الأولى هي الفارسية فقد كان يكتب العربية ببراعة يحسد عليها . وكان ينتقي في كتاباته كثيرا من الكلمات المعجمية التي انزوت عن الاستعمال . وهذا ما نجده في رسالته هذه مثل : تقدعهم بمعني تمنعهم ، الرحيضة بمعني النظيفة ، صغو بمعني ميل ، تبيغ بمعني فار (الدم) ، الجذيذن بمعني السعيد .. الخ .

الرسالة بعد هذا كله تدعو المهتمين بالأفغاني وفكره ونشاطه إلى إعادة النظر في الكثير مما شاع في الكتابة عنه . ولكن ليس على طريقة الدكتورة كيدي الأستاذة بجامعة كاليفورنيا أو الدكتور لويس عوض الذي نقل عنها المادة الأساسية في مقالاته . فقد استخلصا من الرسالة نتائج ليست فيها . بل قرأت كيدي — دون تدرب كاف على خط الأفغاني — اسم « شاهين باشا » على أنه « سامين باشا » لأن الهاء عند الأفغاني كانت أقرب إلى الميم . وجاء لويس عوض الذي لم يطلع على « الوثائق الأصلية فقرأ الاسم عن ترجمة كيدي الانجليزية وكتبه « سمين باشا » وراح يبحث له عن تفسير فقال : « يبدو أن سمين باشا هذا هو راتب باشا الذي قاد ثورة الضباط الأولى على الوزارة الأوروبية الأولى » !

مســــــودة رســــــالة إلى ريـــــاض باشـــــا «١»

مولاي

ها أنا اليوم في القنا أذهب إلى لندن ، ومنها الى باريس مُسلّمًا عليكم وممجداً إياكم تمجيدا يكون إذا وجهته مقامكم وكفاء لعلو شأنكم ، ويعادل عظيم درجتكم في نزاهة النفس وطهارة السريرة ونقاوة السيرة ، ويوازي جليل زينتكم من عقائل الصفات وكرائم الخلائق التي تدثرتم بها ، مؤديا مدارج كمال صعدتم فيه بالعقل المطبوع ، وقصّر الآخرون حقها . وبما فطرتم عليه من جبلة تأبي أن تقف على الطوية دون أن تبطنها ، وتستنكف إلا أن تخوضها وتكتنهها . لاشك أن المصيبة العظمى التي رمتني والبلية الكبرى التي أصابتني قد أحطتم بها علما ، وانكشف لكم باطنها عن ظاهرها وسرها عن علنها وظهرت لديكم خفيتها ، ودفعتم عن ظل أستارها حقيقتها ، وعلمتم أنها كانت حيفاً على بريء ، جلبت التهمة على نقي . وما بقيتْ إلى الآن تحت حندس الخفاء محجوبة عن بصيرتكم الثاقبة ولا أكنتها عن بصرك النافذ في أطباق الحجب المظلمة أستار العمى فإن عقلا محصفاً ولبا صرفا مثلكم لاتغرنه الظواهر ولايصغى إلى نعق ناعق ، ولا يعير سمعه قول مجازف ولاتحركه عواصف التقولات ولاتزغره هبوب الافتعالات ، بل لايمشي في الحوادث إلا بنوره وهداه ، ولاينقاد في الوقائع إلا إلى سلطان برهان أوضح له سبيل الحق وأداه ـ لأنه يعلم أن من يأخذ بالظاهر يغتر ويغر ، والذي يتبع كل ناعق يغر نفسه ...(٢)



وكم ألبس الحق لباس الباطل ، وكم ظهر الباطل بدثار الحق ، وكم تردى الجور برداء العدل ، وكم علم العدل بعلامة الجور – وحوشيت أن تكون من الذين عقولهم في أذانهم وألبابهم في حاشيتهم وبطانتهم ، يعتقدون مايقولون ويقولون مايسمعون ، ثم يجلسون على منصة الحكم فيقضون ، لاعقل فيرشدهم ..... (٣)ولا خشية من سوء فتقدعهم (٤) – ولا أرتاب أنكم بماجبلتم عليه من الفطرة النقية والطينة الرجيحة (٥) ، بعدما ظهر لكم جلي الأمر ، قد استعظمتم الرزية التي غشيتني والداهية التي معكتني بلاجنحة اقترفتها ولاجناية اجترحتها ، فإن من لا يستعظم مصيبة العدوان ولابلية الحيف لايأبي أن أتي بها ولايبالي أن يكون مصدرها ، وليس في الحيف صغيرة ولا كبيرة ، فإنه منشأ سخافة العقل وقسوة القلب ، وإذا اجتمعت هاتان الخلتان في رجل فقد استوت عنده صغيرته وكبيرته ، وأنت العدل حقا والنصفة صدقا...... (٦)

بل أنا موقن أنكم بغريزة عقلكم الثاقب قد علمتم حقيقة هذه المصيبة وأسبابها ودواعيها وبواعثها ، ولو اكفهرت سحب التلبيس وقول الزور على سماء عقول كثير من الناس ، وبطهارة نفسكم الزكية قد استعظمتم هذا الجور واستوحشتم من هذا الضيم الذي جنته على يد الجهل والقسوة ، وحننتم على هذا المظلوم البرئ حنو القريب على القريب ، وان قست قلوب الذين لايعقلون ، لأن الحنانة على المظلومين واللهف عليهم إنما تكون بمقدار العدالة وحب النصفة والنفاد من العدوان وكراهة الجور ، وأنت تعالى مقامك لك القدم الأعلى في العدالة والقدح المعلى في النصفة .

ومع هذا وهذا وذاك أريد أن أخبركم بحقيقة هذه البلية المفجعة حتى يكون سمعها كعيانها وسترها كاعلانها ، فأقول إن الخديو كان يحبني قبل أن ينال الملك محبة صادقة ، وأما أنا فقد كنت ولياً لمن ولاه وعدواً لمن عاداه ، وسلما لمن سالمه وحربا لمن عانده ، ولا أزال أقدع من يعاديه وأكف من يناويه ، حتى أن الشيخ البكرى كان يريد أن يثير الناس بتحريك اسماعيل باشا والافرنج (فذهب إليه ناصحا له مهدداً إياه قائلا إن الماسونيين عزموا على قتلك غيلة لأنك تسعى في إدامة حكومة هذا الظالم ، فاصفر لونه وغلب عليه الخوف ، وخاف أن لايعين اسماعيل باشا في شيء وأن لايمتثل لأمره (٧)) وكل هذا بعلم الخديو وطلب منه . وكان الخديو كل يوم يرسل الى كاتبه كامل بك قائلا إن افندينا يسلم عليكم ويقول ليس لنا في هذا سواك معين .

وإن جماعة من الإفرنج الماسونيين وأذنابهم من حثالة الأمم الغابرة وثفالة الشعوب الماضية وبقايا السريانيين المتحجرة الذين كانوا تحت رياسة عبد الحليم باشا حينا كان رئيسا على مجلس الماسون في القاهرة ماقصروا أن سعوا لعبد الحليم باشا ، وأنا حبا في الخديو جابهتهم بالعداوة وقابلتهم بالخصومة ، ورفضت مجلسهم أنا ومن كان مثلي مغرورا بحب الخديو ، ونبذت رياسة محفلهم ، وتركت ودادهم ، ومججت ألفتهم ، وأنا المؤسس عليهم من سنين . وكانوا يحبونني وأحبهم وأوقرهم ويعظمونني . وكل هذا مافعلته إلا ثقة بحب الخديو – حتى أن الماسونيين من الافرنج وأذيالهم ذهبوا إلى (تريكو) (٨) ، وبلغوه أن صغو (٩) المصريين مع عبد الحليم باشا وضلعهم معه (وميلهم إليه) (١٠) وروعوه من وقوع الفتنة إن عدل عنه إلى غيره . ولما بلغت هذا أسرعت أنا والمحزون بحب الخديو من حزبي إلى القنصل فكذبت ماباهوه ، وأظهرت له جلية الأمر وكشفت القناع عما أضمروه وقد أعلن كل هذا في الجرائد الوطنية .

وليس للخديو أن ينكر مافعلته وبجحد هذه المساعي وغيره وغيره . إلا أن يفقأ عين الفتوة ويكفأ أذن المروة . ولما أحس إخواني الماسونيون مني الرجوع إليهم والاتفاق معهم ... (١١) وقنطوا من فوز عبد الحليم باشا نصبوني عرضا لمسهام افتعالاتهم ، وأطلقوا على ألسنتهم السلاط فبهتوني واتهموني ، ونسبوني إلى طائفة النهليست (١٢) مرة وإلى السوساليست (١٣) أخرى . وأشاعوا كذبا وبهتانا أني عازم على قتل الخديو والقناصل جميعا باللعقل والعاقل ؟ من أين لي الجيوش التي تقوم بهذه الأمور الصعاب وأنا رجل غريب في مصر ؟ وماكنت أظن في عميقات فكرى أن يوجد في أولاد آدم شخص يعبر سمعه إلى هذه الأباطيل ، ولو كان أفينا ، ولكن قد وجد .

وبعد مانال الخديو الملك تألب هؤلاء الماسونيون أحزاب عبد الحليم باشا ، ودفعوا إلى الخديو وألقوا إليه ماألقوا تشفيا بغيظهم – وأنا ماعاديتهم ولا رفضت رياسة مجلسهم مع علمي بكثرتهم وقوتهم إلا اتكالاً على الخديو وثقة به – وماكنت أدرى أن الخوف من حيث الثقة – وقد كتبت ردا لتقولاتهم في جميع الجرائد المصرية والعربية والافرنجية ، وأظهرت للحكومة فيها مكنون نياتهم واستعنت بها على دفع شرهم – وقد أتاني الشر منها . وقد أعان الماسونيين أحزاب عبد الحليم باشا على اختلافاتهم وساعدهم على افتعالاتهم ، وتمم تعديهم وبهتانهم الشخص المعكوس والهيكل المركوس والرجل المعيوب عثمان باشا المغلوب الذى كان ضابط البلد في ذلك الوقت ، لضغينة انقدت في أحشائه ، وهي أن شابا من تلامذتي كتب في جريدة من الجرائد في ضمن مقالة مامعناه أن عثمان باشا ضابط البلد مثلا ليس بمعصوم ، يخطئ ويصيب ، فغضب ذلك المركوس وتمعر ، وأخذ الأستاذ بذنب التلميذ ، وزاد على إرجاف حزب عبد الحليم إرجافاً (١٥) .... وبهتانهم بزوده واختلاقهم بافترائه ، وسمع (بتقولات هذا النذل (١٦)) إذ ذاك الشريف باشا(١٧) فنهره وكفكفه وزجره وبهره ، فكف لسانه كاتما حقده وضغينته . فلما استعفى الشريف باشا قام ذلك اللئيم متوقدا ملتهبا ظنا منه أني شكوته إليه ، لا وحقك علي ، مارفعت شكوى إلى أحد . بل ماعلمت أن الشريف باشا زجره وعاتبه إلا من لسانه في ليلة مصيبتي قائلا لى . إنك الآن في قبضتي ، إن شئت أحرقك بالنار وإن شئت أغرقك في الماء جزاء لشكاياتك . فإن الشريف باشا زجرني وتوعدني بالعزل لأجلك . وبالجملة ، إن ذاك اللئيم بهذه العلل الداهية ، وبإغراء أحزاب عبد الحليم كان يلفق كل يوم أكذوبة ويختلق أرجوفة ، ويبلغها إلى مسامع الخديو . وأنا لثقتي واعتمادى عليه ماكنت مباليا بهذه الارجافات علما مني بأنه عاقل لما يسمع هذه الاكاذيب في حق رجل قد جاهر بولائه ، ودافع عنه في وقت قد ألجم الخوف أصدقاءه . ولكن خاب الظن ، وظهر خلاف ماكنت أعتقد – ونسي الخديو محاماتي له ودفاعي عنه ومحبتي إياه (وما واجهني به يوم تبريكه قائلا إن لسانه عن أداء شكرك عاجز (١٨)) . وزعم زعماً عن غير روية ، وظن ظنًا لاعن تدبر وإجالة فكره أني عدو له وأريد الغدر به فأمر بتبعيدى عن الديار المصرية – ظلما وجورا ، وأنا في غفلة عن ذلك ، فما راعني إلا انثيال الضابطة إلى في الساعة الثانية من الليلة السادسة من رمضان لدى العتبة الخضراء وأنا آت من بيت محمود بك العطار (١٩) ، فأخذوني بكل غلق واضطراب إلى

الضبطية . فإذا ذاك اللئيم جالس على منصة الظلم ، فلما سألته عن سبب هذه الفظيعة وعلة هذه الفعلة الشنيعة تعتع ومجمج ، فمرة قال إن العلماء لايرضون بإقامتي في مصر . ومرة قال إن قناصل الدول في وجل منك . ومرة قال إن أفندينا ماذاق النوم ثلاث ليال بأيامها من خوفك .

وبعد هذا الخبط والخلط ماصبر حتي كشف عن مكنون سريرته ، وجاهر بما ستره من ضغينة . وأظهر عليّ من عتاب شريف باشا قائلا : إني تجاوزت عن إغراقك . ولكن يجب عليك أن تذهب إلى جهنم ، إما عن طريق بلاد العجم ، وإما من بلاد الهند . وكلما طلبت تسفيرى إلى الآستانة أو الى باريس أو الى الحجاز تأبي إلا إرسالي إلى جهنم . وطلبت إلى ذلك اللئيم أن يمهلني يومين وأنا في الضبطية ، حتي أعُدَّ للسفر عدته ، وأبيع مما أملكه مالا ينقل وأحمل معى مايجب أن أستصحبه فأبرز بطنه منتفخا وقال : نحن نكفيك مؤنة هذا وأنت في السويس . كن مطمئنا وهاهو أحمد بك (وكيل الضبطية) تكفل لك جميع ذلك .

وكل هذا كانت منه نكاية في وتشفيا من غيظ ما كان له سبب سوى وهم باطل — ثم أرسلني ذلك النذل إلى السويس مع جمع من الضباط . وبقيت فيه يومين محبوسا محاطا بالعساكر ، لاقدموا لى الطعام ولا تركوني حتي أجلب من السوق — وفي آخر الوقت جاء رجل من طرف الأحمق الذى يتصرف في السويس لظلمه . وأخذ ماكان في جيبي وجيب خادمى من الدراهم والأقراش (٢٠) وقلم الرصاص والسبحة والمنديل والسكين (٢١) قائلا إن أفندينا قد أمر بذلك . وبعد هذا الفعل الشنيع قادني إلى مراكب الظالم قود الجمل المخشوش ، فلما مثلت بين يديه قلت له بصوت ضعيف أجدع : ياايها الباشا ، إن كنت مأموراً بقتلى فلم التأخير والتوالي ؟ وإن لم تكن مأمورا بذلك فلم منعتني عن جلب الطعام من السوق ولا قدمت مايقتات به من عند نفسك (في هذين اليومين بل أمرت أن تصلبني جوعا (٢٢)) ، فانكمش وجهه الصلد الوقح كأنه يستحى . وقال : ماعلى . أنا مامور ومعذور . ثم فغر فاه قائلا ، أنت الآن تذهب إلى وابور الأركط (إن شاء الله يصير . طيب طيب) وتُرسل قبل وصولك أموالك وكتبك إلى بندر كراجي (٢٣) أو بندر أبو شهر أو البصرة ، وترى كل

لوحه ١٣



خير من أفندينا إن شاء الله (هذه سياسة معوجة تركية) فقلت له إن أمرت أن ترد إلينا الأفراش التي أخذت من جيبنا حتي نقدر على النزول من الوابور إلى بندر من هذه البنادر التي ذكرت. فتعبس وتجهم وقال رافعاً صوته : أما هذه فلا يمكن. لأني أخاف أفندينا. فإن أفندينا قد أمر أن أسلب جميع ماعندك وعند خادمك سوى الثياب.

وجملة الأمر (أنني) قد ذهبت من مصر (بسربال وسروال (٢٤)...) الى بندر الكراجي — وزاد جميع هذه الآلآم والمصائب تأثر النفس الذى حصل لى من خجل استولى على وتبيغ (٢٥) به دمى عندما ماتصورت أن حزب عبد الحليم باشا سيستهزئون بأفعالى ويسخرون من محاماتي عن الخديو ومحبتي له، وقد جرى على منه ماجرى. لأنهم كانوا عارفين بحقيقة الأمر — فأسألك الآن ياعقل مصر وياعدل القاهرة بما حزت من مزايا الكمال في عميقات إدراكاتك ودقيقات أفكارك. وبما نلت من فضيلة التمام في ساحات طهارة نفسك ونقتها وذرى أخلاقها

الذكية وشواهق سجاياها الرحيضة أن تسأل هنا على وقياما بواجب حق العقل وأداء الفريضة العدل. عن أفعالى وحركاتي مع الخديو وغيره من عبدالله باشا فكرى وفخرى باشا وكمال بك كاتب سر الخديو والشريف باشا الذى بحمايته صرت فريسة للكلاب. فإن كلاً كان عالما بصدرى ووردى عارفا بأعمالى وأفعالى عندما كنت في بلاد الافرنج (٢٧).

ماخفيت عليهم خافية من أمورى. حتي تقوم على ماأحطت به علما بنور عقلك من استقامتي واعتدالى شواهد العدل وبراهين الصدق — فيكون حكمك في قضيتي أيها الحاكم العدل عن بينة — ثم تدبر ياعقل مصر بناقد بصيرتك في هذه الحكومة التي تبكى الفرح الجذبدن (٢٨) وتضحك الكثيب الحزنان. وتأمل بناقد إدراكك في دعائمها والقوامين على (٢٩)...

(ياترى تدوم حكومة بهؤلاء الظلمة الجهلة وتقوم دولة بأولئك العمى الصم. ترجو أن تعمر البلاد؟ (٣٠)... أتظن أن (يزيد مات والحجاج توفي (٣١))؟ إن الحجاج وتيمور قد ماتوا (٣٢)... جراثيم يتناسخون من صلب وينتقلون من بطن إلى بطن. لاتخلق حكومة من حكومات المسلمين في هذه

القرون... على منصة الجور، يأمرون بالفحشاء والمنكر وينهون عن المعروف والبر.

وحق العدل وعظم شأنه لو تأمل البصير في هذه الحكومات وما فيها من الحيف والعسف لرأى أن بقاءها في العالم لا يكون إلا لتزداد خزيا متتاليا وافتضاحا متواليا. نكالا من العدل وخذلانا من النصفة وقصاصا لما جنت على أنفسها من الجور والظلم...

فيا عدل القاهرة لو نظرت بنظارة إنصافك دقائق المصيبة التي أصابتني من الحكومة المصرية. وأنا طاهر القلب نقي السريرة : برىء من كل جنحة وجناية، ورأيت بمرآة عدالتك ماتواردت عليَّ لأجل تلك الرزية من البلايا المتتابعة في الهند حكمت حكما عادلا أن الداهية الدهياء التي نزلت بالحكومة المصرية وأخذت بمخنقها دون كفارتها — حقا أقول إن بالعدل

قامت السماوات والأرض وما بينهما. وبالجوار قام العدل على مركزه. وعلى محوره استدارت رحاه — والذى أضحكني بعد ماأبكاني ماكتبته أضحوكة الجرائد وفهرست الأفعال السيئة ودفتر الأعمال الشنيعة، الوقائع المصرية من أن «الحكومة الخديوية قد اطلعت على جمعية سرية رئيسها جمال الدين الأفغاني قد أسست على فساد الدين والدنيا (٣٣)».

نعم. قد صدقت في قولها هذا من تكون عونا للحمق وعضدا للخرق. فقد أفسد الأديان لاديناً واحدا — وشكرا للعدل الذى قد أشاع بألف لسان وأضاع بألف قلم كفر من نسبني إلى إفساد الدين — وأماالدليل الذى أقامته من جور الدولة العلية من قبل على صحة ظلم الحكومة الخديوية من بعد فهو دليل طبيعى لا يرد ولا ينكر. لأن بذر العسلوج (٣٤) من

تلك الدوحة التي ساخت أسنانها في كثبان القسوة، لاتورق إلا حيفا ولا تزيد إلا عسفا. ولاتثمر إلا خسفا. وأعجب من كل هذا وأدل أن ذلك اللئيم المعيوب أعطى كتبي وأنا حيٌّ ميراثا. سبحانه من رجل يرث كل (٣٥)...... وياللانصاف! وحقك على إن هذا الشيء يستفرغ ماء الشئون ويقض على العاقل بالجنون.

وبعدما يا مولاى — تؤلم قلبك الشفيق الرحيم بعد استماع تفصيل المصيبة التي دمغتني في مصر فالآن اسألك بسماحة أخلاقك أن تعيرني سمعك حتي أقص عليك مجملا من تفصيل مانزل على في الهند من البلايا التي على نتائج البلية المصرية، لأنك وحدك منتهى شكواى. فأقول أني من يوم وصولى إلى بندر الكراجي كان ثاني يوم من بلوغ خبر قتل (كيونادى) قنصل الانكليز في كابل كنت تحت الحفظ كل ساعة متهيئاً لاستماع سؤال ولإعطاء جواب. وكل يوم مستعدا للذهاب من عند حاكم إلى آخر لتجدد الفحص والتمحيص. وكل شهر مشمرا للانتقال من بلد إلى بلد لاستنطاق جديد واستماع خطاب عنيد. وكانوا يمنعون الناس من معاشرتي ويحظرونني من لقائهم. ولكنهم ماسلبوني ولا أخذوا المنديل والسبحة من جيبي بأمر الملكة خلافا للحكومة الخديوية. إلى أن ذهب أيوب خان (٣٦) إلى طهران فحينئذ اطمأنت خواطر الانكليز من طرفي، وتركوني (٣٧)... ثقيل الظهر كسير العظم من الضنك والضيق والقلق والاضطراب. أخبط خبط عشواء : لا أعرف الضلالة من الهدى فذهبت إلى الدكن (٣٩)، وأنا لا أملك نقيرا ولا فتيلا. ولا أجد لنفسي بيتا ولا مقيلا — وبينما أنا ضال عن رشدى وحائر في قصدى، وأتأملُ في المصائب التي تبادرت على، وأتفكر في حالى وما يئول إليه أمرى فإذا قامت الداهية العرابية (٣٩). على ساقها، واستولى الألم على الحكومة الانكليزية. واشتدت وساوسها خوفا من وقوع الفتنة في الهند. واعتقدت بأني مرسل من طرف عرابي باشا لتحريك المسلمين وتحريضهم ضد الحكومة الانكليزية فجلبتني من الدكن إلى كلكتا، واشتدت على في السؤال والجواب، وكنت كل يوم منها في تهديد وتحذير. ولقد ضيقت على مسالك الرحمة. وكلما كان صوت العرابي يزداد اعتلاء كانت الحكومة الانكليزية تزداد على شدة، خصوصا عندما قال ذلك القوال المجازف : أنا أثير مسلمى الهند على الانكليز. حتي أني من شدة تضييق الحكومة وعدم إصغائها إلى ماألقي عليها من الأجوبة طلبت منها اضطرارا (وفرارا من البلية... إلى بلية أخرى (٤٠)) أن ترسلني إلى الخديو. ودفعت مسألتي هذه الى حاكم الهند وهو وقتئذ في السملة (٤١) فظللت منتظرا للجواب. وظلت الحكومة في الخطاب والعتاب إلى أن انطفت الفتنة. فأطلقتني مع مراقبة أفعالى وحركاتي ليلا ونهارا..

فلما رأيت أن المصائب كل يوم تكشر على عن أنيابها ، وأن البلايا تفتح كل ساعة بابها تفكرت في الرزايا التي جلبتها على الغباوة والقسوة ، وترويت في أمرى وعلمت أني لو أذهب إلى بلدى وفي العين قذى وفي الحلق شجى ، وفي الكبد أوار وفي القلب نار مما أصابني ، لا أجد فيه بين أهله ، وكلهم مسلمون ،

من إذا قصصت قصتي وكشفت عن غصتي بئن على ويتوجع لى ويأسف على مصابي ، لأن المسلمين فطروا على جبلة واحدة ، وخلقوا من طينة متماثلة بلا اختلاف في الطبيعة ولا تغاير في السجية ، لا يستعظمون الضيم ولا يستوحشون من الظلم ولا يرون الحيف فظيعا ولا العسف شنيعا (٤٢) ...

فعزمت أن أذهب – وإن كنت صفر اليدين خالى الراحتين – إلى بلاد فيها عقول صافية وآذان واعية وقلوب شفيقة وأفئدة دقيقة ، حتى أقص عليهم مايجرى على ابن آدم في المشرق (وهذا هو سبب ذهابي الى بلاد الإفرنج (٤٣)) ، وأخمد النار الملتهبة في قلبي من هذه البلايا وأضع حمل هذه الهموم التي أنقضت ظهرى . وأنا إن مت فعلى الدنيا بعدى الصفاء ، وان بقيت فلا أعدم عقلا يرفق بي ولا أفقد عدلا يحن على – وهذا هو سبب ذهابي الى بلاد الافرنج .

وقد أرسلت يامولاى الى رفيع جنابكم خادمى (العارف (٤٤)) لقبض أموالى وكتبي التي تخلفت على في مصر بعد ماشردتني اليد الظالمة ، وأخذ شهريتي الباقية على الحكومة ، والثقة في كل هذه بعد لكم والاعتماد على إنصافكم ،والشفقة منكم ليست بعيدة ، والرحمة فيكم ليست بآية جديدة – وأرجو واسع كرمكم وسماحة أخلاقكم أن تظلوا العارف بظلال شجرة رحمتكم ، وتؤوده في فناء عاطفتكم إلى أن يقبض أموالى ويلحق بي في لندن .

ثم أرجو بضراعة واستكانة رجاء معتقد لكم أهل لكل فضيلة تتباهى بها الأمم أن تنظروا إلى تلامذتي بنظر العناية ، خصوصا الشيخ عبده والسيد ابراهيم اللقاني . ولو صدرت عنهم في هذه الفتنة الشوهاء فلتة عن جهالة فاعفوا عنهم بواسع رحمتكم وتجاوز عن سيئاتهم بكرم أخلاقكم . ولا تؤاخذهم يامولاي بخطيئاتهم فإنك أنت العفو الكريم والبر الرحيم .

ولقد أرسلت مكتوبا الى الشريف باشا ومكتوبا آخر إلى عبدالله باشا فكرى ، ودعوتهما إلى أداء الشهادة . والسلام .

في العدد القادم الوثيقة الثانية من أوراق الأفغاني : ماذا حدث لتلامذة الأفغاني بعد فشل الثورة العرابية ؟

هـــــــوامــــــش

١) كتب هذه المسودة وهو قادم من الهند في أواخر ١٨٨٢ متجها إلى أوربا . وهى مليئة بالشطب والتعديل وعدم وضوح العبارة وقلقها .

٢) عبارات غير واضحة لاتؤثر في السياق .

٣) عباره غير واضحة لاتؤثر في السياق .

٤) تمنعهم .

٥) النظيفة .

٦) عبارة غير واضحة .

٧) العبارة بين القوسين جاءت في هامش المسودة تصحيحا لعبارة أخرى مشطوبة ولكنها واضحة . ومنها : « وان الشيخ البكرى أولا وشاهين باشا ثانيا كل منهما يريد أن يثير فتنة ويجلب على مصر بلية عمياء هددت كلاً بالماسونيين حتي كف هذا وانقدع (بمعني كف أو امتنع) ذاك » .

٨) قنصل فرنسا في القاهرة .

٩) ميل .

١٠) كتبت فوق العبارة السابقة وقد تكون بديلا لها .

١١) عبارة غير واضحة .

١٢) العدميون .

١٣) الاشتراكيون .

١٤) كان مأمور الضبطية في القاهرة بما يعادل اليوم مدير الأمن .

١٥) كلمة غير واضحة .

١٦) العبارة كتبت بين السطور .

١٧) محمد شريف رئيس الوزراء وقتذاك .

١٨) العبارة بين السطور .

١٩) أحد نواب القاهرة في برلمان ذلك العهد .

٢٠) القروش . وفي النص كلمات كثيرة من هذا النوع الذى يتصرف فيه الأفغاني عند تعامله مع العربية . ومع ذلك فهو جمع صحيح على وزن أفعال .

٢١) يبدو أنه كان يحمل مطواة !

٢٢) العبارة بين السطور .

٢٣) بندر كراجي : مدينة كراتشي .

٢٤) العبارة بين السطور .

٢٥) تبيغ : فار .

٢٦) فخرى باشا هو حسين فخرى الذى نظم المحاكم الأهلية وكان من رجال الخديو .

٢٧) يقصد عندما كان رياض خارج مصر في أوروبا وقت اعتقاله .

٢٨) الجذبون : السعيد .

٢٩ ، ٣٠) كلمات غير واضحة .

٣١) عبارة مشطوبة .

٣٣) يبدو أن أحد تلاميذه كان قد أرسل له في الهند نسخة من الوقائع المصرية التي نشرت نبأ ابعاده أو أطلعه على مانشرته .

٣٤) النبات الأخضر او الكرم اول ماينبت .

٣٥) كلمه غير واضحة .

٣٦) زعيم أفغاني معاد للانجليز ترك بلاده في ذلك الوقت وذهب إلى إيران .

٣٧) كلمة غير واضحة .

٣٨) حيدر اباد .

٣٩) وضع كلمة « الداهية » محل كلمة « الفتنة » التي شطبها .

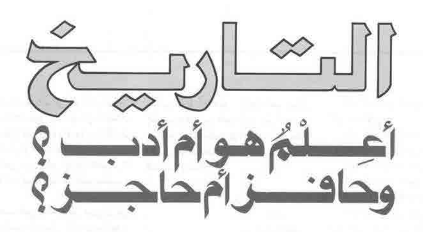
٤٠) العبارة بين السطور .

٤١) العاصمة الصيفية للاقليم : سملا .

٤٢) كلمات غير واضحة .

٤٣) عبارة مشطوبة .

٤٤) أبو تراب وكان يكتبه بهذا الاسم .



بقلم: أحمد العناني

الناس لا يستوون في موضوع التاريخ أبدا وفي اعتقادي أن المولعين به والكارهين له جميعا على حق ولكن كيف يمكن أن يلتقي على حق ضدان متناقضان؟ ذلك هو موضوع هذه المقالة التي لا ينسجها تهويم خيال أو افتراض جائز ومحال. ولكنها حصيلة حياة طويلة مع التاريخ شغفا موروثا من الأب، بل ومن قبيلة العناني وهي في المغرب ومصر وبلاد الشام والحجاز من المشغولين دائما بالتاريخ حتى إنني أعلم أن من أسباب غفلة الكثيرين منهم هو بلا ريب طول العيش مع الغابرين في الماضي. ولقد أذكر أني التقيت بمؤرخ التاريخين الأندلسي والمغرب محمد عبد الله عنان بمدينة الرياض وقدرت انا لو جلسنا شهرا فربما لا يكون حديثنا فيه عن الحاضر إلا لماما... ومن هنا تجيء أحيانا جملة المتحاملين على التاريخ بأنه عبء، وأن التاريخ لا يعيد نفسه أبدا....

ولكن الحكمة لا تستخلص من التكرار. فانما ينشأ الفن والموسيقى من التكرار أما التاريخ فهو تأمل في متشابهات ومتناقضات تأملا يفضي الى الحكمة.. ومن قال أن بونابرت مثلا كان يكرر دروس هنيبال أو الاسكندر تكرارا مقلدا أعمى ولكن أحدا لا ينكر أن خطط نابليون في ساحات ينا واسترلتز شبيهة بخطط هنيبعل في إيطاليا، بل ان حركات نابليون في البحر المتوسط وبه اسطول بريطانيا الضخم هي نظير انقضاض هنيبعل على شمال إيطاليا من جبال الألب، كذلك أو قريب من ذلك بالاحرى كان وصول نابليون بحرا إلى مصر.

والآن.. هل التاريخ علم أم أدب؟

من البداية أحب أن أشير إلى أن هناك خلافا حادا على الاقتصاد الأدب هو أم علم؟.. والمشغولون بأحوال النفس البشرية يسمون عملهم علم النفس مع اني مستعد للحلف بأن الأدب وحسن الرؤية والخيال والحس النفسي تؤدي أدوارا أكبر في علم النفس من الاختبارات التطبيقية. والاستبيانات العملية التي يركز عليها من يريدون لعلم النفس أن يكون كذلك بحق وحقيق.. أما لماذا علم النفس وليس أدب النفس أو أحوال النفس؟ فذلك لأن العلم المختبري أصبح يعبد في أوروبا منذ تحولت قلوب الناس هناك عن الكنيسة وتصرفاتها منذ القرن السابع عشر..

الحقيقة أن التاريخ علم وأدب وأن للتاريخ خدمات لا يمكن أن يؤديها ألا حين يكون أدبا خالصا ولعلم التاريخ رسالة في مجالات مغايرة لا يمكن أن تؤدي إلا والتاريخ علم تجري عليه مناهج النزاهة والتدقيق والقياس كما تجري على علم مختبري..

وتعالوا إلى شيء أكثر من التبسيط..

هناك معلم تاريخ يصغي له الطلبة بشغف هائل وأذا ما قرع الجرس مؤذنا بانتهاء الحصة تجد الطلبة وكأنما أطلقت النار داخل صفهم ولم يقرع لخروجهم جرس وحسب ولكن دروس أغلبية الموكول لهم تدريس التاريخ تتحول إلى لعنة وترى الطلبة في حالة بائسة من مغالبة النعاس واحساس الضجر حتى إذا قرع الجرس كان مخرجا أكيدا لهم من غم عظيم..

ذلك بأن التاريخ كدرس يلقي ليس علما خالصا ولكنه في أغلبه أدب خالص ويجب أن يكون أدبا خالصا. أما التاريخ كعلم خالص فذلك في مجالات التأليف المتخصص ومحاولات استقراء الحقيقة بين تبرئة شخص أو غير شخص أو تجريمهم. والوثائق كمادة للتاريخ ليست أدبا ولكنها علم. دراستها وفحصها واستقراء الحقيقة فيها أو دحضها كل ذلك يجري بأسلوب العلم وطريقة علماء الحديث المسلمين أو أهل المختبرات العلمية.. إن الذي يقرر هل يكون التاريخ علما أم أدبا هو نوع الحاجة للتاريخ...

فالذي يريد أن يخاطب أمة بحجة تاريخها ودلالاته ويبعث فيها العزم بالتاريخ ينبغي أن تكون له كل مواهب الخطيب والأديب والشاعر والراوية. والذي يعلم الأطفال أو الفتيان تاريخا يجب أن يكون صاحب خيال، وقدرة على الاستحضار وذاكرة رائعة ورؤية صائبة في علاقات الأشياء..

وفي مجال تعلم التاريخ تحدث أمور مسلية، وللمرء ذكريات من أيام التعلم والتعليم مليئة بالمرح والطراوة..

هناك أناس يبتلون بلاء بتعلم التاريخ، بل هم يستضعفون حين يلزمون تعلم التاريخ وابرز ما يتجلى



نقصهم في فشلهم في تجميع الكلام ومقايسة الحقائق ..

والواقع أنه ربما قبل أن يولد يونس شلبي الممثل الذي أجاد في لفت النظر إلى هذه الحقيقة كان هنالك أناس من مؤرخين ، أعني ممن يسمون مؤرخين وهم لا يجمعون ..

وليس التاريخ في الحقيقة مجرد سرد للحوادث العسكرية أو السياسية . فذلك فهم قديم ضيق جدا للتاريخ . ولكن التاريخ هو تمكين لرجل من الحاضر أن يرى قطاعا من الماضي كأنما يعاد بين ناظريه كما يعيد التلفاز مثلا مشهد تمرير الكرة في تسجيلها اصابة لكي يتأكد بعض الناس بأنها إصابة بحق ..

ولكي يسعد بعض الناس برؤية الهدف وهو يسدد ، ويتألم ويتعلم أناس آخرون من رؤية الهدف مجددا وهو يسدد .. إن الذين يبغون التاريخ « العلم » هم حكام الكرة الذين يريدون أن يحققوا كيف حصل دخول الكرة الهدف وفي اية مواقع كان المهاجمون وأية مواقع كان فيها المدافعون .. وهل الهدف بالتالي قانوني أصولي أم عليه اعتراض مبطل له ..

أما الذين يبغون التاريخ أدبا فهم الذين يستعيدون حوادثه السعيدة ليسروا وليوجدوا في أنفسهم يقينا على إمكان أن يفعل الأبناء ما فعل الآباء .

أو هم كالذين دخلت الكرة هدفهم يستعيدون ظروف الأمر على التلفاز وبهم أسى لما حصل وتصميم على ألا يتكرر الخطأ ..

وبذلك نرى أن نوع الحاجة للتاريخ هي التي تقرر اتجاهاته ..

لكن الكثيرين ممن يؤثرون التاريخ علما ليكون عندهم أحق بالاحترام هم جماعة من أصحاب القلوب الطيبة والنوايا الحسنة والاستقامة بلا ريب ..

ومعروف أن الحق له جلاله العظيم ، وفي محرابه لا تكون عواطف ولا حوافز ولا دوافع وانما تكون رواية حق لما حصل .. وإلا فكيف نرتب أحكاما على باطل . ونقيم على روايات كاذبة أمورا لها خطرها وأثرها .. لكن هؤلاء الناس مثاليون أيضا ..

والمثاليون على الرأس والعين ولكنهم كالرمية التي لا تصيب سهما . فالتاريخ هو أمر يتعلق بالانسان ويفرزه الانسان وكل ابن آدم خطاء ... وهيهات يصل الانسان حد الخلوص التام من الهوى . وتقريبا لحقيقة المشكلة نعيد طرح السؤال التقليدي والتاريخي ايضا هل التاريخ يراد للتاريخ نفسه ؟

أم هل هو يراد للحياة ؟

وأنا شخصيا أريد أن أضيف هذا السؤال اذا كان هناك فنانون أصيلون فيهم ما يكفيهم من الإباء والفقر والغرور . فلماذا ينجزون أعمالا مبدعة لعائلة مديشي في فلورنسا ولويس الرابع عشر في قصور فرسايل واللوفر ؟

هل الفن التزام ؟ وهل التاريخ التزام ؟ أم رواية للحقيقة لمجرد الحقيقة ، ولحلاوة الحقيقة وجمالها ؟

ودعنا ننظر في الموضوع في السؤال الذي يطرحه الكثيرون اليوم : هل التاريخ حافز أم حاجز ؟

هل هو عبء ينوء به كاهلنا أم هو حافز يدفعنا إلى الخير والانجاز ؟ وهل اذا كان التاريخ حافزا يجوز أن نتعمد فيه التهويل والتحريف ؟ رأيي المتواضع إن كنت حقا مؤهلا لأن أتكلم بهذه الكيفية هو أنه لا يوجد شيء اسمه التاريخ للتاريخ وان هذه العبارة لا تعني شيئا على الأطلاق !

على الأقل يقرأ التاريخ قارئ ليتسلى إن لم يكن ليعتبر . ليس هناك تاريخ للتاريخ ذاته . ولكنّ هناك تاريخا للاعتبار . وتاريخا للثقافة . وتاريخا لتوسيع العقول كما يقال وتاريخا للأهمية والاعتزاز . وهل كان العرب من أحفظ الناس وأشدهم عناية بالانساب إلا لافتخارهم بأحسابهم وأنسابهم وتبخترهم وخيلائهم .. ؟

التاريخ الانساني

في تصوري واعتقادي أن مجالات ما يسمى بالتاريخ القومي والعشائري ستنغلق بنهاية هذا القرن كذلك سوف يسقط قسم كبير من التواريخ الوطنية.

سيسقط تاريخ الحروب والقتل والمعارك والأيام ويسقط تاريخ الفاشية والفاشيين ويسقط تاريخ المعتدين الصهاينة وسوف يكون البقاء للتاريخ الانساني والحضاري تاريخ ما ينفع الناس ويمكث في الأرض والله ولي التوفيق .

كل ما تريد أن تعرفه عن :

زرع الكلى

- نجحت عملية زرع الكلى عالمياً بنسبة ٩٠٪ في سنة ١٩٨٠
- العالم العربي بحاجة عاجلة إلى مزيد من التجهيزات والمراكز المتخصصة
- هل يمكن إصدار تشريعات تسمح بالاستفادة من أعضاء ضحايا الحوادث؟

بقلم : الدكتور سامي عزيز

يعتبر زرع الكلى من أنجح عمليات نقل الأعضاء .. تقول التقارير الطبية الصادرة عن احد المراكز الطبية في بريطانيا إنه في سنة ١٩٨٠ وحدها تم إجراء أكثر من ١٥٠٠ عملية زرع كلى .. وقد وصلت نسبة نجاح مثل هذه العمليات إلى أكثر من ٩٠٪ في العديد من المراكز الطبية في العالم .

ويعتبر جوزيف موري أول من أجرى مثل هذه العمليات بنجاح تام .. كان ذلك سنة ١٩٥٤ بمستشفي بيتربنت . ويرجع نجاح هذه العملية الى انه اجراها على توائم . واستمرت الكلية تعمل لمدة ٨ سنوات بعد نقلها ... والواقع انه قبل سنة ١٩٥٤ أجريت العديد من عمليات زرع الكلى في مراكز مختلفة ، إلا أنها كلها فشلت وتوقفت الكلية عن العمل بعد نقلها (طردها الجسم) .. وأشارت الأبحاث التي أجريت على هذه الحالات إلى دور الجهاز المناعي في هذا الفشل . فكما توجد فصائل مختلفة للدم — كما هو معروف — توجد فصائل مختلفة أيضا للأنسجة . ولابد من تطابق هذه الفصائل بين المريض الذي يأخذ الكلية والشخص الذي يعطيه الكلية حتي يتقبلها الجسم بصفة دائمة . ولهذا السبب نجحت العملية التي أجراها جوزيف موري سنة ١٩٥٤ ، إذ أنه اجراها على توائم (مولودين نتيجة تلقيح وانقسام بويضة واحدة) ولذلك فالتطابق بينهما يصل إلى ١٠٠٪ من حيث فصائل الدم وفصائل الأنسجة .

مشكلتان .. هل من حل ؟

المشكلة الأولى .. كيف يمكن زرع كلية بين أشخاص لا يكون التطابق فيهم كاملا ؟ لابد في هذه الحالات من التعامل مع الأجهزة المناعية للجسم وجعلها في حالة تتقبل هذا العضو الغريب (الكلية المزروعة) ولا تطرده . وأشارت الأبحاث إلى الدور الكبير الذي تلعبه خلايا الدم الليمفاوية في طرد الكلى المزروعة عندما لا يكون التطابق في الفصائل كاملا .. وفي البداية بدأ العلماء بتعريض جسم المريض المرادنقل الكلية اليه إلى أشعة اكس ، وذلك بغرض الحد من نشاط خلايا الدم الليمفاوية ، وبالتالي إضعاف جهازه المناعي وتثبيطه ، حتي لا يقوم بعملية الطرد للجسم المزروع . ولكن تعريض الجسم كله لأشعة اكس له مضاعفاته : فهو يقلل مقاومة الجسم ، ويجعله عرضة لأي التهاب ، وقد يؤدي إلى الوفاة . وتم التوصل بعد ذلك إلى العقاقير المثبطة للجهاز المناعي . وأول هذه العقاقير عقار « ازاثيوبرين » الذي استخدمه روي كالن سنة ١٩٦٢ مع مركبات الكورتيزون . واستمر استخدام مثل هذه العقاقير حتي سنة ١٩٧٠ . وحديثا تم التوصل إلى أنواع جديدة من العقاقير المثبطة للجهاز المناعي ، وأشهرها عقار « السيكلوسبورن » ، الذي يتميز بتأثيره المتميز على الجهاز المناعي ، وقلة مضاعفاته وأضراره .

أما المشكلة الثانية فهي : من أين نحصل على أعداد وفيرة من الكلى لانقاذ حياة هؤلاء المرضي المحتاجين إلى زرع كلوي ؟ .. هناك طريق ضيق وهو قائم الآن نعتمد فيه على المتبرعين ، وغالبا ما يكونون من أقارب المريض ؛ ولكن هناك طريق آخر لم نطرقه بعد وان كانت العديد من الدول الأوربية قد بدأت الاستفادة منه .. انه الاستفادة بكلية بعض المتوفين ، بل وباعضائهم المختلفة في عمليات الزرع . ولكن هناك شروط خاصة لابد من توافرها حتي يمكن أن تقوم الكلية بعملها بعد زرعها . وأول هذه الشروط استمرار سريان الدم في الكلية تحت ضغط معتدل



إحدى عمليات زرع الكلى

حتى لحظة إزالتها . ويكون ذلك باستخدام أجهزة خاصة لضمان استمرار التنفس والدورة الدموية . وبالتالي تيار معقول من الدم إلى الكلية . كما أصبح من الضروري وجود أجهزة معينة للاحتفاظ بالكلى حتى ٢٠ ساعة قبل نقلها .. وتجدر الاشارة إلى أهمية سرعة إجراء عمليات الزرع . فكلما قصرت المدة بين استئصال الكلية وزرعها كانت النتائج أفضل وأجدى .

ويتميز التبرع بكلية المتوفى بمميزات عديدة أهمها

١ — يمكن انقاذ شخصين لكل حالة وفاة .

٢ — الخسارة ليست كبيرة في حالة طرد الكلية المنقولة من ميت بالمقارنة إلى حدوث نفس الشيء مستخدمين كلية مأخوذة من شخص سليم .

وهذه المزايا بالطبع لا نجدها في حالة التبرع من الأحياء . لذلك لابد من العمل على طرق هذا السبيل الإنساني النبيل .

زرع الكلية .. لمن ؟

الفشل الكلوي المزمن مهما اختلفت وتعددت أسبابه هو من أهم الدواعي التي تحتاج في علاجها إلى زرع الكلية .. لذلك فالحالات التي تحتاج إلى زرع كلية هي نفسها أسباب الفشل الكلوي المزمن وأهمها

١ — الالتهاب المزمن للكليتين .

٢ — تكيس الكليتين .

٣ — بعض الأمراض التي تؤثر على الكليتين وتؤدي إلى فشل كلوي مزمن مثل مرض البول السكري ومرض القناع الأحمر (الذئبة الحمراء) والتيبس الجلدي المفصلي .

٤ — التهاب نسيج الكلية الناتج عن بعض العقاقير مثل مسكنات الألم وغيرها .

على أي أساس يتم إختيار المتبرع ؟

هناك عدد من الشروط يجب توافرها في المتبرع قبل إجراء عملية زرع الكلية . وأهم هذه الشروط :

١ — أن يتفق المتبرع والمريض المراد زرع الكلية فيه في فصيلة الدم .

٢ — أن يتفق المتبرع والمريض المراد زرع الكلية فيه في فصيلة الأنسجة .

٣ — أن يمتلك المتبرع كليتين سليمتين .. وان يكون جهازه البولي سليما خاليا من العيوب الخلقية . ويتم التأكد من ذلك باجراء اشعة بالصبغة على المسالك البولية .

٤ — أن يوافق المتبرع والمريض المراد زرع الكلية فيه وأسرة كل منهما على العملية .

٥ — أن لا يكون هناك احتمال في ظهور نفس المرض في الكلية بعد نقلها .

لذلك فهناك عدد من الفحوص يجب أن تجرى على المتبرع الحي قبل نقل كلية منه ، وأهم هذه الفحوص :

١ — عدد كريات الدم الحمراء ، ونسبة الهيموجلوبين ، ونسبة بولينا الدم ، ومستوى الصوديوم ، والكالسيوم ، والبوتاسيوم وغيرها من العناصر في الدم .

٢ — فصيلة الدم ، وفصيلة الأنسجة .

٣ — تحليل للبول وعمل مزرعة للبول .

٤ — اشعة بالصبغة على المسالك البولية .

٥ — مستوى الكرياتنين في الدم .

٦ — أشعة ملونة لشرايين الكلية .

٧ — مزروعة لخلايا الدم الليمفاوية الخاصة بالمتبرع والمريض .

٨ — التأكد من خلو الكلية المراد نقلها من

زرع الكلى

فيروس « السيتوميجالك » وغيرها .

أما المريض المراد نقل الكلية فيه فيجب أن :

١ ـ يتفق في فصيلة دمه مع المتبرع .

٢ ـ أن يكون الجزء السفلي لمجاريه البولية (الحوالب والمثانة البولية ومجرى البول) في حالة طبيعية .

٣ ـ خاليا من التهابات المجاري البولية .

٤ ـ أن يتم اعداده مسبقا قبل العملية بتنقية دمه بواسطة الكلية الصناعية مرتين أو ثلاث كل اسبوع لمدة تتراوح من ٦ ـ ٨ ساعات كل مرة .

٥ ـ أن يكون ضغط دمه في حالة تسمح باجراء العملية ويمكن التحكم فيه بالعقاقير .

٦ ـ وأخيرا أن تكون لديه الرغبة والاقتناع بهذه الوسيلة العلاجية .

موانع اجراء زرع الكلى :

ونقصد هنا الحالات التي نستبعدها من اجراء عملية زرع الكلية .. فزرع الكلية فيها لن يفيدها ولن يحسنها لذلك لا داعي لاجراء هذه العمليات من البداية . واهم هذه الحالات :

١ ـ الانتشار السرطاني ، وحالات السرطان عامة .

٢ ـ التقيح الصديدي بالمسالك البولية .

هذه الحالات السابق ذكرها تزداد سوءا عند إعطائها العقاقير المثبطة للجهاز المناعي

٣ ـ الحالات المتقدمة لتصلب الشرايين .

٤ ـ قصور شرايين القلب وقصور القلب والدورة الدموية .

٥ ـ الأمراض الصدرية المزمنة .

مثبطات الجهاز المناعي :

في حالة زرع كلية في التوائم لا يحتاج الأمر إلى اعطاء احد العقاقير المثبطة للجهاز المناعي .. فالتطابق بينهما يصل إلى ١٠٠٪ في فصيلة الدم وفصيلة الأنسجة . أما بالنسبة للحالات التي لا يصل التطابق فيها إلى ١٠٠٪ ، فانه يجب استخدام العقاقير المثبطة للجهاز المناعي وهي :

١ ـ الكورتيزون : وخاصة « البردنيزيلون » ١٠٠ ملليجرام يوميا وتقل الجرعة تدريجيا إلى ٣٠ ملليجرام خلال ٣٠ يوما . ويستمر اعطاء العقار بجرعات تصل إلى ١٥ ملليجرام لمدة ٦ شهور بعد اجراء العملية .

٢ ـ آزاثيوبرين : يعطى بجرعة مقدارها ٢ ملليجرام ٪ كيلوجرام أي حوالي ١٥٠ ملليجرام يوميا بالنسبة للشخص البالغ في المتوسط . وتعدل الجرعة فيما بعد بحسب نتائج عدد كريات الدم البيضاء والصفائح الدموية .

٣ ـ سيكلوفوسفاميد :

يستخدم كبديل للعقار السابق .

٤ ـ ميثيل برد نيزيلون .. ويُعطى بجرعة مقدارها واحد جرام في الوريد لمدة ٣ أيام متتالية في حالات طرد الجسم للكلية المزروعة بطريقة حادة .

وحتى يمكن تجنب الأعراض الجانبية التي قد تنشأ من استخدام العقاقير المثبطة للجهاز المناعي ، يجب اجراء تحاليل شاملة للمريض قبل البدء في العلاج وبعد اجراء العملية .. فالغرض من استخدام هذه العقاقير هو منع عملية الطرد ، وجعل الجسم مُتقبلاً للكلية المزروعة فيه ، وذلك باستخدام أقل جرعة ممكنة من هذه العقاقير .

تفاصيل عملية زرع الكلية :

الكلية المزروعة لا توضع في نفس مكان الكلية المريضة .. ولكننا نختار لها مستوى منخفضاً اسفل البطن بالقرب من المثانة البولية وفي نفس الجهة من الجسم . والعملية تتم خلال مرحلتين . والهدف الجراحي توصيل الأوعية الدموية (الشرايين والأوردة المتصلة بالكلية) ثم توصيل الحالب بالمثانة . ويتم ذلك من خلال قطع جراحي أسفل البطن ، يصل طوله الى ٢٥ سم ويبعد حوالي ٧ سم أعلى المنطقة الأربية .

ويجب اتخاذ هذه الاعتبارات أثناء الاجراء الجراحي :

١ ـ قبل توصيل شريان الكلية المراد زرعها بالشريان الحرقفي يجب فحص هذا الشريان والتأكد من خلوه من أي تغيرات باثولوجية .

٢ ـ يتم بعد ذلك توصيل وريد الكلية المراد زرعها مع الوريد الحرقفي الخارجي لنفس الجهة .

٣ ـ التخلص من الأوعية الليمفاوية الرفيعة المجاورة لمنطقة العملية ، وذلك بربطها حتى لا يحدث ارتشاح ليمفاوي بعد العملية .

٤ ـ عند الانتهاء من توصيل أوعية الكلية المراد زرعها مع أوعية الجسم وانسياب الدورة الدموية فيها .. يبدأ لون الكلية في التحسن .

٥ ـ اخيرا يتم فتح المثانة البولية وتوصيلها مع حالب الكلية المراد زرعها بطريقة معينة تمنع حدوث ارتجاع البول من المثانة إلى الحالب فيما بعد .

هل لزرع الكلية مضاعفات ؟

يمكن تقسيم هذه المضاعفات إلى :

أولا : مضاعفات قد تنتج أثناء العملية :

١ ـ مضاعفات التخدير المختلفة .

٢ ـ الطرد المبكر للكلية المزروعة .

٣ ـ ارتفاع نسبة البوتاسيوم في الدم .

٤ ـ حدوث نزيف مفاجئ وبصورة شديدة .

ثانيا : مضاعفات قد تنتج بعد العملية :

١ ـ تأخر الكلية المزروعة في القيام بوظائفها .. مما يتلفها .

٢ ـ طرد الجسم لها وتوقفها عن العمل ، (غالبا ما يحدث ذلك في اليوم العاشر إلى اليوم الرابع عشر حيث تقل كمية البول وترتفع نسبة بولينا الدم مع ارتفاع بسيط في درجة الحرارة .. ويبدو المريض وكأنه مصاب بالانفلونزا) .

٣ ـ مضاعفات ناتجة عن عقار الكورتيزون المستخدم في تثبيط الجهاز المناعي مثل الاكتئاب أو ظهور مرض البول السكري .

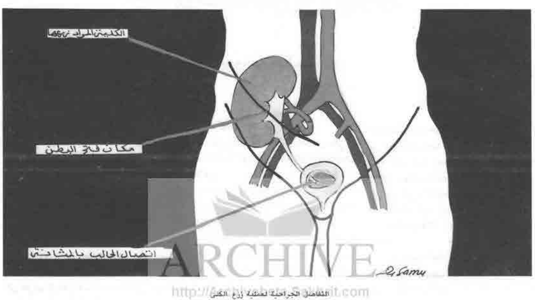
٤ ـ مضاعفات ناتجة عن العقاقير المثبطة للجهاز المناعي .

٥ ـ ضعف المقاومة الطبيعية للجسم والاصابة بالالتهاب الرئوي وغيرها .

٦ ـ تكون جلطات في أوردة الساقين .

ثالثا مضاعفات قد تنتج فيما بعد :

١ ـ طرد الجسم للكلية المزروعة : قد يحدث ذلك بعد ستة أشهر من إجراء العملية أو بعد إنقاص



التفاصيل الجراحية لعملية زرع الكلى

جرعة العقاقير المثبطة للجهاز المناعي للجسم .

٢ ـ عودة الالتهاب في الكلية المزروعة .

٣ ـ الاصابة بالفيروسات مثل فيروس الهربس وغيرها .

٤ ـ ظهور بعض الأورام السرطانية في الكلية المزروعة .

٥ ـ مضاعفات استخدام العقاقير المثبطة للجهاز المناعي لفترات طويلة .

٦ ـ ارتفاع ضغط الدم .

٧ ـ ظهور بعض الأمراض الجلدية مثل التينيا ، والهربس ، وحب الشباب وغيرها نتيجة ضعف الجهاز المناعي للجسم .

نسبة النجاح بعد العملية :

إرتفعت نسبة نجاح عمليات زرع الكلى بعد التطور الطبي الهائل الذي توصلنا اليه في السنوات القليلة الماضية . وساعد على ذلك :

١ ـ العقاقير المثبطة للجهاز المناعي التي توصلنا اليها أخيرا .

٢ ـ الاختيار السليم للمتبرع .

٣ ـ التقدم الكبير في علوم المناعة .

٤ ـ الخبرة المكتسبة من عمليات زرع الكلى التي تمت خلال الثلاثين سنة الماضية .

وحسب آخر التقارير التي أعلنت في عدد من المجلات الطبية المتخصصة في هذا الشأن نستطيع أن نقول أن نسبة نجاح عمليات زرع الكلى كالآتي :

١ ـ في التوائم تظل الكلية المزروعة في القيام بوظائفها لأكثر من خمس سنوات في ٩٠ ٪ من الحالات .

٢ ـ عند زرع كلية أحد الأقارب ، تظل الكلية المزروعة بدون طرد لأكثر من خمس سنوات في ٨٠ ٪ من الحالات .

٣ ـ عند زرع كلية مأخوذة من ميت ، تظل الكلية المزروعة بدون طرد لأكثر من خمس سنوات في ٥٠ ٪ من الحالات .

كلمة أخيرة أقول .. لا شك أن الفشل الكلوي المزمن يمثل مشكلة خطيرة في بعض البلدان العربية .. فان كانت هذه النتائج صادرة عن أحد المراكز الطبية الأوروبية المتخصصة ، فنحن في أوطاننا العربية نحتاج إلى مزيد من التجهيزات ومزيد من العناية .. ومزيد من هذه المراكز المتخصصة حتى نحقق نتائج مماثلة .. وتجدر الاشارة هنا إلى أهمية اتخاذ خطوات إيجابية في سبيل استصدار تشريعات تسمح بالاستفادة باعضاء موتى الحوادث ليجد مريض الفشل الكلوي طريقه للشفاء ، ونضع حدا لآلامه .

سامي عزيز



بقلم: يوسف الشاروني

معروف وجعروف شقيقان ، لكن الفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض كما يقولون . معروف كان غنيا جدا ، عنده قصر فخم له حديقة ملآنة بالزهور والفواكه ، وزوجة جميلة وتجارة ناجحة . وفي بيته مكتبة فيها كتب عن تاريخ البشرية وعن جميع العلوم والمعارف . أما جعروف فكان فقيرا يسكن في كوخ في طرف البلدة ، ويلبس ثيابا قديمة غير نظيفة لأنه لم يكن معه ما يشتري به ملابس جديدة ، وإذا كان معه نقود فانه لا يفكر حتى في تنظيف ما عليه من ملابس . ولم يكن قد قرأ في حياته كتابا غير الكتب التي تعلم فيها القراءة والحساب عندما كان في المدرسة مع أخيه معروف . كما لم يكن له عمل معروف .

وفي يوم من الأيام سأل جعروف نفسه : لماذا أنا فقير؟ وسمع صوتا يقول له : لأن حظك ليس هنا . لكنه في مكان بعيد وراء هذه الجبال . وتلفت حوله ليعرف مصدر الصوت لكنه لم يجد أحدا . فقرر أن يسافر بحثا عن حظه .

وفي الفجر وضع الأشياء الضرورية لرحلته في خرّج حمله على كتفه ، وأغلق كوخه واتجه سائرا نحو الجبل .

وعندما أصبح جعروف فوق الجبل كانت الشمس قد أشرقت وبدأت تضيء الدنيا بأشعتها المبللة بندى الفجر ، ولمح بقايا حائط قديم لقلعة مهدمة فقال : أذهب هناك لأستريح قليلا — بعد صعودي الجبل — في ظل هذا الحائط ، ثم أعاود السير . لكنه لما اقترب وجد أسداً رابضاً يبدو عليه المرض والضعف . قال له جعروف :

- السلام عليك أيها الأسد .

أجاب الأسد في صوت كأنه مواء قطة :

- والسلام عليك يابني ، ماذا تفعل في هذا الجبل ؟

- أنا ذاهب للقاء حظي .

- وهل يمكنك أن تبحث لي معك عن حظي أنا أيضا ؟ فأنا لا أقوى على الحركة كما تراني ولا أعرف علاجي .

- حاضر أيها الأسد المسكين مثلي .

وبعد أن استراح قليلا بجواره قام يواصل سيره .

ولما هبط الجبل كانت الشمس قد بدأت حرارتها تدفئ الجماد والنبات والحيوان . ووجد أنه يقترب من الخضرة والماء والناس . وأن هناك بساتين وحقولا ، حتى وصل إلى فلج مكشوف رأى على حافته شجرة لكن أوراقها كانت جافة وأغصانها يابسة ولا أزهار بها ولا ثمار . بينما هناك شجرة أخرى بعيدة عن الفلج أوراقها خضراء وزهورها جميلة .

اقترب جعروف من الشجرة الجافة قائلا إنها مثلي . أما الشجرة الأخرى فهي مثل أخي معروف . ثم حياها ..

- السلام عليك أيتها الشجرة .

أجابت الشجرة في صوت كأنه خشخشة أوراقها الجافة عندما تهب ريح واهنة :

- والسلام عليك يا أخي ، إلى أين أنت ذاهب ؟

- أنا ذاهب للبحث عن حظي .

- إذن أرجوك يا أخي أن تبحث لي عن حظي معك . فأنت كما تراني أعانق الفلج ولكني ظمآنة لا أرتوي . فأنا قريبة بعيدة منه لا أعرف لذلك سببا .

- على العين والرأس أيتها الشجرة المسكينة مثلي .

وبعد أن استراح جعروف بجوارها قليلا ، وأكل شيئا مما معه . قام يواصل سيره .

وعندما وصل جعروف العمران كانت الشمس قد اشتد ضوؤها وزاد حرها ، لكن الظل والخضرة خففا من شدة الضوء ورطبا من حرارة الجو . وهناك قابل امرأة تبدو عليها الصحة . طويلة القامة مهيبة الطلعة ، ترتدي زيا أقرب ما يكون إلى زي الحرب ، في عينيها قلق واكتئاب . قال لها جعروف :

- السلام عليك يابنة العم .

- والسلام عليك يابن العم ، إلى أين تقودك قدماك ؟

- إني ذاهب أبحث عن حظي .

- وهل يمكن يابن العم أن تبحث لي عن حظي معك ؟ فأنا زعيمة قومي ، وقد أغارت علينا جماعة مجاورة . ونحن الآن — كما ترى — في حرب معهم ولاأعرف هل سننتصر أو ننهزم .

- اطمئني يا بنت العم ، سأسأل عن حظك تماما كما أسأل عن حظي .

وواصل جعروف سيره ، وظل سائرا سائرا حتى لمح نخلة ، فلما اقترب منها وجد شيخا نائما تحتها . وكان نصف عذوق النخلة — لدهشة جعروف — محملا بالتمر الناضج بينما نصفها الآخر ما زال خلالا (بُسراً) أخضر . وأراد جعروف أن يستريح في ظل النخلة ويسند عليها ظهره ويأكل مما معه فقد جاع مرة أخرى . لكن الوقت كان ظهرا ، وظل النخلة قصير لا يتسع للشيخ النائم ولشخص آخر إلا إذا زاحمه وأيقظه . وتردد جعروف — الذي كان الآن في قمة تعبه وجوعه — هل يحيي الشيخ ويوقظه ليجلس في ظل النخلة ويستريح ويأكل ... ولكن الشيخ لم يترك له فرصة للتردد لأنه ما لبث أن تقلب يمينا وشمالا ثم فتح عينيه ليرى جعروف واقفا فوق رأسه . وحتى لا يظن الشيخ به الظنون بادر جعروف فحياه قائلا :

ـــ السلام عليك يا عمي .

ـــ وعليك السلام يا ابن الأخ . لماذا تقف هكذا ؟

ـــ هل تسمح لي أن أستريح بجوارك في ظل هذه النخلة العجيبة ؟

ضحك الشيخ ولم يعلق بشيء ، إنما أجابه قائلا :

ـــ يبدو أنك غريب ، ما الذي جاء بك إلى هنا ؟

ـــ جئت يا عمي أبحث عن حظي .

ـــ أنا حظك !

ـــ حظي ؟

ـــ نعم حظك . يمكن أن يكون كهذا التمر الحلو الناضج ، ويمكن أن يكون كهذا الخلال الأخضر طعمه حَلَكٌ (قابض) . ألقِ عليَّ كل ما لديك من أسئلة تخصك وتخص غيرك أيضا . إياك أن تنسى أي سؤال وخصوصا عن حظك ، ولكن بشرطين : أن ما تنسى السؤال عنه لن تكون هناك أية إجابة عليه بعد فوات الأوان ، فسأعاود النوم ولن أستيقظ إلا لغيرك . أما الشرط الثاني فهو ألا تُخبرالآتي بما فعلته مع الماضي ففي ذلك هلاكك .

فرح جعروف لأن هذا كان معناه نهاية رحلته ووصوله إلى غايته . فلم يعد يشعر لا بالتعب ولا بالجوع ، بل بدأ يلقي أسئلته على الحظ في الحال :

ـــ في طريقي إليك قابلت امرأة هي زعيمة قومها ، وهي في حرب مع جماعة أخرى ، وتريد أن تعرف هل ستنتصر أم ستهزم .

أجابه الحظ : ستنتصر بشرط أن تتزوج .

ـــ وإذا لم تتزوج ؟

ـــ ستهزم .

ـــ وقابلت شجرة توقفت عن النمو فجفت أوراقها ويبست أغصانها مع أنها تقف على حافة الفلج ، وتسألك كيف من هذا الحظ التعس تنجو فتنمو :

ـــ تحت جذورها كنز من ذهب أوقف نمو جذورها ومنع عنها غذاءها . وانتزاع الكنز يعيد إليها الحياة ، فتخضر أوراقها وتتفتح أزهارها وتتدلى ثمارها .

ـــ وقابلت أسداً مريضاً لا يقوى على الحركة ، يسأل عن علاج له .

ـــ علاجه أن يأكل رجلا أعمى ، فتعود إليه صحته وترجع قوته .

وشكر جعروف حظه وبدأ رحلة العودة . غير أنه بعد خطوتين تذكر أنه لم يسأل الحظ عن نفسه ، فاستدار ليجد الشيخ قد راح في سبات عميق . وكان واضحا أنه ليست هناك وسيلة لإيقاظه . وكان هذا أول شرط نسيه جعروف .

وفي رحلة عودته كانت الشمس ما تزال تنشر ضوءها الباهر وحرارتها اللافحة حين قابل المرأة تنتظر عودته . فما أن رأته حتى سألته بتلهف :

ـــ ماذا قال لك الحظ عني ؟

ـــ قال إنك إذا تزوجت ستنتصرين .

ـــ تعلم أنني زعيمة قومي ، وهذا لا يجوز لي أن أتزوج رجلا من رعاياي . ما رأيك لو تزوجنا ، فأنت لست من رعاياي . وقد اهتممت وسألت لي عن حظي وعرفته . إني أعرض عليك أن تتزوج وتصبح أنت زعيم قومي .

ـــ يؤسفني أنني لا أفكر في الزواج الآن . ولست أحب صراحة أن أكون زوجا لامرأة تتزعم قومها .

ـــ سأتنازل لك عن هذه الزعامة .

ـــ ولو ، السلام عليك يا ابنة العم .

وهكذا فارقها وعاد يستأنف سيره .

وكانت الشمس قد خفت حدة ضوئها وحرارتها قليلا حين قابل الشجرة . سألته الشجرة في تلهف :

ـــ ماذا فعلت يا جعروف مع الحظ ، هل سألته عني ؟

ـــ نعم سألته وقال لي إن تحت جذورك كنزاً من ذهب لو انتزعته لامتدت جذورك وأورقت أغصانك وأينعت أزهارك وتدلت ثمارك .

ـــ إذن تعال واحفر تحتي وخذ الكنز . تملئ جيوبك بالمال وتملئ جذوري بعصارة الحياة فتسري في أغصاني وأوراقي وأزدان بالأزهار والأثمار .

ـــ لكني لا أجد حولي فأسا . وأنا الآن مرهق من رحلة الذهاب والإياب . أخاف أن يأتي عليَّ الليل ومعي الكنز فيطاردني اللصوص وقد يقتلوني ليأخذوه مني .

ـــ غيرك كان ينبش بأظافره ليأخذ الكنز .

ـــ إذا كنت قد رفضت أن أكون زوجا لعروس عظيمة الشأن ، وزعيما لقوم ، فما قيمة الكنز بجانب ذلك ؟ السلام عليك أيتها الشجرة .

ـــ وهكذا نسي الشرط الثاني من شروط حظه . وفارق الشجرة واستمر في طريق عودته .

وكانت الشمس الآن قد أوشكت على المغيب وشف قرصها الأحمر الكبير من خلف سحابات بيضاء خفيفة حين قابل الأسد وهو ما يزال طريحا تحت بقايا حائط القلعة القديمة .

ـــ سأله الأسد في صوت ضعيف لكنه متلهف :

ـــ ماذا فعلت مع الحظ ، هل قابلته ؟

ـــ نعم قابلته وسألته عن المرأة التي تحارب والشجرة التي تموت و ...

وهنا قاطعه الأسد بحنق : وماذا قال لك ؟

أجابه جعروف : قال إن المرأة ستنتصر إذا تزوجت ، والشجرة ستحيا إذا نُزع الكنز من تحتها .

وتساءل الأسد في حب استطلاع : وماذا فعلت معها ؟

ـــ لم أتزوج المرأة ولا أخذت الكنز .

ـــ وماذا قال لك عن علاجي ؟

ـــ علاجك أن تأكل رجلا أعمى .

عندئذ هجم الأسد على جعروف وقال له وهو يلتهمه :

ـــ وهل سأجد رجلا أكثر عمى منك ؟ يعطيك الحظ الفرصة مرتين وتضيعها . رفضت أن تنقذ المرأة من الهزيمة وتصبح زعيم قومها ، ورفضت أن تنقذ الشجرة من عذاب جوعها وتمتلك كنزاً . أنت هو الرجل الأعمى : ضيعت عمل الخير ومكافأته . هَمْ .. هَمْ .

بقي هناك سر سأقوله لكم بيني وبينكم : لقد أضاع جعروف فرصة حظ ثالثة ، فلو كان قد سأل الحظ عن نفسه ولم ينس ، لأجابه : حظك في بطن الأسد . ولذلك كان سيقتل الأسد أول ما يراه ولا يعطيه الفرصة ليفترسه .



طائر البطريق « الامبراطور » مع صغيره



طائران افريقيان يتبادلان التحية .. الطائران يطلق عليهما اسم : «الاطين»



طائران بحريان يهبطان الى عشهما بعد نهار من العمل المتواصـــل في جمع الغذاء

طيـــور عمرهـــا ٦٥ مليــون ســـنة !

بقلم : رجب سـعد السـيد

أسرتني طيور البحر منذ قرأت ذلك المشهد في مسرحية تشيكوف «الطائر البحري» والبطل يدخل إلى المسرح حاملا في يده طائر النورس الذى أرداه قتيلا .. ويبقى ذلك الطائر الرمز جاثما بظله على احـــداث المسرحية .

وتولد لدى حب مراقبة طيور البحر وهى تحوم فوق مياه الميناء الشرقية بالاسكندرية .. تؤدى رقصاتها الهوائية ، وتنقض بين الحين والحين لتقتنص سمكة او كائنـــا قشريا او حيوانا رخويا فى الطبقـــة السطحية الرقيقة من المياه .

ومنذ التحقت بعملى فى معهد علوم البحار والمصايد بالاسكندرية وانا احلم بان يتحقق لي الاقتراب اكثر من عالم هـذه الكائنات المحلقة فوق المسطحات المائية . واسفت لانني لم اجد فى المعهد من يهتم بدراستها ، بالرغم من ان اصواتها تصل إلينا فى معاملنا المطلة على الميناء الشرقية كانها تستنكر هذا الاهمال لها .

واعتقد ان هذه القطيعة سوف تنتهى

نوع من بطريق بحر الشمال



انواع من بطريق بحر الشمال تزينت وجوهها بزخارف



الطيور البحرية في حفل غذاء على الشاطىء



زوج من طيور « القادوس » البحرية

قريبا ، فقد بدات الترتيبات التمهيدية لاجراء أول دراسة علمية عن الطيور البحرية فى الاسكندرية ، وارجو ان تتاح لنا الظروف المواتية لتظهر نتائجها فى وقت قريب لينتهى جهلنا بهذه المجموعة الهامة من الكائنات البحرية التى شغلنا عنها اهتمامنا بالكائنات الاخرى الاكثر التصاقا بالبحر كوسط للحياة ، والاشد تاثيرا فى حياة البشر ، والاكثر سهولة فى التناول والدراسة ، مثل الاسماك والقشريــــات والرخويات والطحالب البحرية .

مناطق الطيور

تنتشر الطيور البحرية من القطب إلى القطب . وبالرغم من أن مساحات كبيرة من مياه البحار والمحيطات قد حرمت من بهجة تواجد الطيور البحرية فيها ، فانه من المتوقع دائما أن تستقبلك طيور البحر اينما توجهت فى البحر الطليق .

ويبلغ عدد انواع الطيور المنتشرة فى جميع أجواء الكرة الأرضية ٨٦٠٠ نوع ،



زوج من طيور « النوء العملاق » يرقصان في حلقة جذلة « بطريق » طافية ، وقد وقف أفراد المستعمرة لايملكون شيئا امام الطائرين المفترسين ، غير مجرد الاكتفاء بالمشهد !

تمثل طيور البحر ٣٪ فقط منها ، إذ يتراوح عدد انواعها بين ٢٦٠ و ٢٨٥ نوعا . وعدم تحديد الرقم يرجع إلى الاختلافات بين العلماء حول تحديد مواصفات طيور البحر التي تميزها عن طيور اليابسة .

وقد نشأ معظم انواع الطيور البحرية في المياه الاندو – باسيفيكية (المحيط الهندي والمحيط الهادي) ، ومنها انتشرت في معظم بحار العالم . اما الطيور التي نشأت في المحيط الاطلنطي فهي أصغر في عمر التطور ، واقل في درجة التنوع ، وتنتمي كلها إلى اصل نشأ في المياه الجنوبية لهذا المحيط .

ومن الطبيعي ان تكون مناطق التيارات القلابة وتيارات المياه الباردة هي اكثر المناطق ازدحاما بطيور البحر لانها الاكثر خصبا وغنى بالغذاء .

وقد قسمت بحار العالم – بصفة عامة – بين الست عشرة عائلة التي تنتمي إليها كافة انواع الطيور البحرية ، وإن كانت مناطق النفوذ هذه تتقارب وتتداخل في احوال كثيرة . كما ان العديد من انواع الطيور البحرية لا يلتزم بهذا التقسيم ، فيظل طيلة حياته في ترحال مستمر او متقطع بين منطقتين او اكثر .. وثمة انواع تقوم برحلات موسمية من شمال الكرة الارضية إلى جنوبها وبالعكس ، كما ان طائر (القادوس) او القطرس العظيم يقوم برحلة يلف فيها حول حزام البحار الجنوبية .

وقد نشأت طيور البحر – تطوريا – من اجداد كانت تعيش على اليابسة في العصور الجيولوجية القديمة . وقد عثر العلماء على حفريات لطائر (الاطيش) يصل عمرها إلى ٦٥ مليون سنة ، وعلى حفريات لطائر القادوس يرجع تاريخها إلى ٥٠ مليون سنة حيث كان يعيش في البحار الشمالية التي اختفى منها الآن .

العزلة افضل

وطيور (البطريق) هي اكثر انواع الطيور البحرية بعدا عن الانسان ، فقد فضلت الانعزال في المناطق القطبية حيث لا يعيش الانسان . ونحن لا نراها إلا في برامج المنوعات التليفزيونية تؤدي بعض الحركات البهلوانية التي دربت عليها ، او في صورها الملصقة على بعض المنتجات الغذائية والصناعية .

وتشتمل عائلة البطريق على ١٩ نوعا ، اهمها : البطريق الامبراطور ، والبطريق الملك ، والبطريق اصفر العينين ، والبطريق ذو العرف المشرئب ، وبطريق ماجلان ، وبطريق جالاباجوس ، وبطريق اسود القدمين .

والبطريق الامبراطور هو النوع الرئيسي في اسرة البطاريق ، وهو يقضي سلسلة حياته في الجليد . إنه ابعد طائر إلى الجنوب . ويصل وزنه إلى سبعين رطلا وطوله إلى ثلاثة اقدام ونصف . ولونه – ككل البطاريق – اسود من الظهر ، والبطن بيضاء ، ولكنه يتميز بلون ذهبي في وجهه وحول رقبته .

وينحدر البطريق من أسلاف عاشوا على اليابسة منذ حوالي ٦٠ مليون سنة وكانت لهم القدرة على الطيران ، ولكنه اهمل هذه الموهبة ففاق حجمه قدرة الجناحين على حمله ، وعاد مرة ثانية إلى الحياة في البحر الذي كان اجداده الاسبقون قد زحفوا منه إلى الارض في العصـــور الجيولوجية السحيقة .

وكان الجفاف الذي حل بمناطق عديدة من العالم في صالح طيور البطريق ، إذ اتاح لها مساحات إضافية من الاراضي التي هجرها النشاط الانساني لتتوالد فيها وهي امنة . ومن ناحية اخرى وفرت لها عمليات صيد الحيتان المكثفة فرصة افضل للحياة إذ أصبحت هي المستهلك الأساسي لكائنات (الكريل) التي كانت تجمعات الحيتان تنافسها عليها .. وتدل الحسابات على انه قد توفر للبطريق كميات تكفي لسد احتياجات الغذاء لحوالي ٣٠٠ مليون طائر سنويا .

وتعيش طيور البطريق في مستعمرات يتفاوت حجمها من نوع لآخر .. فيتراوح عدد افراد مستعمرة البطريق الامبراطور بين ٢٠٠,٠٠٠ و ٥٠,٠٠٠ زوج ، بينما يصل تعداد مستعمرة النوع المعروف باسم (بطريق ادلي) إلى ما يزيد عن المليون زوج من الطيور .

وتعطي انثى البطريق فرخا واحدا في كل موسم من مواسم التوالد ، بالرغم من انها تضع بيضتين او ثلاث بيضات في المرة الواحدة . وفي الغالب تكون البيضة الأخيرة هي الاكبر ، وهي فقط التي تفقس وتعطي فرخ البطريق .

ويصحب عملية التوالد شعائر وطقوس اجتماعية خاصة . وتسلك بعض الانواع سلوكا اجتماعيا فريدا إذ تنشيء دارا لحضانة الصغار وفي هذه الدار يتجمع الصغار بهدف حمايتهم ضد خطر الافتراس وايضا لتوفير الطاقة اللازمة لتدفئتهم . وفي هذه الحضانة يقوم الوالدان بتوفير الطعام لصغيرهم فقط !

اندر الطيور واجملها

اما طيور القادوس والنوء وجلم الماء ونوء العاصفة والنوء الغواص ، فهي تنتمي لطائفة واحدة تسمى بانبوبية الانف وتتميز بثلاثة ملامح رئيسية :

١ – الأنف الأنبوبية ، ومنها اخذت اسمها الشائع . وهذه الأنف الأنبوبيـة تؤدي وظيفتين : الأولى استشعار مدى قوة الرياح ، والثانية استكناه الروائح . وهما وظيفتان يتفوق في ادائهما بعض انواع النوء .

٢ – المنقار الخطافي المسطح .

٣ – التركيب الخاص للمعدة ، ويتميز بوجود جزء غدي متسع يفرز نوعا من الزيت يستخدم في موسم التوالد .

وتضم هذه الطائفة من الطيور اكثر انواع طيور البحر ندرة على الاطلاق ، وهما طائرا (نـوء برمودا) و (النوء اسود العمامة) . وسبب ندرتهما ما حـــاق بتجمعاتهما من استنزاف بالصيد المكثف ، وبتاثير انتشار الاوبئة في مستعمراتهما .

هذه المساحة الشاسعة تغطيها اسراب من طيور « البطريق » الملكية التي يصل تعدادها داخل مستعمراتها في بحر الشمال الى حوالي نصف مليون طائر !

وتنتشر طيور هذه الطائفة فى كل بحار ومحيطات العالم . ويمكن لمن يقوم بعملية مسح استطلاعى بواسطة منظار مقرب أن يرى اكثر من ١٢ نوعا من طيور هذه الطائفة بين اى تجمع من الطيور البحرية ، وهذا العدد من الانواع التى يمكن رصدها معا لا يمكن ان يتوفر فى الطوائف الاخرى من طيور البحر .

والقادوس من اجمل الطيور البحرية . وهو يسبح فى الفضاء كطائرة شراعية ، ويصل الاتساع بين طرفى الجناحين إلى ٣٧٠ سم فى النوع المعروف باسم القادوس الجوال .

اما طيور النوء فانها من الطيور الكانسة وتسمى بنسور القطب الجنوبى . وهى تتميز بسلوكها الافتراسى فى بعض المناطق حيث تجد ضحاياها من طيور جلم الماء والبطريق والنورس . والغريب انها فى اماكن اخرى تكون جبانة وهيابة وتكتفى بالغذاء البحرى المعتاد ، بالاضافة إلى ما تعثر عليه من جيف .

وتعد طيور جلم الماء من اكثر طيور البحر شيوعاً فى العالم ، فهى تنتشر من المنطقة الجنوبية إلى خط الاستواء ، ويمتد انتشارها فى بعض المناطق من نصف الكرة الشمالى . وهى ذات ريش متواضع .. وربما يرجع ذلك إلى ان هذه الطيور بطبيعتها ليلية النشاط . وتنحصر الوان الريش بين الرمادى الفاتح والبنى والاسود والابيض .

وجلم الماء من اكثر طيور البحر غموضا وإثارة لحيرة الدارسين . إنها تطير ليلا فى تجمعات كبيرة وتطلق صرخات غريبة مستهجنة ، وتبنى اعشاشها فى مواضع شاذة مثل قمم الجبال وبين الاشجار فى الغابات الكثيفة ، وتقوم بهجرات غير عادية وغير منتظمة ، وتتغذى بشراهة على كميات هائلة من الكائنات البلانكتونية التى تستخلصها من مياه البحر .

البجع وغربان البحر

وتشتمل طائفة البجعيات واشباهها على ست عائلات من طيور البحر هى : البجع الحقيقى ـ الأطيش ـ الغرياق او غراب البحر ـ زقق الماء ـ الفرقاط ـ الطيور الاستوائية .

وتتميز هذه الطائفة بوجود اغشية جلدية بين اصابع القدم الأربعة . وينتمى إليها العديد من الانواع زاهية الألوان . فالبجع والغرياق وزقق الماء لها زخارف واضحة فى الراس ، وطائر الأطيش ملون الوجه والقدمين . اما ذكر الفرقاط فيكتسى بالزخارف وبكيس قرمزى فى منطقة الرقبة ينمو له فى موسم التزاوج .

وقد نشأت هذه الطيور فى نصف الكرة الجنوبى . ولكنها منتشرة الآن فى جميع انحاء العالم . ويمكن ان نقول انها اقل الطيور البحرية التصاقا بالصفة البحرية . فقليل منها بحرى بحق ويعيش فى أعالى البحار . اما معظمها فيعيش فى البحار الداخلية الصغيرة وفى المياه المالحة والعذبة الداخلية .

وقد تناقص عدد البجعيات بشكل واضح فى اوروبا واسيا وافريقيا خلال العقد الحالى وذلك لتعرض المياه الداخلية للتلوث او الاضمحلال بسبب الأنشطة الانسانية او بتأثير موجات الجفاف التى اجتاحت مساحات شاسعة من افريقيا واسيا واوروبا نتيجة للتقلبات المناخية فى الآونة الأخيرة .

وطيور الغرياق (غربان البحر) من شبيهات البجع . وهى طيور شاطئية بارعة فى السباحة والمطاردة تحت سطح الماء . وهى اكولة سريعة النمو . وتتميز بان لهـا أكبر مخالب بين الطيور البحرية .

وإذا كنا قد شبهنا طائر القادوس بانه طائرة شراعية ، فان طائر الفرقاط ذا الجسم المدموك والريش الأسود اللامع الظهـر لا يمكن ان يشبه ـ وهو ينقض فوق سطح الماء ـ إلا طائرة مقاتلة .

وتتوالد طيور الفرقاط مرة كل سنتين ، وذلك بسبب احتياج الطائر الوليد إلى فترة طويلة ليتمكن من الاعتماد على نفسه .

« النورس » بالملايين !

ونأتى إلى آخر المجموعات الكبيرة من الطيور البحرية وهى طائفة النورس واشباهه ، وتضم النورس وخطاف الماء وابا مقص وبطريق بحر الشمال .

والموطن الأساسى لطيور النورس هـو النصف الشمالى من الكرة الارضية ، ولكنها تعيش فى النصف الجنوبى ايضا . وقد تحقق للنوارس انتشار واسع فى العالم لانها طيور جوالة ولها قدرة كبيرة على التأقلم وتحمل مختلف الاجواء والظروف البيئية .. فالنوع المعروف باسم (النورس الترابى) او (نورس الحمم) يعيش فى منطقة جالاباجوس البركانية ، أما النورس الرمادى فانه يعيش فى صحراء بيرو الحارقة . كذلك حققت النوارس نجاحا كبيرا فى التأقلم مع بيئة المحيط المتجمد الشمالى ، حيث قدرت تجمعاتها هناك بحوالى ٢ مليون نورس من الانواع الضخمة و ٤ ملايين من الأنـواع الصغيرة .

وتشبه طيور خطاف الماء النورس إلى حد كبير فى الوان الريش ، إذ يسود فيها الاسود والرمادى والابيض . وهى طيور جوالة يمكنها ان تظل محلقة لفترات طويلة

وتشبه طيور بطريق بحر الشمال طيور البطريق الحقيقية فى الزخارف الملونة التى تزين الوجه ، وفى انها سوداء الظهر بيضاء البطن . وقد اختزلت الاجنحة فى هذه الطيور من شبيهات النورس وذلك لانها تمارس الغوص او (الطيران تحت الماء) . وبعض انواع بطريق بحر الشمال له تركيب خاص يشبه الحقيبة ، وهو عبارة عن امتداد لتجويف الفم . ويكتسب الطائر هذا التركيب حين يصل إلى سن التكاثر ويصير مسئولا عن توفير الغذاء لصغاره .. ففى هذه الحقيبة يمكنه ان يخزن ويحمل يومياً ما يصل وزنه إلى ٢٥ جراما من الكائنات البلانكتونية ليقدمها للصغير . وهذه الشحنة الغذائية اليومية كافية لكى ينمو الصغير نموا جيدا .

رجب سعد السيد

الرموز الجمالية
في لوحات وفيقة سلطان

بقلم: حسن المُلا



لوحة للفنانة وفيقة سلطان في معرضها الاول .. عنوان اللوحة : وجه (١)

من وحي القران الكريم ،حيث نرى البحث في الرموز الجمالية والامكانات الهائلة للحرف العربي

تعتبر ألفنانة القطرية وفيقة سلطان من ضمن الفنانين الذين تطرقوا الى موضوعات البيئة القطرية ، مع تميز لوحاتها بالاشكال المعمارية القطرية ضمن اطار الفن الاسلامي ، وذلك اضافة الى مابرز في معرضها الاخير « بفندق الشيراتون » من لوحات تتطرق الى الرموز الجمالية والامكانات الهائلــة للحرف العربي .

والواقع ان الفن البدائي ، وفن الكهوف والفن الفطري ، ورسوم الاطفال ، وفنون الحضارات القديمة ، والتراث العربي والاسلامي والشرقي ، والفن الافريقي .. كل تلك الفنون وغيرها مازالت هي المنابع الأصيلة التي يستقي منها الفنان الاوربي الحديث ويضيف اليها !

وان كانت تلك الفنون لها اهمية لدى الفنان العربي الحديث ، إلا اننا نلاحظ تركيزه على الاسلامي منها والعربي بقصد ايجاد اللوحة العربية ذات الشخصية المميزة والتي لاتنفصل او تقطع حبل التراث المتواصل !

ولكن هل استطاع الفنان القطري ان يجد طريقه نحو بعث التراث والاستفادة منه بلغة معاصرة ؟

الواقع ان التراث ـ كما نعلم ـ هو حصيلة تجارب طويلة اوجدها لنا اسلافنا ، ومسالة إحيائه دون اضافة وتجديد هي مضيعة للوقت ، ولذا فان جهود الفنانين القطريين يجب ان توجه نحو كنوز التراث العظيمة ، لتنهل منها بذكاء وموهبة الفنان المبدع في صدق واخلاص .

وقد جعلني هذا اذهب الى معرض الفنانة وفيقة سلطان ، الذي اقيم تحت اشراف ادارة الثقافة والفنون ، وقام بافتتاحــه الاستــاذ محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل وزارة الاعلام ..

وقد ضم المعرض ثلاثين لوحة فنية متعددة الاتجاهات والاساليب ، ممثلة في عدة تجارب فنية ، مارستها الفنانة خلال مسيرتها الفنية .. ولعلنا هنا نستعرض بعض الاعمال كنموذج ندخل من خلاله في محاولة لمعرفة الاسلوب والاتجاه ..

الأعمال الفنية الأولى : هي تلك اللوحات التي سبق وان اشتركت بها الفنانة في معارض مشتركة سابقة في قطر وخارج البلاد ، مثل لوحة « الجمل » ، ولوحة « بورتريه » لرجل عجوز التي تمثل مزيجا من مشاعر والوان وخطوط رسمها الزمن على وجه رجل بصورة معبرة تجعلك تشعر بقسوة الأيام والسنين .. وهناك لوحة ثالثة تمثل « منظر طبيعي » اعتمدت فيها الفنانة على التقاطع المزدوج بدلا من الترابط والتواصل ، الأمر الذي ادى الى ضعف في بعض جوانب اللوحة المليئة بالالوان والحركة والانسجام اللوني في جانب بينما في جانب اخر نرى التنافر والتناقض ..

اما اعمالها في المرحلة الأخيرة والتي استخدمت فيها الخط العربي كبنية اساسية فقد استطاعت فيها ان تحلل العلاقة بين الألوان والحروف والموضوعية وخاصة اسم الجلالة (الله) الذي تكرر في مواقع عدة في اللوحة الواحدة .



لوحة تميزت بها الأشكال المعمارية القطرية ضمن إطار الفن الاسلامي .. عنوان اللوحة : بسم الله الرحمن الرحيم

ولاننسى لوحة « منظر لقرية المفجر » التي يكاد يكون فيها اللون الابيض هو الغالب في العمل الفني ولقد بذلت الفنانة جهدا كبيرا في تنفيذ هذه اللوحة حيث جمعت كل حواسها ومشاعرها لابراز الحدث المرسوم في ذهنها بدرجات متدرجة من اللون الابيض لتعطي شفافيـــة للموضوع وبعدا عميقا من واقع رؤيا الفنانة وتاثرها بما حولها !

اما لوحة « افراح قطرية » فقد كانت ذات طابع اقرب الى فن « البوسترز » ، وفي هذه اللوحة حالفها التوفيق في ربط الشخصية مع البناء والابواب والزخارف والشمس المطلة من خلفية المنظر ..

وعلى كل ، فقد كان معرضها الفني صادقا ومعبرا عن احاسيس سامية ، حاولت أن تعبر عنها بامكاناتها في العمل الفني ورموزه الخاصة في اللون والخط والمساحة وغير ذلك من القيم التشكيلية .

الفنانة في سطور

- من مواليد ١٩٥٢
- مهندسة ديكور
- خريجة كلية الفنون التطبيقية عام ١٩٧٤ القاهرة
- تعمل مراقبة شئون الانتاج بتليفزيون قطر
- اشتركت في جميع المعارض المحلية من عام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٨ م
- اشتركت في معرض الكويت الخامس والسادس للفنانين العرب (١٩٧٧ ـ ١٩٧٨)
- اشتركت في معرض مرسم اصيلة بالمغرب
- اشتركت في المعرض القطري في لندن وباريس عام ١٩٧٨
- اشتركت في معرض السنتين العربي الثاني بالمغرب عام ١٩٧٦

مرثية جديدة إلى قرطبة

شعر: علي جعفر العلاق

لم يكن مِنْ مدىً بينَ احجارها و السماءِ
غير اسئلتي جهمةً، وغبار ردائي
لم يكنْ من نديمٍ
سوى حلمٍ يتناثرُ :

ايهِ ظبيَ البراري اليتيمْ
دَمُكَ الجمرُ يتبعني
ام حنيني القديمْ ؟

●●

لم يكنْ غيرُ حشدٍ من الغيمِ ابيضَ
ينحلُّ في طرفِ الارضِ
يبزغُ ، ينحلُّ ثانيةً

يتقدّمني ،
يتمشّى ، خفيضاً ، ورائي
وانا ضائعٌ بينَ احجارِها والسماءِ

●●

حُلُمي :
ايّها الاشيبُ ، المدْلهمُّ الخطىْ واليدينْ
جسدي طللٌ
اين اقداحُهُ
ونداماهُ ؟
اينْ ؟

●●

لم يكنْ في المنامِ سوى حُلُمي وعصايْ
لم يكنْ غير راحلتي ،
(هل هواها الممضُّ هوايْ ؟)

عبرتْ غيمةٌ حائطَ النومِ

ايقظني عطرها :
ذي بلادٌ من الماءِ تاوي اليَّ
تحدثني عن جنائنها
واحدّثها عن قرايْ ..

●●

نهضتُ
غادرت غيمةَ خيمةَ النومِ
كان حشدٌ من الانبياءِ ينوحونَ في طللٍ
ويغطّونَ بالدمعِ مئذنةً شاحبةْ
ورايتُ بلاداً تجاهد الاّ تضيعَ ،
شممتُ اريج منائرها المتربةْ
ثم فزّزني هاجسٌ :

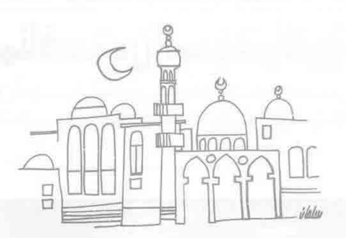
تلكَ بيروتُ أم قرطبةْ ؟
وغزالُ صباي المشرّدُ يقبلُ
ام تلكَ خمرتهُ الطيبةْ ؟

●●

ثمّ أسرَتْ بنا خضرةُ النومِ ،
اسرتْ بنا خضرةُ الغيمِ قافلةً ،
من نجومٍ مكدّرةٍ ،
الطريقُ يئنُّ ، وكانَ ضجيجُ هواجسنا
كضجيجِ خطانا :

لم يكن في الطريقِ سوانا
لم يكنْ في العناءِ سوانا
فالى اينَ تقتادُنا يا هوانا ؟

●●



نديميَ هذا الظلامُ ، وصحراؤه الشاسعةْ
نديميَ أرضٌ تجـاهد الا تضيعَ ،
نديمي سماءُ كآبتنا السابعةُ ،
نديميَ هذا الحنينُ القديمُ ،

ايفضي الطريقُ
الى بلدٍ ضائعٍ
أم الى وجهةٍ ضائعةٍ ؟

••

ودخلنا ازقّتها : الشرفاتُ انينٌ ووردٌ
ومسجدُها سيّدٌ

غـارقٌ في مهابتِهِ
حين بادرتُه بالسلامْ

انحنىٰ ، وتلألأ في شفتيهِ غبارُ الكلامْ
ثم ضجَّ انينُ الحجارةِ ،
واتسعتْ ظلمـــةٌ ،

وتسامىٰ عمودٌ من الضوءِ ينحلّ في طرفِ الأرضِ ،
سمعتُ نواحَ الكتابةِ بينَ الحجرْ

ورايتُ طيورَ المطرْ
تتجمّع في مقلةِ الشيخِ ، تغسلُ احزانَهُ المتربةْ
وتساءلتُ ليلتها :

قرطبـــةٌ !
او تلكَ خيـــولٌ

من الشرقِ تقبلُ
ام انّها ضجةُ الأتربةْ ؟

••

ونما حُلُمي ،
ورايتُ دمائي
فرساً يتبخترُ ما بينَ قرطبةٍ والسماءِ
وأسرىٰ بيَ الغيمُ والنومُ :

هذا غزالُ الطفولةِ يتبعني
وعلى كتفيَّ عباءةُ هذا الظلامِ البهيجِ ،
وفي قدحي ضوءُ خمرتِهِ الطيبةْ

ونما حُلُمي :

قلت للحلـــمِ : يا سيدي

للقصيدةِ : يا زهرةَ الروحِ ،
للحـــزنِ : يا ضجّةَ الأتربةْ

هل اسميكَ فاتحةً
ام ختاماً
أسميكَ بيروت ، ام قرطبةْ ؟

في الأسبوع الثقافي التونسي بالدوحة:

المنافسة بين المدينة والقرية

من أجل إحياء العصر الذهبي للصناعات التقليدية

بقلم: يوسف الحرمي



الصناعات الخزفية الجميلة التي أبدعتها الأيدي التونسية في مدن نابل والحمامات والقيروان



جانب من الكتب الثقافية والتراثية التي ضمها الاسبوع الثقافي التونسي



وزير الاعلام القطري عيسى غانم الكواري ، ووزيرا لاعلام التونسي عبد الرزاق الكافي اثناء افتتاح الاسبوع الثقافي التونسي في الدوحة



سفير تونس في الدوحة : محمد المحرزي

شهدت مدينة الدوحة خلال الشهر الماضي الاسبوع الثقافي التونسي الذي ضم العديد من الكتب الثقافيـــة والعلميـة والأدبية ، اضافة الى الصناعات القديمة التي ما زالت تعيش في وجدان الانسان التونسي ويتوارثها ابا عن جد رغم مرور الاف السنين .. واستطاع هذا الاسبوع أن

يجذب العديد من الرواد وان يجعلهم يتساءلون عن كافة التقاليد الموروثة في تونس ، وكيف نشأت تلك الصناعات القديمة، واهم مناطق الانتاج ، وغير ذلك من الأسئلة التي تجعلنا مطالبين بتقديم صورة موجزة عن اهم الصناعات التقليدية في تونس ، واثر الاسبوع الثقافي التونسي في عقول وقلوب كل من عايشوه !

وبداية فان تونس تحتل بحكم موقعها بالشمال الشرقي للقارة الافريقية مكانة مرموقة في قلب البحر الابيض المتوسط ، وهي لا تبعد عن التراب الأوروبي اكثر من مائة وعشرين كيلو مترا .

ومنذ العقود الغابرة كانت تونس ملتقى لعديد من الحضارات ، الامر الذي اعطى لصناعتها تنوعا وثراء ولونا متميزا .

وقد اعتدنـــا التمييز بين الصناعـــة التقليدية الريفية ، وبين الصناعة التقليدية الحضرية ، إلا أن في تونس التكامل قائم بين هاتين الصناعتين والتعايش متاح وينصهر في بوتقـه واحدة وذلك لأهمية المدن والقرى في هذه الرقعة من ارض المغرب العربي الكبير في الماضي والحاضر .

ولم يكن للصناعة التقليدية الريفية المرتبطة عادة بالانتاج الفلاحي وبحاجيات المجتمع القروي رواج متسع الرقعة مقارنة الى منتوجات الصناعة التقليدية بالمدن التي كانت تصدر منتوجاتها كالشاشية والمنسوجات وغيرها الى العديد من بلدان



من وحي الحياة الشعبية في تونس بما فيها من الوان ومباهج متعددة

المنافسة بين المدينة والقرية

من أجل إحياء العصر الذهبي للصناعات التقليدية

البحر الابيض المتوسط وبعض البلدان الافريقية.

وقد عرفت الصناعة التقليدية ازمة خطيرة إبان الاحتلال الاستعماري ، فاهل الريف الذين تعرضوا لعملية انتزاع شامل لاراضيهم الخصبة ، لم يجدوا في الصناعة التقليدية مورد عيشهم ، حيث عمد المستعمر الى ادخال المعدات الصناعية دون اهتمام بالمحافظة على الحرف في الارياف . اما في المدن فقد كانت الازمة اشد حدة واعمق اثرا نتيجة فصل البلاد التونسية عن اسواقها المعهودة.

التحول الجذري

ولم تمر فترة طويلة بعد الاستقلال ، حتى تاسس الديوان القومي للصناعة التقليدية ، واسندت اليه مهمة المحافظة على الصناعة التقليدية وتهذيبها وتطويرها ولكى تزداد اهمية هذا القطاع الحيوي بالنسبة للاقتصاد الوطني ، دخل الديوان في الانتاج على نطاق اوسع واشمل .

وتعتبر النتائج المسجلة في قطاع النسيج ايجابية سواء كان ذلك على مستوى حجم الانتاج او على مستوى الجودة .

وتنتج تونس اليوم اجمل انواع السجاد والمنسوجات التي تبدعها ايدي المراة التونسية العاملة ، حيث يصل عدد الحرفيات الى ٤٥ الف ، من بينهن عشر آلاف حرفية تعمل بمركز الديوان ، وخمسة الاف تعملن بمعامل الخواص ، والبقية اي ثلاثين الفا تعملن في بيوتهن .

وتحتل اليوم منتوجات السجاد والمنسوجات مكانة كبيرة في قطاع الحرف التقليدية ، وقد ادى نشر انتاج السجاد والمنسوجات في مناطق عديدة ، الى تغيير وضع المراة الريفية تغييرا جذريا واهتمام الدولة بوضع هؤلاء المنتجات ، وتطوير حياتهن .

وعلى ضوء تجربة العشرين سنة المنصرمة تتجه سياسة تونس في ميدان الصناعة التقليدية الى تكثيف الدعم في هذا القطاع لما له من اهمية في البلاد ..

ويعتبر السجاد والمنسوجات الصوفية المتنوعة « مرقوم كليم » .. وكذلك المنسوجات الحائطية المكونة من مربعات ، من اقدم ماعرف في تونس في قطاع النسيج ، فمنذ العهد القرطاجي وحتى العهد الاسلامي العربي الاول نجد في العديد من المراجع القديمة اشارة الى جودة تلك المنسوجات واتساع رقعة انتشارها .

وتتكون زربية القيروان الشهيرة من حواش مكثفة الزخارف ، ومن وسط مسدس يحتوي على اشكال هندسية موزعة فوق ارضية هادئة اللون .

ومن بين الصناعات التونسية القديمة ، قطع الخزف الثمينة التي تمتاز برقة زخارفها وجمال الوانها ،

والخزف من الحرف التقليدية بتونس منذ آلاف السنين ، تقدمه كل من جزيرة جربة ومدينة نابل بانواع مختلفة وتقدمه ايضا بعض مناطق الارياف التي لها انتاج هش لكنه في غاية الطرافة !

وهناك صناعة الحلي التي تعتبر من عادات اهل الريف بتونس واهمها الفضة ، وهي متنوعة جدا سواء في تقنياتها او في اشكالها، اما في المدن فان الحضر يفضلون الحلي الذهبية والمجهورات إلا ان لهم ولعا شديدا بالاواني الفضية الصغيرة الحجم .

اما النحاس فيصنع في تونس منذ قرون في اشكال واحجام مختلفة ، ويمتاز بدقة زخارفه ، ومن المنتوجات النحاسية المستحدثة الاواني المطلية بمادة زجاجية صلبة .

ويعتبر الجلد من اهم الصناعات القديمة ، ويصنع منه السروج الثمينة والاحذية بانواعها .. وقد تطورت هذه الصناعات العتيقة واتجهت كغيرها من الصناعات التقليدية الى انتاج يواكب حاجيات العصر .

ونجد التطريز في كل قرية وكل مدينة ، وتستخدم النساء القطن والحرير والاسلاك الفضية والذهبية في التطريز ، ولا يخلو «جهاز» اية عروس من ثياب فاخرة التطريز

ويعتبر حرفيو الخشب بالجمهورية التونسية اليوم ورثة المدارس العريقة التي ازدهرت في القيروان وتونس العاصمة وصفاقس ، وغيرها ، ونجد في انتاجهم اليوم امتدادا لاصالة الجمال ورقة النحوت التى امتازت بها تلك المدارس !

مع السفير التونسي

وحول الاسبوع الثقافي التونسي تحدث محمد المحرزي سفير الجمهورية التونسية فقال ان هذا الجهد الملموس ما هو الا ثمرة مجهود خاص بذلته مجموعة من المؤسسات التونسية التي يهمها التعريف بالانتاج التونسي في المجالات الفكرية والصناعية والاقتصادية بوجه عام ، وقد كان للسفارة التونسية بالدوحة دور متواضع في اقامة هذا الاسبوع الثقافي التونسي الذي احتضنته دولة قطر ، وافتتحه الاستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام القطري والاستاذ عبد الرزاق الكافي وزير الاعلام التونسي وحضره عدد كبير من المسئولين والضيوف والسفراء ورجال الصحافة والاقتصاد ، نذكر من بينهم بالخصوص الاستاذ علي بن احمد الانصاري وزير العمل والشئون الاجتماعية

وقد احتوى هذا المعرض فيما احتوى على مجموعة من الكتب التونسية اشتملت على ما يقارب المائة و خمسين عنوانا من عناوين الانتاج الفكري التونسي في الماضي والحاضر ، كما اشتمل المعرض على عينات من انتاج الصناعات التقليدية التونسية التي اشتهرت بها مختلف المدن والمحافظات في الجمهورية التونسية ، فقد شاهد الزوار نماذج من المصنوعات الخزفية والنحاسية والفضية التي انجزتها الايدي التونسية في مدينة نابل والحمامات والقيروان ، كما شاهدوا اقفاص سيدي أبي سعيد المشهورة في كل ارجاء العالم ، وتاملوا اشكالا متنوعة من المنسوجات الصوفية في شكل سجاجيد تعلق على الحائط من انتاج الجنوب التونسي ، واشتمل المعرض ايضا على قاعة مخصصة لاشكال من المفروشات الخشبية التقليدية المصنوعة من شجر الزيتون .

وخصص جانب كبير اخر لبعض المنتوجات الفلاحية التونسية ، وخصوصا المعلبات ، من خضروات وفواكه وتمور .

ومما لا شك فيه أن هذا المعرض الثقافي الصناعي الاقتصادي في وقت واحد ، قدم صورة حقيقية وملموسة وصادقة عن جوانب معينة من الانتاج التونسي ، وزاد في تعريف الاشقاء القطريين وغيرهم من الجمهور على نبض هذا البلد الحبيب وحياته الثقافية والاقتصادية .

وحول الاتفاقية الاعلامية المبرمة بين قطر وتونس قال السفير التونسي بالدوحة ، انها تعتبر خطوة جديدة في سبيل شمولية التعاون بين البلدين الشقيقين ، فان هذه الوثيقة التي وقعها خلال الشهر الماضي كل من الاستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام القطري والاستاذ عبد الرزاق الكافي وزير الاعلام التونسي تضاف الى الوثائق المماثلة التي امضاها مسئولون قطريون وتونسيون خلال الاشهر القليلة الماضية ، بهدف تعزيز التعاون الثنائي بين البلدين في مختلف المجالات والميادين .

لكن الجانب الذي تمتاز به الاتفاقية الاعلامية التونسية القطرية هو كونها تصنع اسس قواعد للمبادلات في ميادين التلفزيون والاذاعة والصحافة والمطبوعات وكل هذه الوسائل الاعلامية من شانها ان تعزز التعاون بين البلدين في كافة المجالات الاخرى كالسياحة او التجارة او الصناعة او التعليم او غير ذلك من ميادين النهضة الشاملة التي يهدف اليها ابناء البلدين الشقيقين .

يوسف الحرمي



بقلم : الدكتور محمد البهي

الترف

القران يعلن : ان الترف هو الأمارة التي تتصدر امارات الاتجاه المادي في المجتمع .. وان المترفين فيه هم الذين يواجهون الرسل - واصحاب الدعوة الى إنسانية المجتمع - بالمعارضة والصد . لان الدعوة الى مجتمع إنساني لو نجحت او عندما تنجح ، تصيب هؤلاء المترفين أولا في ترفهم ومتعهم ، ثم ثانيا في وضعهم الاجتماعي وزعامتهم : « وما ارسلنا في قرية (اي في مجتمع من نذير (اي رسول ينذر بعقاب المعارضين) إلا قال مترفوها : انا بما ارسلتم به كافرون . وقالوا : نحن اكثر أموالا وأولادا ، وما نحن بمعذبين » سبا : ٣٤ - ٣٥

وهؤلاء المترفون كذلك هم قبل غيرهم يشيعون الاعتقاد بانكار الآخرة ، وبالايمان بالحياة الدنيا وحدها . وهذا الاعتقاد المزدوج من : انكار الآخرة والايمان بالدنيا وحده : ظاهرة رئيسية في الاتجاه المادي في المجتمع : « وقال الملا من قومه الذين كفروا ، وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم في الحياة الدنيا ، ما هذا إلا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون ويشرب مما تشربون .

ولئن اطعمتم بشرا مثلكم إنكم إذن لخاسرون

ايعدكم : انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما : انكم مخرجون ؟ هيهات هيهات لما توعدون .

ان هي الا حياتنا الدنيا : نموت ، ونحيا ، وما نحن بمبعوثين ، إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا ، وما نحن له بمؤمنين » المؤمنون : ٣٣ - ٣٨

وموقف القران من الترف والمترفين هو اولا : التنديد بهم .. والنظر اليهم على انهم عوامل الهدم في المجتمع المادي . يقول الله تعالى :

« وإذا اردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » الاسراء : ١٦

.. ثم ثانيا : انكار التبذير كوسيلة للترف والتبذير انفاق المال في غير حقه وفي غير مصلحة .. او هو انفاقه في باطل ، ولو كان مدا ، اي جزءا قليلا من المال . فامارة التبذير ليست كثرة ما ينفق .. وانما مصرف ماينفق فالعبث هو العبث : في قليله وكثيره وما ينفق في عبث او في باطل من لهو او عداوة لدين الله : هو تبذير مهما كان كمه . ويقول القران في انكار وضع المبذرين في اية مدنية في سورة مكية ، وهي سورة الاسراء وهي السورة الخمسون في الوحي المكي :

« ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين (اي إخوانا لهم في الشر) وكان الشيطان لربه كفورا » : الاسراء : ٢٢ .. فيصفهم بانهم الشياطين في الشر .. وفي عدم الاهتداء الى الصراط المستقيم ، وهو صراط الايمان بالله .

وبالتنديد بالترف والمترفين اولا .. وبانكار وضع المبذرين ثانيا : يوقظ القران الوعي في نفوس المؤمنين - بعد ان تحولوا من جاهليتهم الى الايمان بالله - ضد الترف ، وضد التبذير في سبيله . وهذا مايفعله النهي عنه لو جاء بصيغته . وبذلك تستوي في هذه الخطوة في التنديد والانكار في منهج القران : مرحلة التمهيد لما يطلب من وضع نهائي للترف ، وللتبذير في سبيله . والوضع النهائي الذي طلب بعد ذلك هوالحجر على المترفين العابثين باسم السفهاء .

وقد جاءت هذه المرحلة الاخيرة في سورة مدنية ، وهي سورة النساء ، او السورة السادسة في نزول الوحي المدني : تطلب الحجر على السفهاء . وهم اولئكم المبذرون في اموالهم ، والعابثون بها . وهي اذ تطلب الحجر عليهم تطلب ايقاف العبث في اموالهم . واموالهم وان كانت ملكا ومنسوبة اليهم إلا انه يتعلق بها حق المجتمع .. وهو حق اصحاب الحاجة فيها . فالملكية الخاصة التي يقرها الاسلام للمال .. يقر بجانبها منفعة عامة له لاصحاب الحاجة يقول تعالى :

« ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما (الخطاب هنا - كما يقال - للاولياء : اذا قصد بالسفهاء : انهم من اليتامى الذين يجب ان يختبروا قبل تسلمهم اموالهم : ان كانوا قد بلغوا الرشد في التصرف ام لا .. وهذا راي لبعض المفسرين . لان هذه الآية جاءت في اثناء الحديث عن اليتامى وما يتم في اموالهم . ولكن الواضح : ان الخطاب فيها لاولى الامر .. وان السفهاء هم المبذرون بالاموال بوجه عام .. وان على اولي الامر ان يحجروا على هؤلاء السفهاء فيحولوا بينهم وبين ان يباشروا التصرف في اموالهم . لان هذه الاموال في حقيقتها هي اموال المؤمنين جميعا ، لانه يتعلق بها حق المجتمع ، كما سبق) .

وارزقوهم فيها ، واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفا » اي واجراء ثان يجب ان يتخذ بجانب الحجر على اموال السفهاء ، وهو اجراء تثميرها لمصلحة المحجور عليهم . اي اجراء عدم تجميدها ، وعدم الانفاق من راس المال بعد ذلك من منع من تسلمها من اصحابها اذ بتحريك هذه الاموال في مجال التثمير : يحافظ من جهة على راس المال ، ومن جهة اخرى يمكن ان ينفق من ارباحه على المحجور عليهم . اما القول المعروف لهم فهو الابتعاد في الحديث معهم عما يجرح شعورهم واحساسهم ، بسبب سوء تصرفهم وسفههم . واذا قيل لهم شيء بشان اموالهم يقال لهم : ان ما اتخذ من تدبير إزاء اموالهم هو لمصلحتهم ، ومصلحة اموالهم ، ومصلحة للمجتمع كله .. هو للمحافظة على الوظيفة الاجتماعية للمال ، والمنفعة العامة التي يسندها الاسلام اليه بجانب المصلحة الخاصة لهم . (النساء : ٥)

وبالامر بالحجر على اموال السفهاء هنا - وفي مقدمتهم المترفون والعابثون بالترف - تكون الامارة المميزة للمجتمع الانساني .. عن المجتمع الجاهلي قبله .. وتتحقق المرحلة التي تتم فيها انسانية المجتمع .



من روائع الفن العالمي

بقلم: جمال قطب

الالتزام .. والبحث عن الجمال المثالي

منذ سنوات . ونحن نلتقي على هذه الصفحات الفنية في رحلة عبر إبداعات الأفذاذ من فناني العالم الكبار .. وتعتبر هذه اللقاءات الفكرية نافذة نطل بها على التراث الأنساني وكأنه خمائل مبهجة من العبقريات اليانعة .. والقصة لها سحر قوي في النفوس . فهي تجمع بين متعة العلم وجاذبية الرواية .. ولذلك فقد حرصت على تقديم هذه الاستعراضات الفنية في صورة قصص وطرائف تحوي بين سطورها المعلومة الميسرة المدعمة بالروائع التي جادت بها قرائح الفنانين العظام على مر التاريخ ..

وعلى الصفحة المقابلة .. نرى إحدى لوحات آنجر واسمه الكامل : جان أوجست دومينيك آنجر وهو من الفنانين الذين أرسوا دعائم النهضة الفرنسية والعالمية في النصف الأول من القرن التاسع عشر .. وقد لعب آنجر دور الدكتاتور في حركة الفن الكلاسيكي في فرنسا مثل استاذه (لويس دافيد) الذي فرض على فناني عصره أسلوبه(الكلاسيكية الجديدة)بالارهاب والتسلط .. وجعلهم يحسون بأن المقصلة فوق رقابهم إذا لم يهتفوا بحياة هذا الاتجاه الكلاسيكي الملتزم !

أما كيف يفرض الالتزام على الفنانين — والفن إحساس وتفاعل وتعبير — فلذلك قصة غريبة :

في أواخر القرن الثامن عشر . نجحت الثورة الفرنسية في القضاء على مظاهر الانغماس في التأنق ... تلك المظاهر التي أضفت على الفن الفرنسي آنذاك طابع البذخ والزخارف الذي أفقد الفن جديته .. وبعد به كل البعد عن واقع الحياة وتجاربها .. فكاد أن يقتصر على تصوير النبلاء على نحو يرضي غرورهم .. وهو ما يعرف باسم (فن الروكوكو) .

وقبيل الثورة في عهد لويس الخامس عشر والتمبادور . انتشر التهوس بالفن الكلاسيكي على أثر ما كشفت عنه التنقيبات التي كانت جارية إذ ذاك في ايطاليا من أطلال وتماثيل رومانية تحاكي الفن الاغريقي القديم .. وظهر اتجاه فني قومي يستمد أسلوبه من هذه (الموضة) الإغريقية كبديل لفن الروكوكو الزائف .. وبعد موت لويس الخامس عشر . لم تلبث هذه النزعة ان انقرضت وعاد فن الروكوكو الى مجراه السابق في عهد لويس السادس عشر وماري انطوانيت .. ولكن رساما متحمسا للأسلوب الكلاسيكي . ظل متعلقا به مستمدا موضوعاته من تاريخ الرومان بما يزخر به من مواقف وطنية ووقائع بطولية مثيرة !

وقدر لهذا الفنان المتحمس وهو (لويس دافيد) أن يصبح ذا شأن عظيم في عهد الثورة ولا سيما بعد أن انتخب عام ١٧٩٢ عضواً بالجمعية الوطنية الفرنسية التي قضت على لويس السادس عشر بالاعدام .. فقضي كذلك على الأكاديمية الملكية وأنشىء مكانها عام ١٧٩٥ (المعهد الوطني) الذي تحول في العام التالي إلى (المعهد الفرنسي) .. وكان من فروع هذا المعهد (أكاديمية الفنون) التي قدر لها أن تبسط نفوذها (بل نفوذ دافيد نفسه) على الحياة الفنية في فرنسا كلها منذ ذلك الحين .. وحتى مطلع القرن العشرين !

... ودارت الأيام .. وأصاب دافيد ما أصاب الثورة الفرنسية .. ونفي نابليون إلى سانت هيلانة .. كما نفي دافيد إلى بروكسل من عام ١٨١٦ إلى أن مات في منفاه عام ١٨٢٥ ... بعد أن تحكم في كل ما يتعلق بشئون الفن زهاء اثنين وثلاثين عاما .. فرض خلالها على الفنانين أسلوبا قديما (هو الأسلوب الاغريقي) ، دون أن يبيح أدنى قسط من الحرية لأي فنان مبدع !

وبعد وفاته .. أصبح تلميذه (آنجر) زعيم الفن الأكاديمي في فرنسا .. وحذا حذو أستاذه في تزمته وتعصبه .. وكما أن الضغط يولد الانفجار .. فقد رأينا أن حركات فنية مناهضة تزعزع أركان سلطانه مثل (الرومانتيكية) وبعد ذلك ظهرت مدرسة الخروج إلى الطبيعة .. والواقعية ... وكلها مدارس تبشر ببزوغ فجر الحرية الفكرية وفتح باب التأمل على مصراعيه !

وكان (آنجر) يعتقد — سواء من الوجهة التعليمية أو الفنية — أن الرسم (أي الخط) هو أساس فن التصوير .. وهكذا لم يسمح للطلبة في مدارس الفنون الجميلة باستخدام الألوان إلا بعد عدة سنوات من المران على اتقان الرسم وإجادة رشاقة الخطوط إجادة تامة .. بل إن آنجر اعتقد أن (اللون) شيء ثانوي وغير ذي قيمة فنية مؤثرة .. وما هو إلا ملء فراغات بين الخطوط .. ولابد أن تبدو اللوحات وكأنها (رسوم مؤثرة ملونة) .. وكانت نصيحته الخالدة لتلاميذه الذين يسألونه أن يرشدهم إلى أسلم الطرق ليصبحوا فنانين مرموقين هي قوله : ارسموا .. ارسموا .. بأي خامة وعلى أي شيء .. المهم الا تتوقف أناملكم عن الرسم وإجادة الخطوط !

وظل آنجر وفيا لتعاليم دافيد من حيث مثالية العمل الفني .. وإن اختلف معه بعض الشيء في البعد عن الميثولوجيات القديمة من تاريخ الرومان والاغريق .. واتخذ نماذج من التاريخ الوسيط والمعاصر .. بحثا عن الجمال . لا عن الجلال الذي توحي به قصص الأساطير وبطولات التاريخ السحيق !

وإذا نظرنا بدقة الى اللوحة على الصفحة المقابلة(السيدة الجالسة) والتي رسمها آنجر عام ١٨٥٦ لأحدى سيدات مجتمعه .. اتضحت مميزات فنه في البحث عن الجمال المثالي حيث يكون .. وليس بالضرورة أن يكون هو (الجمال الرياضي) الذي يتسم به تاريخ الرومان البطولي والتماثيل الإغريقية القديمة . ثم نلاحظ رشاقة الخطوط المعجزة .. وهو ما تفرد به في أعماله العملاقة التي يعمر بها متحف اللوفر في العاصمة الفرنسية . والعديد من متاحف العالم الكبرى .



« السيدة الجالسة » : لوحة للفنان الفرنسي « انجر » رسمها في عام ١٨٥٦ م



احدى القاعات الثلاث في مركز الموسيقي بلوس انجلوس وهي التي تقدم فيها جوائز الأوسكار للفائزين في السينما

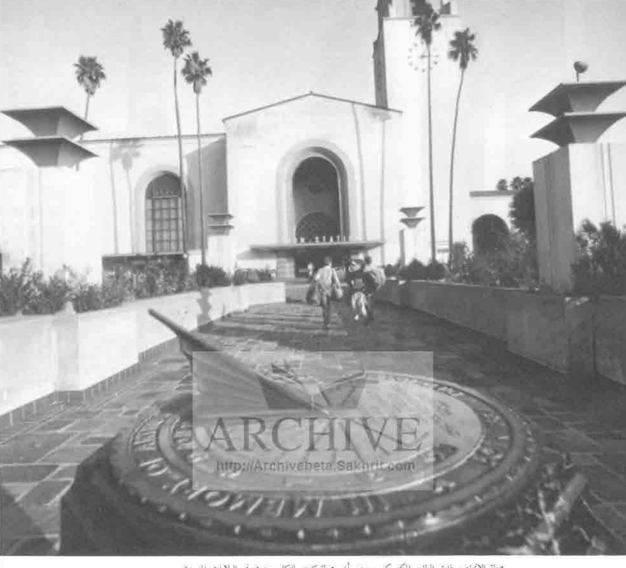


فتاة من مدينة لوس انجلوس ، التي يوجد بها اكثر من ٦٠ كلية وجامعة

كل عيون العالم على هذه المدينة

أعظم مهرجان رياضي وفني عالمي فوق سجّادة مطعّمة باللآلئ الوهّاجة!

إعداد: النور عثمان أبكر



محطة الاتحاد ، ذات الطابع المكسيكي ، وهي آخر محطة كبرى للركاب بنيت في الولايات المتحدة

أهي جزيرة على اليابسة ؟
أم مئات من الضواحي التي تبحث عن مدينة تضمها ؟
او جنة شبه استوائيـــة ؟
أم دولـة منفصلـــة ؟

كل هذه ، وغيرها من اوصاف ، ظلت مقترنة بمدينة لوس انجلوس . ولكل منها بريق من حقيقة ، ولكن واحدة منها لاتضيء بشكل واضح شخصية هذه المدينة المتعددة الجوانب ، التي تعمرها ١٠ مليون نسمة ، ثلثهم في الجزء الذي يمثل المدينة الرئيسية ، وبقيتهم في ١٣٠ مدينة مستقلة في الاقليم الذي يتمدد عبر خمس مقاطعات في ولاية جنوب كاليفورنيا . ولذا فان من ينظرها من الجو من ساحل المحيط الهادئ يراها ممتدة أبعد من الافق نفسه ، وتبدو ليلا مثل سجادة مطعمة باللآلىء الوهاجة ، حين تنبض اضواؤها في الهواء الدافىء ، وهي نهارا مثل انبساط لانهائي من الأبنية المنخفضة ، وبقع من الخضرة الزاهية والتلال الداكنة .

تمثال للفنان « الاسكندر كالدر » يزين ساحة احد المصارف في المنطقة التجارية الجديدة في المدينة



جانب من السبعمائة الف مشترك في مهرجان الشارع لعام ١٩٨٣ في مدينة المهرجانات

هذا الديكور انشىء ليمثل اضواء «لاس فيجاس»

اوائل المهاجرين

وقد نشات لوس انجلوس قبل قرنين من الزمان ، في الرابع من سبتمبر – ايلول ١٧٨١ كحلقة في عقد من المستعمرات الأسبانية الممتدة عبر مايعرف الآن بالغرب الامريكي الأوسط . وظلت قرابة قرن من الزمان مدينة صغيرة مغبرة . وفي عام ١٨٢٢ انتقلت السيطرة على الاقليم من اسبانيا الى المكسيك ، ثم الى الولايات المتحدة في ١٨٤٨ .

ومع موجة جنون البحث عن الذهب في عام ١٨٤٩ ، اندفع الى شمال كاليفورنيا سيل من الحالمين بالثراء العريض .. واحالوا سان فرنسيسكو الى مدينة مزدهرة بينما ظلت منطقة لوس انجلوس ، الواقعة على مسافة ٦٥٠ كيلو مترا الى الجنوب ، تنمو في بطء وتدرج . وكانت حفنة من اليانكي قد وصلت الى المدينة في عام ١٨٥٠ ، واخذت في تطوير المراعي التي كانت للمكسيك سابقا ، وجعلت منها مزارع وخططت المجتمعات لاستقبال من قد يفد الى المدينة للاقامة ، وتم ربط المدينة بالسكة الحديدية لاول مرة في عام ١٨٧٦ . وكان اول من قدم بها الى المدينة سواح وزائرون لم يقصدوا الاقامة بها . وبدات العائلات الموسرة من المدن بشرق الولايات المتحدة تقضي فصل الشتاء في لوس انجلوس .. وشجع ثناؤهم على طقس المدينة آخرين على ارتيادها .

وكانت الموجة الجديدة من ذوي الذهنية التجارية . فاقامت خطا حديديا ثانيا في عام ١٨٨٦ ، مما اشعل حرب اسعار بين الشركتين ، انتهزها الاف من الناس فرصة للسفر غربا للاستقرار في بلاد جديدة .

وقد ضمت اول موجة من هؤلاء المهاجرين عائلات ثرية من الشرق ، اجتذبهم ماسمعوا عن المدينة وطقسها ، وانها جنة ارضية تشرق الشمس فيها طيلة

ايام السنة ، حيث يمكن لأي محصول ان ينمو ويثمر كثيراً .

وكان اهم ما سعوا اليه هو غابات البرتقال التي وان تقلصت الآن ، مازالت اهم واقوى رمز لجنوب كاليفورنيا .

وكان بين القادمين الاوائل عجزة ومرضى وكبار سن ، جاءوا بحثا عن مكان لطيف ينعمون فيه بما تبقى لهم من ايام في هذه الدنيا ، او يؤملون في عافية ونقاهة في صحو طقس تلك المدينة .

اغنياء وفقراء بثمانين لغة

وفي بداية القرن الحالي وفدت موجة ثانية للاقامة في المدن الصغيرة ومزارع الغرب الاوسط . وفي وقت متاخر من عشرينات هذا القرن ، عندما ازدهرت فرص العمل في الزراعة والبترول والسينما ، بدات لوس انجلوس تجتذب الفقراء وغير المؤهلين حرفيا . وكان كثيرون منهم من الذين اتلف الجفاف مزارعهم في الولايات الجنوبية الوسطى . وتلت ذلك هجرة اجنبية ، جلها من المكسيك ، استقرت في كاليفورنيا اولا وكبر حجمها ، واخذت المدينة تتطور ، وتكبر ، وقاعدتها الاقتصادية تتطور وتنمو . اضف الى ذلك ان العمال الصينيين الذين بنوا خطوط السكة الحديدية العابرة للقارة في سبعينات وثمانينات القرن الماضي ظلوا يقيمون عند نهاية الخط بالساحل ، وهم الذين انشاوا صناعة الاسماك ، وجنائن المحاصيل التجارية . وانضم اليهم مع بداية القرن العشرين عـــدد كبير من اليابانيين ليضيفوا الى مهارة الصينيين ، مهارتهم هم ايضا في الزراعة وصيد الأسماك وحدائق الزينة .

واستمر انتعاش المدينة الاقتصادي دونما توقف تقريبا لاكثر من نصف قرن . وكان عدد سكانها يتضاعف في كل حقبة .

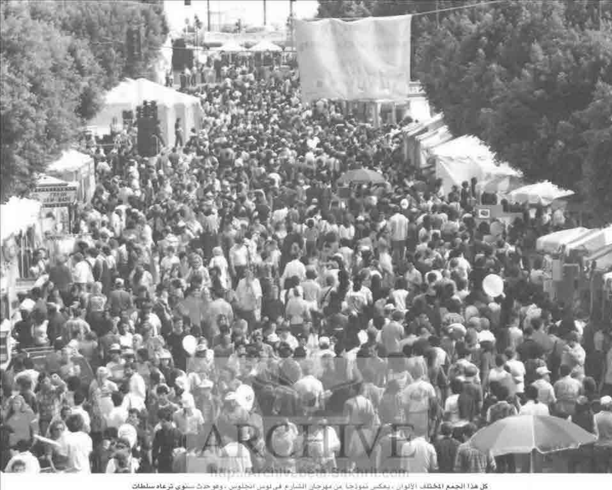
وفي العشر سنوات الاخيرة اصبحت المدينة مركز جذب للبؤساء والمعدمين القادمين من آسيا وامريكا اللاتينية ، تماما مثلما كانت نيويورك ملاذاً للباحثين عن نسائم الحرية والفرص الجديدة .. والذين هربوا من فقر وظلم اوروبا في القرن التاسع عشر . وقد بلغ عدد الوافدين اللاجئين من المكسيك وامريكا اللاتينية وايران وجنوب شرق اسيا ، منذ عام ١٩٧٠ ، مليوني نسمة وغدت لوس انجلوس نسيجا معقداً من ذوي الاقامة الطويلة والقادمين الجدد ، من مؤهلين حرفيا وغير مؤهلين ، واغنياء وفقراء .. ويتحدثون ثمانين لغة .

استعراض لاشهى الماكولات البحرية امام احد المطاعم الشهيرة في المدينة

ومع أن لوس انجلوس مفصولة جغرافيا عن بقية القارة بجبال وصحاري ، فهي لاتحس بالعزلة بفضل كبر حجم المواصلات جوا وبرا . وكان الرواد في عملية ازدهار المدينة في اواخر الماضي قد اقاموا كل البنى التحتية اللازمة للتنمية والتطور ، إذ انهم اقاموا شبكة سكك حديدية للقطارات وخطوط الترام بين المدن طولها ٢٤٠٠ كيلو متر ، وشقوا قنوات للمياه من البحيرات والانهار التي تبعد مئات الكيلومترات ، وعبدوا الشوارع ، واقاموا شبكات لتصريف المياه ، وابتنوا الفنادق ومحطات السكة الحديد ، وذلك كله قبل أن تباع اول مواقع للسكنى . وعندما تفوقت السيارة على القطار ، اقامت سلطات المدينة شبكة من الطرق الكبرى على غرار الدروب التاريخية القديمة ، الأمر الذي ساعد على تكاثر المراكز المحلية .. وفرضت تشريعات صارمة لفصل المناطق السكنية عن مناطق الصناعة والتجارة ، ونسبة لاحتمال وقوع زلازل كبرى في المنطقة ، فرضت قيود صارمة على ارتفاع المباني ..

مدينة لكل الاذواق

ولو شـــاءت الاقـدار للوس انجلوس الكبرى أن تنفصل عن الولايات المتحدة ،



كل هذا الجمع المختلف الالوان ، يعكس نموذجا من مهرجان الشارع في لوس انجلوس ، وهو حدث سنوي ترعاه سلطات المدينة وبعض المؤسسات ، وتقدم فيه المسرحيات والفقرات المتنوعة ، وتعرض فيه الفنون والاعمال اليدوية

لتستقل بنفسها كدولة ، فانها ستصبح من الناحية الاقتصادية والناتج القومي الدولة الثانية عشرة في العالم ، متفوقة بذلك على المكسيك واستراليا واندونيسيا .

واقتصادها متنوع . فالمدينة مشهورة عالميا كعاصمة لصناعة الافلام والبرامج التلفزيونية والموسيقية . ويعمل اكثر من مليون شخص في صناعة الحديد والصلب وصناعة السيارات ، وما شابه ذلك من صناعات متقدمة .. كصناعة الطائرات والالكترونيات ، ووسائل الاتصال .. كما ان مليونا آخر يعملون في مجال الخدمات . وهناك مزارع ضخمة لزراعة القطن والأرز ، بجانب مزارع الموالح العتيقة الراسخة .

وقد اخذت لوس انجلوس تنافس مدينة سان فرنسيسكو في مجال التمويل ، والفنون بعد أن كانت قد تفوقت عليها منذ وقت بعيد في عدد السكان والثراء .

ولوس انجيلوس في نظر كثير من الغرباء عنها مدينة مضطربة ، بل وفوضوية . ويزعج زائرها كثيراً ان يضطر الى قطع مسافات طويلة بالسيارة للوصول من نقطة الى اخرى ؛ وقد اشيع عن المدينة انها تختنق تحت عباءة من الضباب الممتزج بالدخان ، وانها منشغلة بجمع الأموال و بالتفاخر بما تملك ، وان المنطقة كلها تتسم بالضحالة الفكرية ، والسعي وراء اللذة ، ولن يكتب لها البقاء .

ولكن من يشق طريقه الى العمق الذي يرقد تحت قشرة العيش فيها - يجد جملة من المفاجآت السارة ، فالضباب الدخاني بها مثل كل المظاهر الحادة للطقس ، ليس سوى شيء وقتي ومحلي .. والطرق الكبرى ليست مرعبة كما تبدو لاول وهلة ، فهي طرق اتصال مريح بجوانب غنية ومتنوعة من الحياة في المدينة والصحاري والمناطق العذراء ، والسواحل الرملية التي تمتد مئات الكيلومترات .

وسيجد الغريب متاحف عالمية من الدرجة الأولى ، وحفلات موسيقية ، واحداثا رياضية .. وطقسا يمكن المرء من ان يجري ويسبح ويلعب التنس طيلة ايام السنة .. ويغني المرء عن جارفات الجليد ومكيفات الهواء .

لقد عمدت الافلام السينمائية ، ثم التلفزيونية الى تضخيم كل شيء يحدث في جنوب كاليفورنيا ، خيرا كان أم شرا ، مظهرة له فوق حجمه الطبيعي . ولكن الواقع هو ان معظم اهل لوس انجيلوس يحيون حياة خالية من الاثارة .. حياة مثمرة ، لها محاسنها واخفاقاتها ، ولا تختلف في اساسها عن حياة جملة الشعب الامريكي .

ولا ينفي ذلك وجود بعض مظاهر الاختلاف : لقد ولد معظم اهل لوس انجيلوس في مواطن اخرى ، ثم انتقلوا اليها ، وقد يرحلون عنها . وقليل منهم الذين يعملون في صناعة الترفيه والتسلية .. ولكن كثيرين منهم قد تاثروا بمزجها للاذواق المعاصرة ، وتطلعها للمستقبل .



متحف الفنون الجميلة ، وهو من اكبر المتاحف في امريكا ، وبه مجموعة كبيرة دائمة العرض ، وقاعات للمحاضرات والافلام والحفلات الموسيقية ، وتقام به المعارض الخاصة

فتاتان من درب « روديو » في المدينة ويسمونه : الدرب المعبد بالذهب !

والحركة والتجديد ، في المدينة التي تنعدم فيها القيود ، لا يتوقفان . وربما كان جو التسامح الذي لا حدود له فيما يفعله او يتركه المرء ، هو الذي يميز لوس انجيلوس بصورة خاصة .

وما اكثر ما تقدمه لوس انجيلوس : الحدائق الغناء ، والمحاصيل والمنتجات الزراعية المتنوعة ، والتي تتوفر على مدار السنة ، والمطاعم التي ترضي اذواق كل اجناس العالم ، والمعارض والمهرجانات والاستعراضات التي تقام في الطرقات وتعكس ثراء وتنوع إنسانية المدينة والاشكال المعمارية الرائعة ، حيث المباني القديمة تجد الرعاية والتجديد ، والمسارح المحلية ، حيث يعرض الاف الممثلين مواهبهم وينتظرون الفرصة الذهبية للقيام بدور في السينما او التلفزيون ، والمتاحف الجديدة ، وعروض فرقة اوركسترا لوس انجيلوس التي طبقت شهرتها الآفاق ، وعشرات الفرق الصغيرة ، ومئات الاندية لكل انواع الموسيقى الشعبية .

أصدقاء الشجرة

واقامة المهرجانات والاحتفالات السنوية ليست بالامر الجديد على سكان مدينة لوس انجيلوس .. فهناك مثلا مهرجان «باسدينا» للزهور ، وهناك كثير من المناسبات الثقافية والرياضية ، المختلفة . ولذا فقد ظل اهل المدينة يعملون في تفان وتركيز لانجاح الألعاب الاولمبية لصيف هذا العام .. فتم تحسين المؤاصلات العامة ، وتوسيع طاقة مطار لوس انجيلوس الدولي ببناء قسم دولي جديد ، وطريق مزدوج ، ونظمت افواج الاوتوبيسات التي ستنقل الزوار الى مواقع المباريات الاولمبية .

وقد التزم الاف من المواطنين بالعمل على توفير الراحة والمتعة للقادمين لمشاهدة الالعاب الاولمبية ، فجمع اعضاء ما يعرف باصدقاء الشجرة اموالا لزراعة مليون شجرة لتوفير الظل ، والتجميل ، ولامتصاص التلوث من الجو ، كما ان اخرين قد زرعوا الزهور الاولمبية في كل انحاء المدينة ، وتطوع ٢٠ الف من اهل المدينة لتقديم خدماتهم الى اللجنة الاولمبية في مساعدة الزوار من ناحية السكنى والمواصلات وكل ما يلزم لاستقبال ما يمكن ان يكون صيفا لم تعرف المدينة في تاريخها ما هو اكثر منه اثارة وامتاعا .

إعداد : النور عثمان ابكر

راغب عيّاد
فنان من جيل العمالقة

● أخفى عن أسرته أمر التحاقه بمدرسة الفنون الجميلة ، ووقف في وجه النظم الدراسية الفرنسية !
● عندما مارست الباخرة في ميناء الإسكندرية خلع قبعته ورماها في البحر ليعبّر عن رفضه للتأثيرات الفنية الأوروبية

بقلم : صبحي الشاروني



لوحة زيتية بعنوان « الزار » سجل فيها الفنان جانبا من الحفلات الشعبية التي أطلق عليها هذا الاسم .. واللوحة في متحف الفن الحديث بالقاهرة



الفنان راغب عياد ، الذي استطاع بفنه ان يمهد الارض للاجيال القادمة

خمسة وسبعون عاما مرت على تاريخ افتتاح مدرسة الفنون الجميلة بمصر (١٩٠٨ ١٩٨٣) ، وبينما كنا نتاهب للاحتفال باليوبيل الماسي للحركة الفنية الحديثة ، سقط اخر العمالقة من جيل الرواد او « الرعيل الاول » وهم الذين نبغوا من بين اول مجموعة من الفنانين الذين التحقوا بهذه المدرسة عند افتتاحها .

في ١٦ ديسمبر ١٩٨٢ توقف قلب احد رواد الفن التشكيلي : راغب عياد عن الخفقان ، وبذلك طويت صفحة من تاريخ الفن العربي في مصر ، مشحونة بالكفاح والابداع وهي التي سجلها الفنانون السبعة :

محمود مختار (١٨٩١ ـ ١٠٣٤) وكان اول الراحلين من هذا الجيل واكثرهم شهرة ثم احمد صبري (١٨٨٩ ـ ١٩٥٥) ، محمد ناجي (١٨٨٨ ـ ١٩٥٦) ، محمد حسن (١٨٩٢ ـ ١٩٦١) ، محمود سعيد (١٨٩٧ ـ ١٩٦٤) ، يوسف كامل (١٨٩١ ـ ١٩٧١) وكان اخر الراحلين من هذا الجيل هو راغب عياد (١٨٩٢ ـ ١٩٨٢) .

توفى عن ٩٠ عاما عاشها للفن ، خاض خلالها مع زملائه سلسلة من المعارك التي مهدت الارض للاجيال التالية ، وكانت حياته نضالا متصلا ، فلم يكن للفن في بداية القرن العشرين مكانته الحالية ، بل على العكس .. كان متصلا بالحرف والصناعات اليدوية ، اما الفن بمفهومه الغربي (اي اللوحة والتمثال المجسم) فكان وقفا على الفنانين الاجانب .

المسرح الشعبي : احدى روائعه التي رسمها في عام ١٩٦٥

راغب عياد



المساومة : لوحة رسمها الفنان في عام ١٩٤٥ واستخدم فيها الاحبار والالوان المائية

خلال حكم اسرة محمد على لمصر ظهر الاتجاه الى جعل مصر قطعة من اوربا ، فاقيمت القصور والمتنزهات والنوافير وتماثيل الميادين بواسطة معماريين وفنانين اوروبيين ، فانتقل النمط « الباروكي » و « الكلاسيكي الحديث » الى مصر ، هذا فضلا عن توافد فنانين سائحين سجلوا مناظرها الطبيعية واحياءها الشعبية وطابعها الشرقي باسلوب اوروبي لم ينقل من المشاهد المختلفــة سوى مظهرهـــا الخارجي ، وقد انحصر هذا الفن في محيط بعض كبـــار القوم في المجتمع ، ولم يعرف بقيـــة سكان مصر عن هذا الفن شيئا ، حتى ظهر بعض المفكرين والكتاب الذين زاروا اوربا ، ولمسوا مكانة الفن في المجتمع الغربي ، فبداوا يدعون الى الاهتمام بالفنون الجميلة ، وبذلك تهيأت النفوس لاستقبال هذا الفن غير النفعي ، الذي يخاطب الوجدان ويرتقي بالأحاسيس .

اما الفنانون الاجانب الذين وفدوا الى مصر في اواخر القرن التاسع عشر ، فقد اتخذوا من حي الخرنفش سوقا لبضاعتهم حيث تجاورت « دكاكينهم » - او مراسمهم كما نسميها حاليا وذلك على غرار حي « مونمارتر » في باريس .

بداية الطريق

ولد راغب عياد فى قرية «شبرا قبالة» بالقرب من مركز «اسطنها» بالمنوفية ، يوم ١٠ فبراير عام ١٨٩٢ ، لكن اسرته انتقلت الى القاهرة لتسكن حى الفجالة ، والحقت ابنها «بمدارس الفرير» فى شبرا ثم الخرنفش .. وهكذا تعرف الفتى وهو فى طريقه الى المدرسة وعودته منها على حى الفنانين الأجانب ، وأصبح ملماً بهذا الميدان دون بقية اترابه .

وعند افتتاح مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٠٨ تولى التدريس بها مثال فرنسى ورسام ايطالى ومزخرف ومعمارى فرنسيين .. ولقد فرح هؤلاء الاساتذة براغب عياد عند تقدمه للالتحاق بالمدرسة لتميزه عن بقية المتقدمين الذين جاؤوا من الريف او من احياء القاهرة الشعبية ، فكلهم لم يتلقوا اية ثقافة فنية ، بينما راغب عياد يتميز بمعرفته بالفن وامتلاكه لسانا فرنسيا يتيح له التفاهم مباشرة مع اساتذته .. حتى كانوا يستعينون به مترجما لافكارهم واحاديثهم حول الفن لينقلها الى بقية زملائه .

وكانت له شخصيته القوية المستقلة ، فلم يحظ برضاء اساتذته الأوربييـــن المستشرقين ، ولم ينل ثناءهم او تشجيعهم بسبب ثورته على النظم الدراسية التى وضعت على غرار مناهج مدرسة بونابرت فى باريس والأكاديميات الايطالية . لم يكن راضيا عن التدريبات بالرسم نقلا عن النماذج المجسمة الاغريقية والرومانية ، إلا ان ثقافته الفنية ومعرفته اللغة الفرنسية كانا كفيلين بحمايته من التعرض للفصل من المدرسة كما حدث لمعظم الملتحقين معه والذين بلغ عددهم ٤٠٠ طالب .

لكن شغف اساتذته بالمشاهد المصرية جعلهم يصحبون تلاميذهم الى خارج جدران مدرستهم لتسجيل المناظر الريفية ومشاهد الأحياء الشعبية والأسواق ، وقد استهوى هذا النوع من الرسم فناننا ونبغ فيه لاتصاله بمصريته وبواقع ارضه .

وهكذا كان للفكر السياسى اثره على فن راغب عياد من البداية ..

ان اي محاولة لتاريخ جهود الجيل الأول من الفنانين وكشف الدوافع التى ادت الى ظهور الحركة الفنية فى مصر لابد ان ننظر اليها من خلال الظروف المختلفة التى



منظر من مدينة بيروجيا

العمل فى الحقل : الوان زيتية على خشب ، انجزها الفنان فى الخمسينات

احاطت بنشاتها . فعندما دخلت مصر مرحلة ثقافية واجتماعية متميزة مع بداية القرن العشرين كانت تلك المرحلة ترتبط الى حد كبير بظروف الصراع السياسى والوجود الاستعمارى ..

فبينما كان الأمير يوسف كمال يهدف الى التقرب للطبقة الوسطى التى ظهرت واصبح لها تاثيرها على الجماهير كان الأساتذة الأوروبيون يريدون استمراراً لمنهجهم وتربية معاونين لهم فى تنفيذ المشروعات المطلوبة منهم .

فى تلك الظروف كان الاتجاه الى الفن يمثل طريقا غامضاً ومستقبلا غير مامون .. ولهذا أخفى راغب عياد عن اسرته امر التحاقه بمدرسة الفنون الجميلة لمدة عام كامل لما لمسه من معارضة اسرته لهذا الامر .. لكنهم سلموا بالأمر الواقع بعد ذلك .

سنوات التحفز

فى عام ١٩١١ أتم الجيل الأول دراسته ، واقيم بهذه المناسبة معرض كبير لأعمال الطلاب ، تالق فيه محمود مختار ، وتقرر ارساله فى بعثة الى فرنسا على نفقة الامير يوسف كمال الذى كان ينفق من أمواله على مدرسة الفنون المصرية .

لكن بعد انقضاء سنوات الدراسة خرج راغب عياد ليواجه مجتمعا لا يعرف عن الفن شيئا مما عرفوه ، بل وتنتشر فى النفوس كراهية للتصوير

وبدأ الخريجون يواجهون مصيرهم .. فعمل راغب عياد فى وظيفة مدرس للرسم بمدرسة الأقباط الكبرى ، لكن هذا العمل الوظيفى لم يقنعه لولعه بالفن وايمانه به .. فاتخذ لنفسه مرسما فى حي القلعة يعتكف فيه بعد ساعات العمل ، وذلك على غرار مراسم الفنانين فى حي الخرنفش .. ثم اذا حلت الاجازة الصيفية سافر الى

راغب عيّاد



ضاربة الودع ، التي ياتيها الريفيون البسطاء لتدلهم على حظهم في الحياة ! وهي من اعمال الفنان عام ١٩٥٧

ايطاليا وفرنسا لينهل من منابع الفن ، ثم يعود فى نهاية كل صيف وهو يحلم باستكمال دراسته هناك .

وكان زميله يوسف كامل قد التحق هو الآخر بهيئة التدريس «بالمدرسة الاعدادية» التى كان يعمل فى وظائف التدريس بها عدد من الادباء والمفكرين ، فاتيح له ان يزامل العقاد والمازنى واحمد حسن الزيات وفريد ابو حديد وصادق عنبر ومحمد بدران والكرداني وعبد الواحد خلاف ومحمد كامل سليم ... وغيرهم من مفكرى مصر الذين اصبحوا بعد ذلك من قادة حزب الوفد خلال ثورة ١٩١٩ وما بعدها .

البعثة التبادلية

كان يوسف كامل يقضى بعض الوقت فى زيارة زميله راغب عياد بمرسمه فى حي القلعة .. ويقال انه اتخذ لنفسه مرسما بجوار مرسم راغب عياد .. وكانا يتحدثان فى كل الامور المحيطة بهما ويحاولان التخطيط لمستقبلهما ويبحثان عن طريقة تتيح لهما استكمال دراستهما فى الخارج . خاصة بعد أن شاهدا زميلهما محمود مختار وقد سافر الى فرنسا بينما زميلهما الاخر محمد حسن ـ الذى عمل مدرسا بمدرسة الفنون والصنائع ـ قد اوفد هو الاخر فى بعثة الى انجلترا عام ١٩١٧ حيث تخصص فى الفنون الزخرفية والتطبيقية .

صحيح ان راغب عياد ويوسف كامل قاما بعرض اعمالهما فى معارض متتالية .. واثناء الحركة الوطنية انشا عام ١٩٢١ «جمعية اتحاد الفنانين المصريين» بهدف تجميع الفنانين وتعريف الجمهور بقيمة العمل الفنى واقامة المعارض والدعاية لها .. ومع ذلك ظل حلم الدراسة باوربا يراودهما ، حتى هداهما التفكير الى تجربة تعتبر الأولى والاخيرة فى نوعها . وتمثل علامة بارزة فى مسيرة الكفاح من اجل احترام الفنان وضرورة اكتمال تكوينه الفنى بالدراسة فى الخارج ..

هذه الفكرة تتلخص فى ان يقوم احدهما بالسفر الى ايطاليا للدراسة ، على ان يتولى زميله مهمة القيام بعمله ، وهكذا لا يفقد عمله ولا ينقطع راتبه الذى يصله بانتظام لينفق منه على نفسه اثناء دراسته حتى اذا ما اتم العام الدراسى عاد الى الوطن ليحل مكان زميله ويقوم بالتدريس فى المدرستين لييسر للآخر الحياة فى ايطاليا دارسا للفن .

وسميت هذه التجربة باسم «البعثة التبادلية» ، وقاما بتنفيذها عام ١٩٢٢ حيث سافر يوسف كامل اولا وبقى راغب عياد فى القاهرة ، فكان لهذا التكاتف والتعاون صدى مدويا فى كل مكان ، إذ كتبت عنه الصحف فكان موضع حديث الجميع ، خاصة ان هذا التعاون جاء فى فترة حاول فيها الاستعمار الانجليزى بث التفرقة بين المسلمين والاقباط فى مصر .. فكان هذا التعاون بين مسلم وقبطى ردا بليغا اخرس هذه المحاولات ، وفى نهاية العام الدراسى الاول سافر راغب عياد ليلحق بزميله فى الاجازة الصيفية ، وهناك لقيا سعد زغلول وهو فى طريقه الى مصر بعد خروجه من منفاه فى سيشل .. إذ كان محمد كامل سليم زميل يوسف كامل فى هيئة التدريس بالمدرسة الاعدادية قد عمل سكرتيرا لسعد زغلول زعيم الثورة فدبر كامل سليم هذا اللقاء .

ووجد سعد فى هذا التعاون بين اثنين من شباب الفنانين دلالة واضحة على المحبة والاخاء ، وقال ليوسف كامل : «عد الى مصر لتوفى دينك لزميلك» .

ولما تولى سعد زغلول الوزارة زعيما لحزب الوفد ، وبدات الحياة النيابية ، كانت قصة هذا الكفاح ماثلة امامه ، وما كاد النائب البرلمانى «ويصا واصف باشا» يثير هذه القضية فى البرلمان ، وينوه بكفاح الجيل الفنى الاول ، حتى ايد سعد زغلول هذا الاتجاه وكذلك جميع اعضاء البرلمان من الوفديين ، فتقرر اول اعتماد لتشجيع الفنون الجميلة والانفاق على البعثات فى الخارج وقدره ١٢ الف جنيه . فسافر يوسف كامل وراغب عياد ومحمد حسن الى ايطاليا ، واوفد احمد صبرى الى فرنسا ، واستمر هؤلاء المبعوثين فى اوربا من عام ١٩٢٥ حتى ١٩٢٩ .

وقد لخص راغب عياد ذكرياته عن تلك الفترة فى قوله : «كان عمرى ١٩ سنة عند التخرج ، وكنت قد نضجت من ناحية الانتاج الفنى ، لكننا كنا منطوبين على انفسنا .. ومن عام ١٩١٢ الى عام ١٩١٩



الحياة الشعبية بكل ما فيها من فروسية ورجولة ممثلة في لعبة التحطيب ، وهي من اعمال الفنان عام ١٩٣٠

كنا نعمـــل في صمت ولم نفكر في مستقبلنـــا! .. ولكن مـع ظروف ثورة ١٩١٩ واحساسنا بالنضج ، فكرنا فى اقامة معرض لاعمالنا ، وشجعتنا حرم «شعراوى باشا» احد زعماء ثورة ١٩١٩ (هدى هانم شعراوى) .. وبدانا نجرب حظنا ونخرج لوحاتنا الى النور . ونجح معرضنا بسبب الظروف السياسية ، وافتتحه سعد زغلول عام ١٩٢١» .

ثم يضيف: «بعد ذلك انشانا جمعية «اتحاد الفنانين المصريين» عام ١٩٢١ ، وذلك اثناء الحركة الوطنية ، وكان هدفها هو لم شمل الفنانين وتعريف الجمهور بالفن وعمل معارض للدعاية الفنية ، ولكن «جمعية محبى الفنون» ارادت بعد ذلك ان تستولى على جمعيتنا . فكانوا يشجعوننا برايهم ، ويؤيدون ذهابنا للدراسة فى اوربا وعندما سافرنا فى البعثات الحكومية عام ١٩٢٥ استولت جمعية محبى الفنون الجميلة على جمعيتنا» .

معركة الوظائف الفنية

بعد عودة راغب عياد وزملائه من بعثاتهم فى اوربا واجهتهم عقبة استيلاء الاجانب على المناصب المختلفة فى مدرسة الفنون ووزارة المعارف (وزارة التعليم حاليا) .

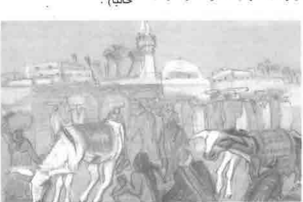
رجع راغب عياد من ايطاليا بعد ان حصل على ثلاث دبلومات فى فن التصوير الزيتى والزخرفة وفن المسرح .. لكنه عمل فى التعليم الصناعى كاستاذ بمدرسة الفنون التطبيقية ، واستمر فى هذا العمل لمدة ٧ سنوات .

وكانت هذه السنوات السبع سنوات كفاح وعمل مستمرين فى اتجاه الدعوة الى تمصير الوظائف الفنية (أى إحـــلال المصريين مكان الاجانب فى هذه الوظائف).

وبدات هذه الدعوة تثمر وتتحقق اهدافها عام ١٩٣٧ ، فنقل راغب عياد الى «مدرسة الفنون الجميلة العليا» ليتولى التدريس بقسم الدراسات الحرة بها حتى عام ١٩٥٠ ، ثم تولى بعد ذلك منصب مدير متحف الفن الحديث حتى احيل الى التقاعد عام ١٩٥٤ .

ومن الجدير بالذكر انه فى عام ١٩٤١ وقع خلاف حاد بينه وبين ادارة مدرسة الفنون الجميلة العليا . فتقرر ابعاده عنها وانتدب للاشراف على المتحف القبطى ، ثم عاد سنة ١٩٤٦ الى عمله «بكلية الفنون الجميلة» حيث تولى رئاسة قسم الدراسات الحرة بها .

ومن نشاطه خارج ميدان تدريس الفنون انه شارك عام ١٩٥٢ فى انشاء جماعة «لاتبليه» للفنانين والكتاب والمعروفة حتى الآن باسم «اتيليه القاهرة» .. كما ساهم فى اعقاب الحرب العالمية الثانية فى تاسيس «جمعية الشعلة» التى وجهت نشاطها الى الايطاليين الخارجين من الاعتقال طوال



سوق القرية : لوحة سجلها الفنان بالوان الطباشير ، لهذا الحدث الهام الذي يمثل إحدى العادات الثابتة والمألوفة في القرية





نماذج من الريف : دراسة بالاقلام الملونة ، من واقع الحياة الشعبية

فترة الحرب العالمية ، وكانت اهدافها ثقافية وعلمية من اجل تجديد وتوثيق العلاقات الثقافية مع الايطاليين ، وقد واصلت هذه الجمعية نشاطها حتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ .

مراحل فنه

كان راغب عياد يطلق على المرحلة الأولى من فنه ـ والتى امتدت حتى عودته من بعثته الحكومية في ايطاليا عام ١٩٣٠ ـ اسم المرحلة الايطالية ويقول : «لقد اجتزت هذه المرحلة رغم انفى ، انها مرحلة دراسة للجسم الانسانى والأشياء المختلفة ، وقد افادتنى واتاحت لي التعمق فى دراسة الاشكال .. لكننى لم ارسم اى منظر من ايطاليا ، وانما كل المناظر الطبيعية التى رسمتها كانت مناظر مصرية ....» .

ويضيف : «وعندما رست الباخرة فى ميناء الاسكندرية خلعت قبعتى والقيتها في البحر ، واقسمت ان اتخلص من التاثيرات الاوروبية واعبر عن بيئتي المحلية وحدها .. ومن ذلك التاريخ عام ١٩٣٠ تحركت فى فنى داخل دائرة لم تتغير وان كنت تطورت فى نفس الاتجـــــاه تطورا بطيئا تبعـــا للموضوعات المختلفة التى تناولتها .. ولم يتغير اسلوبى ولكن اهتماماتى هى التى تغيرت .» .

«اننى اميل اكثر الى الرسم بالخطوط فلوحاتي هى خطوط ملونة ، إننى اعالج موضوعات ولا أرسم اسكتشات (عجالات) .. هذه اللوحات من السهل ان احولها الى لوحات زيتية ، لكننى افضل التعمق فى دراسة الموضوع ومعالجته عشرات المرات حتى يصبح فى اقوى صورة تعبيرية ممكنة» .

وفى اعتقادى ويقينى ان الفنان الحق المخلص لفنه ، هو من يستلهم إلهامه من صميم طبيعة وطنه ومن البيئة والارض التى ترعرع فيها وعاش تحت سمائها ، فيعبر عن مباهجها ومآسيها ، ومن عاداتها وقوميتها بصدق واخلاص وامانة ، متابعاً ميوله وانطباعاته بالصورة التى تحوله وبالاسلوب الذى يروقه ويفضله» .

وهكذا اتجه عياد الى الحياة الشعبية وخاصة الفن الشعبي في الافراح والاحتفالات الشعبية المتعددة ، وحياة الفلاحين في القول وعاداتهم في أوقات الراحة!

ولم يقتصر نشاط الفنان فى الثلاثينيات على رسم اللوحات وإنما كانت له مهارات اخرى فى الجوانب الزخرفية التى ظهرت بوضوح فى مجموعة لوحات التصوير الزخرفى التى نفذها بقصر عزيز بحرى بالقاهرة وتلك التى اقامها بفندق «شبرد» القديم الذى احترق فى حريق القاهرة عام ١٩٥٢ ، كما ظهرت فى لوحته الكبيرة بالمتحف الزراعى «تحية الوطن» .

ومع هذا تظل موهبة هذا الفنان الحقة فى تصويره للعادات والتقاليد ، كان يتجول فى حوارى القاهرة ويلتقط المناظر المعبرة بصدق عن الحياة المصرية .

وهذه هى الخطوة الجريئة التى خطاها راغب عياد ، يدركها من عرف معارض الفن فى مصر قبل الحرب العالمية الثانية ، عندما كان الفن الوضعى القائم على المحاكاة والذى يعتنى بقواعد المنظور والتكوين الاكاديمى : هو الفن السائد بغير منازع .

لقد خرج هذا الفنان الرائد عن الاطار التقليدى ، فلم يصور اوانى الزهور او مناظر الغروب او حتى الوجوه الشخصية ، إنما صور عالمه الخاص المعبر عن مصريته .

وعرف الفنان باتجاهه المتحرر فى الرسم ومن عام ١٩٣٧ استقرت ملامح شخصيته الفنية وتبلور اسلوبه الذى اشتهر به .

خطوط عارمة قوية مع نظرة تحليلية للتجمعات فى تحركها وحشودها ، مع رفض المفاهيم المدرسية والأكاديمية فى تكوين اللوحة وتوزيع العناصر .. وفى النهاية كان فنه يمثل ثورة على الجو الرومانسي الذى كان يسود اعمال معظم معاصريه والقواعد الكلاسيكية التى اتبعها زملاؤه وابناء جيله .. لقد اتجه الى التعبير المباشر البعيد عن العاطفية والزخارف الشكلية .. سواء كان موضوعه من الحياة اليومية او يصور أحداثا تاريخية أو دينية .

وقد انتقل الفنان الى استخدام الألوان المائية والاحبار والأقلام الملونة يستخدمها باسلوب مشحون بطاقات تعبيرية عالية تكشف عن نظرته اللماحة السريعة النافذة لحركة التجمعات الانسانية فى المولد والزار والسوق وحول ملاعب الخيل .

ثم اتجه الى تصوير العمل فى الحقل خلال الخمسينيات واستخدم التكوين المصرى القديم فى تتابع التجمعات وحركتها على سطح اللوحة حيث استبدل بالبعد الثالث التكوين الراسي للجموع .

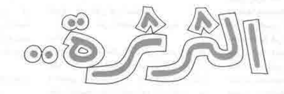
بعد رحلته مع الفلاحين فى عملهم اتجه خلال الستينات الى عالم الرهبان والاديرة

إنها مرحلة التامل والسكينة التي ابتعدت عن ضجة الحركة والزحام ليترك للمبانى والأشكال المعمارية بالوانها البيضاء مهمة التعبير عن العلاقة بين الانسان والكون ، باسلوب فائق الحساسية والشاعرية .

وفى عام ١٩٦٥ نال الفنان راغب عياد جائزة الدولة التقديرية فى الفنون ، لما قام به من دور هام فى تمهيد الطريق الحقيقى للفن الحديث بمصر ، كما اهدته اكاديمية الفنون الدكتوراه الفخرية عام ١٩٨٠ تتويجا لحياته الحافلة .

وقبل ان تغرب شمس عام ١٩٨٢ توفى راغب عياد تاركا بصماته الواضحة على الفن المصرى حيث سار فى نفس الطريق وتطور به عدد من تلاميذه الذين اصبحوا الآن من أساتذة الفن .

صبحى الشارونى



مسرحية قصيرة بقلم : وليـــد إخـــلاصي

تدور احداث هذه المسرحية في مكان يبدو للوهلة الاولى وكانه غابة اشجار عارية الاغصان . إلا ان الصورة تبدو اوضح بعد لحظات ، فتظهر الاعمدة المغروسة في الارض تحمل في رؤوسها واطرافها كتلا متفاوتة الحجم ، مالوفة او غريبة تشير إلى انها مايكروفونات وترتبط تلك الأعمدة باسلاك متشابكة تاتي إليها من كل اتجاه ، ومن اعلى ايضا . ويصبح المشهد وكانه معرض للتقدم التكنولوجي لصناعة المايكروفونات .

صمت مطبق يخيم على المكان ، بعد ضجيج خفي من ازيز واصوات مبهمة استمر خلال اللحظات الاولى . يشتعل المشهد بوهج من نور ، وتتوالى الاصوات تاتي من الخارج ، بعيدة وقريبة ومن جهات مختلفة .

تختلط الاغاني العاطفية الشائعة بالاهازيج الشعبية ، بنتف من اخبار عامة سياسية واجتماعية وفنية وعلمية وغيرها بمقاطع من احاديث وحوارات ثقافية وعائلية واقتصادية ودينية ورياضية وغيرها ...

وفي غمرة الضجة المضطربة ، يدخل رجل في منتصف العمر يلهث ، وكانه جرى مسافة طويلة . هو رجل عادي ويرتدي ملابس قديمة ولكنها لائقة . بعد لحظات ، يحس بجو الغابة بعد ان يصبح في منتصف المكان .

يصاب الرجل بالبهر وهو يعاين الاعمدة والاشرطة والرؤوس اللاقطة . في البداية تكون الدهشة ، ومن ثم الفرح . يتحسس اكثر من مايكروفون بفرح طفل وجد لعبته



الضائعة منه .

يشعر بالضجة التي تداخلت فيها الالحان بالكلمات ، والتي احاطت به اتية من بعيد ، ولكنها واضحة . فيتمايل وكان مسا من المتعة اصابه» .

صوت ١ : ولا جدال في ان الوعي المتنامي يكشف تلك الالاعيب .

الرجل : (مرددا) ولا جدال في ان الوعي المتنامي يكشف تلك الالاعيب (يبدو مزهوا بقدرته على الترداد ، فيقترب من مايكروفون كبير ، ينقره باصبعه فيتبين له انه لا يعمل) .

الرجل : لا يعمل . لابد انها الكهرباء . الكهرباء نعمة . الكهرباء نقمة . نعيش على الكهرباء ، وعندما تنقطع يتوقف كل شيء (ينقر المايكروفون) . الكهرباء اختراع عظيم ولكنه مخيف .

صوت ٢ : والحديث عن الصحراء يقودنا الى التغني بماثر الاخلاق . الوفاء والكرم وحسن الضيافة كلها من الماثر التي ...

الرجل : (مرددا مايكوفون اخر) الوفاء والكرم وحسن الضيافة (لنفسه) التغني بماثر الاخلاق يقودنا إلى الحديث عن الصحراء (مصححا) الحديث عن الصحراء هو الذي يقودنا إلى الاخلاق .

(يفحص الراس اللاقط) .

الو .. الو .. واحد اثنان . إنه لا يعمل .

(يلاحق الشريط الناقل على الارض ومن ثم في الهواء) .

بارد ولا يوحي بانه قادر على نقل الكلمات .

صوت ٣ : (مع موسيقى اعلانية) هي الافضل . هي الاساس . هي الاكثر رواجا . اشتر .. اشتر الاكثر رواجا .

الرجل (مرددا خلف مايكرفون اخر) اشتر اشتر . هي الافضل . هي الاكثر ارتجاجا .

(يصحح لنفسه) اشتر اشتر . هي الاكثر رواجا .

(ينقر باصبعه الراس اللاقط) .

اشتر اشتر . لابد انها الكهرباء ايضا . يبدو أن مصدر الكهرباء واحد لكل هذه الرؤوس (باسف) سافقد متعة جميلة ولن استطيع ان اسمع صوتي احدا .

(يعاود فحص المايكرفون ويعالجه باصابعه المتحسسة ، وكانه يكتشف شيئا) لابد ان لهذا المفتاح معنى . الو .. الو (يصبح صوته واضحا وقويا) إنه يعمل . لم تكن قضية كهرباء إذن . الو .. واحد .. اثنان .. إنه يعمل . الو .. انا هنا اتحدث اليكم . تسمعونني جيدا . شيء جميل ان يكون الصوت مسموعا .



(تتدفق ضجة ملعب من الخارج ، ثم يظهر صوت المذيع يصف مباراة رياضية في كرة القدم . يصغي الرجل إليها باهتمام بالغ ، وتبدو آثار الانفعال واضحة عليه) .

المذيع : الجماهير تغلي شوقا لتسجيل هدف / عثمان اعطى الكرة لجلال .

الرجل : (منفعلا وقد امسك بالمايكرفون) عثمان اعطى الكرة لجلال ، جلال يجري كالغزال . عثمان استرد الكرة . اعطاها من جديد لجلال . جلال يسدد نحو الهدف .

(يقفز في الهواء من فرح) هيه . كول .. كول .

(اصوات المباراة بضجيجها وتعليق المذيع يستمر) .

الرجل : يبدو انني اصبت الهدف . حقا فقد اصبت الهدف .

(يتوقف متاملا نفسه وقد ظهر عليه حزن خفيف) .

منذ كم من الزمن لم اصب الهدف !!

(يحرك ساقه في الهواء وكانه يرمي بالكرة) .

هل اصبت الهدف ؟ من يدري ، فالمرمى بعيد بعيد .

(يمشي في المكان كرجل يتنزه في غابة) .

يبدو أنني بحاجة إلى مزيد من التدريب كي أصيب الهدف . ولكنني اصبته فعلا .

صوت : (مع بداية المقدمة الموسيقية لاغنية قديمة) والآن يغنينا مطرب التراث الاول احمد محمد المحمودي دور «تكدب علي ليه» .

(مع مطلع الاغنية يتمايل الرجل من خلف المايكروفون يتابع بشفتيه الاغنية ثم مايلبث ان يشارك بها وكانه هو المطرب الذي اعلن عنه) .

الرجل : (يهتف بحبور) وهاانذا اتقن الغناء ايضا . اصبت الهدف واتقنت الغناء في يوم واحد . لابد انها بداية جديدة . هي حقا بداية جديدة ورائعة (يكمل ترداد الاغنية التي ستتوقف بعد قليل ، فيظل هو يتابع لوحده بصوت سيبدو غير مقبول وفيه شيء من النشاز . يتوقف مفكرا) .

الرجل : تبا للكهرباء . يبدو انني ساكتفي اليوم باصابة الهدف ولن اتقن الغناء (بعد لحظات) قد لا انفع شخصيا للغناء . ليس من الضروري لمن يتقن اصابة الهدف أن يتقن فن الغناء .

، (يتوجه من الجمهور بجدية كبيرة ويخاطبه) :

سيداتي انساتي سادتي (بعد لحظة) أيها الحضور المبجل (بعد لحظة) اخواتي واخوتي (يتراجع عن الاندفاع ، ويتردد يقول لنفسه) ماذا كنت اود ان اقول . في الحقيقة ..اه ، تحدثنا عن اصابة الهدف . اه الهدف .

(يتابع مخاطبا الجمهور) عثمان اعطى الكرة لعثمان . جلال اخذ عثمان وركض به ، عثمان يحاول -أن يدخل الهدف .. هيا .. الكرة تذهب وتعود كالمكوك . الجماهير تطالب بهدف . الهدف يقترب . الهدف يبتعد.

(يردد بالية) يقترب / يبتعد / يقترب / يبتعد / يبترب .

(يصمت كمن يراجع نفسه) ماذا تقول يا رجل . الطقس دافيء ولكنه لا يسبب الحمى . الامور تختلط بعضها ببعض . ماذا حدث لك .. ماذا حدث لك (كمن يتذكر الماضي القريب) كنت تمشي . حسن كانت كنت تمشي / سقطت قدماك في الحذاء فركضت / كان الطريق مسرعا فاسرعت / توقف هنا فتوقفت / اصغ اليهم فاصغيت / هم يتكلمون فتكلمت .

(صوت من الخارج يشد إليه انتباه الرجل) .

صوت : مريض في المشفى الوطني بحاجة الى دم من زمرة /ه/ سلبي .

(يختلط الصوت المذاع مع ترداد الرجل)

الرجل : مريض في المشفى الوطني بحاجة الى دم من زمرة «او» سلبي . سلبي ! لم أسمع بمثل هذه الزمرة من قبل .

(اغنية عاطفية تاتي من الخارج)

لم اعرف هذه الاغنية من قبل . مريض في المشفى الوطني .. ولكني عرفت مرة وانا في الخدمة العسكرية أن زمرة دمي هي /ه/ ايجابي . كيف نسيت انني اعرف انواع الزمر الدموية . مادام هناك الايجابي فلابد من السلبي (متحسرا) لن استطيع ان اعطي المريض المسكين شيئا من دمي (يخاطب الجمهور من خلال المايكرفون) ايها الحضور الكريم ، ارجو من كل من يحمل زمرة /ه/ سلبي ان يتوجه فورا الى المشفى الوطني .

(إلى نفسه) انتهى البلاغ وسيشفى المريض . (إلى الجمهور) اتذكر الآن ، فهي زمرة دم نادرة ، ولكن واحدا منكم يحملها وسيستجيب للنداء . نحو اخوة في الدم ، أليس كذلك (بعد لحظات) ولكننا لسنا اخوة في الزمر . الايجابي لا يمكن ان يكون اخا للسلبي . الن يستجيب احد للنداء ! مريض بحاجة الى دم .. ومن يدري اننا قد نحتاجه ايضا ذات يوم .

صوت : واليكم تفاصيل النشرة . تقع البلاد تحت تاثير منخفض جوي ..

الرجل : (يردد الجملة مع الصوت الخارجي) تقع البلاد تحت تاثير منخفض جوي ادى الى تدني درجات الحرارة عن معدلها .

(واذ يتابع الصوت اذاعة النشرة الجوية بصوت غير مفهوم ، يحدث الرجل نفسه) الطقس بارد حقا فالحرارة أدنى من معدلها .

(يفكر لحظة وهو يتحسس قميصه) الطقس ليس باردا بل ، في الحقيقة ، يبدو انه دافيء . في الواقع إنه طقس دافيء ، وانا لا البس شيئا سوى هذا القميص (بنشوة) الطقس دافيء ويميل إلى الحرارة لابد انها نشرة غير دقيقة ، بل لنقل إنها خاطئة ، وبشكل ادق هي ملفقة . هل يمكن للنشرة ان تكون ملفقة ؟ لم لا .. فالقميص هو الدليل .

(يخلع قميصه ويلوح به كعلم) القميص هو الدليل . والبلاد لا تقع حاليا تحت تاثير منخفض جوي . الطقس دافيء حقا والقميص هو الدليل .

(يمشي ملوحا بقميصه وكانه حقق انتصارا) .

كنت امشي / دخلت قدماي في الحذاء الراكض فركضت / كان الطريق مسرعا فاسرعت / توقف هنا فتوقفت / اصغ إليهم فاصغيت / وكانت النشرة خاطئة فما صدقت / .

(يقترب واحد من المايكرفونات ، يمتحنه ليجده يعمل) .

واحد .. اثنان .. الو . هذا ما يجب ان يحدث لك . فكر قبل ان تصدق . استمعت وفكرت . والقميص هو الدليل . سيداتي انساتي سادتي . ايها الحضور الكريم ، قررت ان افكر بتمعن وترو وعمق . قررت (يتحسس راسه بكفيه) راسي في مكانه ، وهذا يعني ان العقل مازال يعمل وله وظيفة سارية المفعول . التفكير سيداتي انساتي

سادتي . ان نفكر . انا افكر / انت تفكر / هو يفكر / هي تفكر / نحن نفكر / هم يفكرون / هن يفكرن / .

(يقفز في المكان بين الاعمدة) .

انا افكر جيداً ، والقميص بيدي والطقس يميل إلى الحرارة .

صوت : (يعقب إشارة موسيقية مستنفرة للحواس) تحذير للسائقين من احتمال تشكل طبقات الجليد في الطرق الرئيسية . كما ونحذر السادة المواطنين من هبوط مفاجيء في درجات الحرارة .

الرجل (هاتفاً بتحد) القميص هو الدليل .. قميصي هو الدليل .

(يتقدم رجل عابر . يبدو عجوزاً بملابسه الشتوية الثقيلة ، إلا ان وجهه لا ينبيء بكهولة ، لكن مشيته البطيئة توحي بعجزه ، وعندما يمر بالقرب من الرجل الذي توقف عن تحديه ، لا يلتفت إليه ، يتامله الرجل متفحصاً بملابسه) .

الرجل : هو يصدق النشرة الجوية (إلى العابر) هل تصدق النشرة الجوية وإن درجات الحرارة تتدنى ؟

العابر : (يتطلع إلى الرجل بصعوبة وبرود وكانه لا يسمع ما يقوله) وعليكم السلام .

الرجل : (بنزق) وهل بادرتك بالسلام لترد علي به ؟ (مراجعاً نفسه) في الحقيقة انا رجل فظ (يستوقفه) لقد نسينا اداب الطريق . السلام عليكم يا اخ (يمد يده مصافحاً) .

العابر : (يصافحه ثم لا يلبث ان يسحب كفه بحذر) الطقس بارد .

الرجل : حقاً !

العابر : وقد يهطل الثلج .

الرجل : حقاً ، فالنشرة الجوية توحي بذلك .

العابر : الا تشعر بالبرد ؟

الرجل : النشرة تقول .. ولكن الطقس كما ترى معتدل بل ويميل إلى الدفء .

العابر : (ينظر إلى الرجل بريبة) معتدل ! هل تمزح يا رجل ؟

الرجل : معتدل ، وانا لا امزح . والدليل هو قميصي هذا .

العابر : هل تريدني ان اصدق قميصك واكذب النشرة الجوية ؟

(ينظر العابر إلى الرجل باستصغار ، ويهم بمتابعة المسير) .

الرجل : (محذراً) احذرك من الاسراع في خطواتك .

العابر : ولم تحذرني ؟ إنما افضل المشي ببطء .

الرجل : ستغرق في عرقك وانت غاطس في مثل هذه الملابس الثقيلة .

العابر : (بعد تفكير) لا افهم كيف يمكن لي ان اغرق في عرقي والطقس شديد البرودة !

الرجل : (بسخرية) الطقس شديد البرودة حقا !

العابر : النشرة لا تخطيء .

الرجل : ولكن الاحساس لا يخطيء .

العابر : تقصد قميصك هو الذي لا يخطيء .

الرجل : ها قد بدات تفهم .

العابر : افهم ! طبعاً فانا افهم كل كلمة تقولها النشرات الجوية .

الرجل (يقترب منه ممسكا بمعطفه) هيا .. اخلع عنك هذه الاثقال الشتوية .

العابر : (بذعر وقد تمسك بمعطفه) هل تريد ان تقتلني يا رجل ؟ البرد يضرّ بي وانا عجوز مريض لا يحتمل نسمة هواء باردة .

(يحاول الرجل مداعباً ان يمس قبعة العابر فيتراجع هذا وينظر إليه بريبة) .

الرجل : دع للهواء فرصة في تنشيط راسك .

العابر : من انت يا هذا حتى توجه الاوامر إلي ؟

(ينظر الرجل إلى العابر بقسوة فيخفف هذا من لهجته) .

هل تعتبر نفسك اقوى من البرد او اعرف من النشرات الرسمية ؟

الرجل : (مازحاً) هل تريد ان تعرف حقا من انا ؟ انا ..

العابر : (يتامل المكان وكانه يكتشفه لاول مرة) ما هذا المكان بحق الله ؟ يبدو غريبا (إلى الرجل) بل وانت غريب الاطوار حقا .

الرجل : قد يكون المكان غير مالوف حقا ولكن هل ابدو انا غريب الأطوار ؟ .

العابر : (يعاين الاعمدة والاشرطة بنظرات اصابتها الدهشة) اشجار غريبة .

العابر : اشجار !

العابر : (مسحوراً) اشجار لم ار مثلها من قبل .

الرجل : هي مايكروفونات ايها العجوز .

العابر : مايكروفونات ! ولكني لم ار شيئا يشبهها في اية حديقة او بستان . بل إني لم ارها ابداً .

(يعاين واحدة منها بتخوف شديد)

ماذا تفعل هذه الرؤوس التي تبدو كالكماة على اشجار من حديد ؟

الرجل : تلك اسمها المايكروفونات . تنقل إليك وإلي ما يقوله الاخرون .

العابر : وماذا يقول الاخرون ؟

الرجل : (هامساً في اذن العابر) منها يقرؤون عليك نشرة الاخبار الجوية .

(ينقر راس مايكروفون فيتاكد من انه يعمل) .

الو .. الو ..

(يتحرك راس العابر باحثا عن مصدر الصوت ، فيقوم الرجل ممازحاً بتقليد صوت المذيع) .

والآن إليكم نشرة الاحوال الجوية الجديدة .

العابر : (مستعداً يعطي سمعه بكل اهتمام) حسن ، فها هي النشرة الجوية .

الرجل : تهب على البلاد رياح دافئة .

العابر : (مردداً) رياح دافئة .

الرجل : تتحول إلى رياح حارة .

العابر : (مردداً) تتحول إلى رياح حارة .

الرجل : (بمرح اكبر محافظاً على جديته) وتسجل درجات الحرارة معدلات عالية .

(يحس العابر بالاختناق) .

والآن حان الوقت لكي ترموا بمعاطفكم السميكة بعيداً .

(يبدأ العابر بخلع معطفه) .

العابر : يبدو ان الطقس بدا يميل إلى السخونة .

الرجل : (يراقب اثر كلامه على العابر فيمضي في مزاحه) وتشير صور الاقمار الصناعية إلى ان موجة جديدة قادمة من



شبه القارة الهندية قد تصل خلال الساعات القليلة القادمة .

(يرمي العابر بقبعته الصوفية ارضا ويبدأ في فك ازرار قميصه) .

وردنا الآن النبأ التالي :

العابر : الحرارة تتلاحق .

الرجل : وصلت الموجة الهندية إلى البلاد منذ قليل دون ان يعترضها عائق .

العابر : رحماك يا رب .

الرجل : وقد يخشى على الاطفال والعجائز والمرضى من اثار الموجة .

(يحرك العابر كفيه لينعش وجهه دفعا للحرارة التي تكتنفه) .

العابر : اعنا يا الله على العجز والمرض .

الرجل : درجات الحرارة المتوقعة لهذا اليوم .

العابر : (يصغي باهتمام) هه .. لنسمع اخبار البلوى .

الرجل : ثمان وثلاثون درجة في السهول الداخلية .

العابر : لطفك يا رب . ثمان وثلاثون !

الرجل : اربع واربعون درجة مئوية في الشعاب الجبلية .

العابر : اربع واربعون درجة مئوية ! رحمتك يا خالق الحرارة والبرودة .

(ينفجر الرجل ضاحكا فيتطلع إليه العابر باستغراب) .

الرجـل : رحمتـك يا خالـق الوهـــم والحقيقة .

العابر : ماذا تقول ايها الرجل ؟

الرجل : اثرثر .

العابر : ولماذا تضحك ايها الرجل ؟

الرجل : اضحك على النشرة الجوية .

العابر : الا تصدق النشرة الجوية ؟

الرجل : وهل تصدق انت كل ما يقال ؟

العابر : ومن يملك الجراة على تكذيب ما يقال ؟

الرجل : حسن ، فانت تصدق ان موجة ساخنة قد وصلت .

العابر : دون شك ، والحرارة هي الدليل .

الرجل : وما رأيك في ان النشرة كانت ملفقة ؟

العابر : ملفقة ! لا يمكن للنشرة ان تكون ملفقة .

الرجل : حتى ولو كنت انا الذي اذيع النشرة ؟

العابر : (باستخفاف) انت ! ومن انت لتعطي النشرة الرسمية عن الاحوال الجوية ؟

الرجل : كان الامر مجرد مزاح .

العابر : (يستطلع احوال الرجل ويحاول ان يزجره ولكنه يقلع عن ذلك) .

الطقس حار فعلا ، فالنشرة إذن صادقة .

الرجل : قلت قبل قليل إن الطقس معتدل فلم تصدق .

العابر : ولكن الحرارة لا تطاق . الا تحس بذلك ؟

الرجل : بل استسلامك لما يقال هو الذي لا يطاق . اسمع ، فقد كنت مثلك منذ فترة وكنت لا اطاق .

العابر : والآن ؟

الرجل : لجأت إلى عقلي وفكرت ، وهكذا

العابر : (كانه لا يفهم ما يقال له) وهكذا .. ؟

الرجل (يشير إلى رأسه) وهكذا اكتشفت ان شيئا ما ، له قيمة ، يسكن هنا .

العابر : (محاولا ان يتطلع إلى رأسه فيبدو وكانه يلاحق ذبابة تزعجه) شيء يسكن هنا ! هل تضحك علي . فانا لا ارى شيئا .

الرجل : إنه هو الذي يراك .

العابر : (بذعر) من الذي يراني ؟

الرجل : يراك ويراقبك وقد يحاسبك .

العابر : يراني .. يحاسبني . لم افعل شيئا كي احاسب عليه . الا ترى اني رجل بسيط ومستقيم ولم ارتكب ذنبا ؟

الرجل : ومن قال إنك ارتكبت ذنبا ؟ (بعد لحظة) ذنبك انك لا تستخدمه .

العابر : اقسم اني لم ارتكب ذنبا .

الرجل : ومن يتهمك ؟ كل ما عليك ان تفعله هو ان تفكر .

العابر : هاأنذا افكر . ولم اجد نفسي مذنبا كي يراقبني احد .

الرجل : لا احد يراقبك . كنت اتحدث عن العقل

العابر : (بريبة) وهل اسمه العقل ؟

الرجل : هو اسمه

العابر : العقل هو اسم من يراقبني ؟

الرجل : هو اسمه حقا . ولكن لم انت خائف منه ؟

العابر : اخاف من يراقبني .. من يتتبع خطواتي

الرجل : يبدو انك فعلت شيئا .. ذنبا ما .. ولربما جريمة . كي تخاف

العابر : جريمة ! ماذا تقول ؟ انت تمزح . قل انك تمزح . انا ارتكب جريمة ؟ مثلي لا يعرف غير طلب الستر . انا لا اخرج عن الطريق المستقيم (بانفعال) انظر الي .. تاملني يا رجل ، هل ترى علائم جريمة على وجهي

الرجل : (يتفحص وجهه ويهز برأسه . يدور حول العابر) هي جريمة حقا

العابر : يا الهي !

الرجل : جريمة واضحة الآثار ، وانا اقرأ تفاصيلها

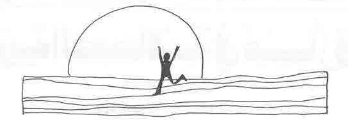
العابر : كيف عرفتني ؟ (متداركاً) كيف تتهمني ظلما ؟ حرام عليك يا رجل

الرجل : واضحة الآثار حقا

العابر : (مسترحما) اقسم على اني لم ارتكب غلطة واحدة

الرجل : ولكنها واضحة كالشمس

العابر : قد اكون قد فعلت اشياء سيئة .. ولكنها من ذلك النوع الذي يغفر له عـــادة . انا مثل البشر .. انا بشر . ولكن



.. في الحقيقة (بعصبية) اقسم على انى برىء (يتلفت حواليه) الست انت الذي يراقبني ؟ قل الحقيقة .. صارحني . قل انك تراقبني

الرجل : بالفعل ، فانا الذي اراقبك

العابر : ارحمني يا رجل . فانا لم افعل شيئا

الرجل : اراقب خوفك

العابر : انا اخاف لاني انسان .. مجرد انسان

الرجل : بل تخاف لانك لا تستعمله كما يجب لك ان تفعل

العابر : (متوسلا) صدق براءتي ، فانا لا اقول سوى الحقيقة . كل الناس ، الجيران ، رفاقي في العمل ، يعرفون اني برىء . اسالهم

الرجل : اقول لك انت تخاف ، لانك لا تستخدمه . قل لي

العابر : (مستسلما) اقول لك كل ما تريد ، ولكن صدق براءتي

الرجل : قل لي ، مـــاذا تعـرف عن اليدين ؟ يداك ماذا تفعل بهما ؟

العابر : يداي ! احيي الناس بهما ، اكل بهما .. اعمل

الرجل : عيناك

العابر : (بحيرة) ماذا عن عيني ؟ انظر اليهما فتجد البراءة . انظر وتمعن

الرجل : اقول لك ماذا تفعل بعينيك ؟

العابر : ارى بهما . الطريق مثلا . اقرا بهما إشارات المرور . انا رجل لا اخالف اية اشارة

الرجل : واذناك ؟

العابر : اصغي بهما . الا ترى اني اسمع جيداً ما تقول . اذناي تستمعان دوماً الى الاوامر فاطبقها بحذافيرها . اسال رب العمل . فانا لا اقول له لا ابداً . ولم يحدث لي ان رفضت له طلباً اقسم لك . انت لا تصدقني ! ..

الرجل : وعقلك يارجل ، ماذا تفعل به ؟

العابر : عقلي ؟

الرجل : نعم عقلك

العابر : وماذا عن عقلي ؟

الرجل : هذا الذي يسكن راسك

العابر : لا أعلم ماذا تعني بقولك

الرجل : اليدان للعمل ، والقدمان للوصول الى الهدف ، والعينان لرؤية الجمال ، والاذنان لسماع الحقيقة . وعقلك .. لماذا العقل يا رجل .. لكي تفكر به

العابر : انا افكر حقاً ، ولطالما فكرت باني برىء . هل تصدقني الان ؟

الرجل : وما الفائدة ان اصدقك ولا افعل ؟ فانا رجل مثلي مثلك

العابر : انت مثلي ؟

الرجل : دون شك

العابر : وانت لا تراقبني ؟

الرجل : (بياس) ولم اراقبك يا عم ؟

العابر : (مستعيداً شيئاً من الدقة) ومن الذي يراقبني إذن ؟

الرجل : لا احد .

العابر : انت لا تراقبني اذن

الرجل : ومن انا لاراقب الناس ؟

العابر : تعني انك لست مكلفاً بمراقبتي

الرجل : لا .. لست مكلفاً بمراقبتك او مراقبة احد غيرك . كنت اريد ان اتحدث معك عن العقل . هذا كل ما كنت اتمناه .. ولكن ..

العابر : انت لا تراقبني اذن !

الرجل : كنت أريد ان نتحدث عن العقل الذي يجب ان نستخدمه

العابر : (وقد استعاد ثقته الكاملة بنفسه) وكيف تجرؤ على مخاطبتي هكذا وانت لا شيء ؟

الرجل : ومن قال اني لا شيء ! انا شيء والقيمة هنا .. في العقل الذي يسكن الراس

العابر : (يجمع ملابسه من الارض ثم يتطلع بغضب الى الرجل) دعني بحالي يا رجل . لا اريد ان اسمع منك شيئاً (يمشي خطوة)

الرجل : الا تبقى قليلا كي نتحدث عنه ؟

العابر : لا احب ان اتحدث في اشياء لا تعنيني (بعد ان يمشي خطوة اخرى) اليس الطقس بارداً كما تقول النشرة الرسمية ؟

الرجل : احس بحرارة الجو

العابر : وقميصك هو الدليل ؟

الرجل : حقاً

العابر : يعني انك لا تصدق النشرة الرسمية ؟

الرجل : (بياس) حقاً انه طقس بارد

العابر : الم اقل لك ؟ (يسرع الى ارتداء المعطف الثقيل)

(يمضي العابر بعيداً بخطوات تبدو اقل تباطؤاً . يبقى الرجل وحيداً)

الرجل : ماذا حدث له ؟ كنت اريد ان احادثه عن العقل ولكنه لا يريد (بعد لحظة) منذ قليل كنت مثله . وعندما فكرت تبين لي ان الطقس دافىء . بل ويميل الى الحرارة . استخدمت عقلي فاذا بالطقس يميل الى الدفء . مسكين .. مضى الرجل دون ان يعرف ما يجب ان يكون

(ينتقل الى واحد من المايكروفونات يجربه)

الو .. انه يعمل . سيداتي انساتي سادتي . اليكم نشرة الاحوال العقلية . يميل العقل الى الجمود اذا لم يفكر ، و اذا .

(يتوقف المايكروفون عن العمل)

الو .. ماذا حدث ؟

(ينتقل الى اخر)

الو ..الو .. انه لا يعمل ايضاً

(ينتقل الى اخر)

الو .. لا يعمل . يبدو انها الكهرباء

(يتابع من خلف مايكرفوفون اخر لا يعمل ، ولكن بصوت مرتفع)

ايها السادة .. ايها السادة .. لم يعد صوتي مسموعاً ..

ستار

وليد اخلاصي

رأي عربي في كتاب عالمي

حرّية الصحافة في مأزق

بقلم: أحمد عبد الملك

منذ ان اخذت الدول الأوروبية في الهيمنة على وسائل الاعلام برزت الحاجة الى حرية الصحافة .. او ازمة التعبير .. او ديموقراطية الكلمة .. وغيرها من العبارات التي ما زالت محل اخذ ورد من قبل الأطراف المتعاملة مع الكلمة .. والمطبعة ..

وقع بين يدي هذا الكتاب الذي حاولت ترجمة بعض فصوله من الانجليزية لما لها من اهمية في فهم الأزمة المعاصرة لحرية التعبير .

في الباب الاول يقول الكاتب كوشرو إيراني :

« لقد وضعت حرية الصحافة في موقع دفاعي بسبب عدم قدرتها على الدفاع عن السلام والحرب . وذلك انها لم تشارك في الحد من سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا ، كما انها لم تدرك بما فيه الكفاية الحاجة الملحة لدول العالم الثالث للنمو الاقتصادي .

ان الغيرة والحمية لحماية الصحافة في الترخيص لها لمزاولة المهنة ، ووضع الاستعدادات اللازمة لوكالات الانباء تحت وصاية الحكومة لحماية الأخبار الحقيقية ، ولتدريب الصحفيين على مهنة الصحافة الحديثة ، كل ذلك فروع من تلك السياسة وهي وضع الصحافة تحت وصاية الحكومات .

لا اهتمام بمبادىء الصحافة

في اجتماع (اكابولكو) كان هناك الكثير من البرامج العائمة .. لم يبد اي منها ادنى اهتمام لحرية الصحافة .. وبدا كل منها مستعداً لنشر الاستعدادات لتبادل الدعاية الحكومية .

وكالة (بان افريكان للاخبار) مثلا كانت تجاهر بانها فرع لمنظمة الوحدة الافريقية .. (كتجمع سياسي وليس كتجمع حرفي) .

شبكة الأخبار الأسيوية بدت موازية لوكالات عدم الانحياز فحصلت على بعض الدعم . ولكن تبدلت اوضاعها بعد ذلك عندما أبدت محاولات ـ غير محسوبة ـ فيما يتعلق بالحرب والسلام .. والحاجة لقهر التمييز العنصري .. والحاجة لدعم النمو الاقتصادي في الدول الفقيرة ..

هذه الشعارات كلها اسيء استخدامها ردحا من الزمن لخنق الصوت الحقيقي للامم .

وفي الاجتماع الأخير لشبكة الاخبار الأسيوية . اوصى المجتمعون بانه لا يحق لوكالات الاخبار ان تبيع اخبارها للصحف مباشرة بل يجب ان يتم ذلك عبر الوكالات الوطنية لتسهيل عملية التحكم .

ونظرا لهذه الاوضاع .. وعدم التوصل الى صيغ واضحة لشعارات الحرية ..

برز الى السطح تعبير جديد وهو :

(نظام دولي جديد للمعلومات) :

في هذا المجال تقول : جين ينغ :

إن عبارة « نظام دولي جديد للمعلومات » اشتقت من عبارة « نظام إقتصادي دولي » .. فالأساس نفسه متعدد : سياسي ، اقتصادي ، ثقافي ، اجتماعي .. ولكن كل المشكلة تكمن في الحاجة لتحقيق تغيير في العلاقات الدولية .

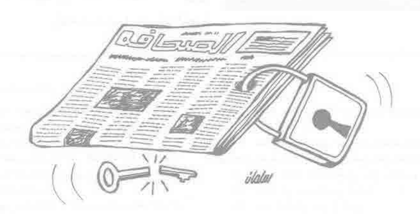
في البداية كان هنالك تغيير سياسي بني على الاعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها .. بنفسها ، ثم جاء تغيير اقتصادي وجد على أساس الاعتراف بحق التطور . خصوصا فيما يتعلق بالمسائل التي تخصنا . اما التغيير في المعلومات فياتي من خلال الاعتراف بحقنا في الاتصال الذي لا ينطوي فقط على حقنا في ان نكون عارفين .. ولكن ايضا ما يترتب عليه ، وهو الحق في (الاعلام) . »

يتضح من المقولة ان الحاجة افرزت ايجاد نظام للاعلام .. كما هو الحال بالنسبة للاقتصاد .. والسياسة .. كما انه من قبيل الواقع التطرق الى قضية المصالح المشتركه ، بين الامم لخلق النظام المطلوب .. لان اي نظام دولي لا يضع في الاعتبار الظروف المحيطة بالمجتمع يكون ناقصا .. فنحن وان طالبنا بحقنا في الاعلام او (الاخبار) دون مراعاة الواقع الفعلي لطبيعة موقعنا الجغرافي .. وتوزيع سكاننا الطبوغرافي .. وتوجهات الحكومة .. و توجهات الافراد يعتري بحثنا الضعف .. خصوصا في هذه الظروف .

وتحت عنوان « هدف اليونسكو ضمان حرية اكبر للجميع » يقول اما دوا مختار امبو .. (سكرتير اليونسكو العام) :

« الحاجة للحرية (لديموقراطية عالمية للمعلومات) تمثل العمود الفقري لاهداف اليونسكو في مجال الاعلام . ومن خلال المطالبة بمزيد من مصادر المعلومات والامل في المزيد من التنويع في مجال الاراء تعبيرا وطباعة ـ فان اليونسكو في الواقع تطمع لحرية اكبر للجميع .

المطلوب باختصار ـ زيادة التاكد على التعددية ـ خلال العالم .. وبين كل امة .. والتعددية ـ تبدا من مختلف مصادر المعلومات مع توفر فرصة لكل الشعوب لتعلم اكثر التقنيات والمصادر الاذاعية تعقيدا ، مع توزيع عادل للموجات الاذاعية وخلق مناخات تمكن جميع المناطق من



انتاج وبث برامج تعكس اهتمامات تلك المناطق ومفاهيمهم الخاصة تجاه مشاكل العالم .

والتعددية لا تؤسس بدون بث تدريجي لمناخ من الاحترام المتبادل والتفاهم والثقة بين الناس — سواء من خلال الأمم او المجتمعات — فالحرية في التعبير تبدو ملازمة لتغذية حقيقة البحث .. وحقيقة الاعلام ومن خلال موقف مسئول تجاه الراي العام .

وحيث ان حرية الصحافة لا تستخدم طبعا — لتغذية ايدولوجيات الحكومة فانها لابد ان تخدم اخلاقيات السلام والعدل والأهداف المشتركة والتقدم .. الهامة للبناء الاجتماعي العالمي .

هذه المبادىء صيغت في البلدان بكفاح الناس اينما وجدوا ضد الاحكام الاعتباطية والظلم .. ووجدت لاحترام حقوق المواطن فرداً كان ام جماعة — مشتملا على الحياة الخاصة — وبدون اي تمييز مبني على العرق ، اللون ، الجنس او الطبقة .

وتحتوي هذه المبادىء احترام كرامة جميع الناس بغض النظر عن حجمهم او ثروتهم او قولهم ومن جميع الفلسفات والقيم .. فهم يعتبرون سواسية .

الحرية واللا مسئولية متناقضان ..

وكما روى لنا التاريخ .. عندما تستخف الحرية بالقيم التي يؤمن بها المجتمع تدب الفوضى السياسية وتلوح الصراعات ويبهت عهد الحرية ويحل التعصب .

واليوم ومع نهاية الالفي عام من التاريخ يبرز السؤال على المستوى العالمي حول القيم والحرية الثمينة المهددة دائما بالظلم والتمييز العنصري والاثارة .. تلك الحرية التي لابد ان تعمم وتكون طبيعية وان تحمى .. وتقوى في جذورها كي تكون في مثاليات احترام الآخرين واخوة الناس .. وقبولنا مبدأ عدم التعصب وحقوق الآخرين في ان يبدوا مختلفين .. واتاحة الفرصة العادلة لكل منا .

ولاقامة نظام جديد للمعلومات يفترض خلق وسائل اتصال تدار بواسطة رجال ونساء من جميع المناطق في العالم ، ومساهمة واعية للمسئولية الحرفية خصوصا لدى هؤلاء المحتاجين لها لتحقيق القيم التي نحتفظ بها جميعا ، عندها يكون من الممكن اقامة شبكات متبادلة بين الناس وبقدرة الناس سماع اصواتهم المتعددة مباشرة وبتآلف .

لهذا السبب تلح الحاجة لتطوير نظام عالمي للاتصال مكون من عدة انظمة مختلفة مميزة لكل مجتمع . وتستخدم فيه احدث التكنولوجيا المكيفة بسهولة لحاجة جميع الناس بدلا من فرض نظام موحد في كل مكان . فالشبكة العالمية التي بامكانها استخدام سمفونيات الكلمات والصور والاصوات تعكس على المدى الطويل التنوع المطلق للمجتمعات الانسانية وباخلاص وتترجم الطموح الأكبر لجميع الناس .

وبعد ان كان هنالك تعليق او راي حول هذا الباب فان النظام المامول بطبيعة الحال لن يخالف قيم الناس .. ولكن هل الواقع السياسي يفرض قيما محددة محترمة لكل الناس ؟؟ وهل الواقع الاجتماعي لدى الامم المختلفة يسمح بتطبيق هذا النظــــام خصوصا إذا علمنا بان إعلام الدول النامية يديره أفراد تعينهم الحكومات حسب مفاهيم معينة وليس حسب حرفيهم كما يطالب بذلك صاحب الباب المذكور وهو السكرتير العام لليونسكو .

ثم هل الواقع الفعلي للثقافة بين الامم يسمح بأن يسمع الجميع الأصوات الأقل ؟ .. يجيب على ذلك مختار امبو .. بقوله بتطويع التكنولوجيا لحاجة كل مجتمع .. هنا تبدأ الخلافات .. ويتفرد كل مجتمع باتجاهاته .. ويضيع النظام الدولي المأمول .

فمفهوم الحرية يختلف في امريكا عنه في مجاهل افريقيا .. وفي البلدان الديكتاتورية النظام ..

إنها فعلا ازمة الاتصال !! ويظل الصراع وتظل الشعارات .. والتأرجح حسب مواقف القائمين على الصحافة والاعلام .. وحسب ظروفهم .. واقتصادهم .. هذا إذا علمنا بان الكثيرين من القائمين على الاعلام في العالم يجاهرون بما لا يسرون .. وتلك هي القضية .. والأزمة ..

الجـــــرح

شـعـر: أحـــمـد الحـــوتي

أهـذا هـو النيلُ .. ياسـيدي ؟!
والمـدائنُ لاتغـربُ الشمسُ عنهـا
وليسـت تـودّعُ أبناءها النازحين
.. الى مـــدن آفـله !
أهـذا هــو النيـــلُ ...
والمـاءُ صـار غريبـا عليه
وشكلُ الــزوارق .. والعشـبُ
والنجمــةُ الراحـله !!

* * *

حسبتك - يومـا - من المتعبينَ
وجئتـك .. يسبقني بيرق الداخلينَ
وخلفـي .. ،
وكنتُ أنـا مثلهـم !
أباريقهـم في يــديَّ
وطيرٌتحـطُ على راحتيّ .. وقلبـي
لمـاذا تغيّـرَ ؟!
إني أفتش ياسيدي عن شبيهي
وأحـرق نجمـي
أهشّمُ وجهي الذي لا يبـوحُ
- على صفحـة المـاء
أغرفه - في يديَّ - وألقي بـه
فـوق رمـل الشواطىء
علّي أراه - كما كان - وجهـاً
تزلزله وردةٌ ذابلـه

* * *

وكان - تباركت الشمسُ - والطميُ
كانت بشائرُه - في العروق - خُطىً
والدليـلُ .. ،
لمـاذا تغيّـرَ ؟ !
كنت إذا غـاب وجه الحبيبة يوماً
أروح إليـه .. وأسـالُهُ
ثم ابـكي

وكانت دموعي تفرُّ إليه ، وليست تميلُ
فينهض ، أبصره - في مرايا التنهد -
وجها تجعّد .. ، لكنه مثقلٌ بالرحيلْ
يكفّ عن الحب .. ، لا يستطيعُ
ويفتح لي قلبـهُ
والمدائن تحـكي

وكنتُ أحاوره - كل يوم -
فيغرف لي قبضةً من حليبٍ ، وكأسا
- هو الحب .. ياسـيدي ؟
- كيف حـال البلاد ؟
- تفرّق أبناؤها في المالك ..
- مــاذا ؟
- يعودون ياسيدي بعد حينٍ ...
- وأنــت ؟
- وقفتُ على باب أرحامهم
أستحم ، وأطلبهم للتخاصر
(تعرف قدري ..
ولست المكابـر)
- أعرف ..أعـرف ..
- هل أنت غاضـبٌ ؟
- ليس معي غير وقت قليلْ ..
... ...

وقبل اكتمال التواصل ، يقفز في صفحته
ويمضـي !

* * *

تساوى الدم العذبُ والسيفُ
هذا اعتـرافٌ بطعم المرارة
لا وطنٌ .. ينتهي في الرمـاد !
هو الحب .. لكنه مثقل بالرحيلْ !!
وأنت .. تزاوج بين السنابل والعشب
ترقـصُ ..
بين اليمامة والجرح
تخلط بين الحروف الفصيحة
تمشي الى آخر الأرض
.. وحدكَ !
تمشـي ..!
ولستَ لنا غير جرح ضئيلٍ
فهل خانك الوقـتُ
أم أنني قـد خدعتُ
وتلك اليمامةُ ياسيدي ليس تعرفُ
تلك اليمامةُ ليست تراوغُ
والنيل ... ليست له لغـةٌ
وليست له نخلة المستحيلْ
فهل أنت تكذبُ ؟ أم خانك الوقتُ ؟!
إن الموانى تراوغ كل المصابيح
تأتي القطـارات فارغـةً
والمــدائن ؟
لا تغـرب الشمس عنها !
تفتش عن نطفــةٍ
.. ثم تنهـضُ
هذا هو الوقـتُ ..
هل أنت - ياسيدي - غير جرح ضئيلْ ؟

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد نجماً لامعاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● قصة صورة ● درسان من دروس الحياة

قصة صورة

● القصة الكاملة لأجمل لوحة في تاريخ الفن
● خمس سنوات قضاها الفنان في رسم لوحته
● فتاة لم تكن رائعة الجمال تصبح نموذجاً للجمال الخالد
● تفاصيل بالغة الدقة والطرافة حول لوحة "الموناليزا"

بقلم: نصري عطا الله سوس

يشارك العمل الفني الخالد الحياة في خلودها وعمقها وتجددها ، وتعدد الآراء فيها واختلاف وجهات النظر اليها ، غير أن العمل الفني يمتاز على الحياة باشتماله على عناصر لا تستمد من الطبيعة المبدعة الموجبة ، بل من شخصية الفنان وعبقريته . فبالعاطفة الزاخرة التي تحتضن الاكوان ، والخيال المتوفز المتقد الذي يبدع من صور الجمال ما لا وجود له في الطبيعة ، والعقل النفاذ الذي يعاون العاطفة والخيال ... كل هذه عناصر إنسانية يشتمل عليها العمل الفني الممتاز ولا وجود لها في الطبيعة ـ وسر خلوده هو انه خلاصة فترة من حياة رجل عظيم استطاع ان يسبر من اغوار الحياة ما لم يستطعه الناس ، رجل يتيح لهم — بفنه — مشاركته عواطفه وخيالاته واحلامه .

ونحن حين نتامل عملا فنيا كبيراً نحس اننا في صحبة إنسان كبير يقود خطانا نحو اقاليم شاسعة لم نرها ، ويفتح عيوننا على صور من الحق والخير والجمال لم نعرفها من قبل . فالعمل الفني الكبير يفضل الحياة لانه منبع السرور الانساني النبيل في كل حين ، والحياة تسر حينا وتحزن احيانا .

... ذلك هو الخاطر الذي جال بنفسي عندما أردت ان اكتب عن «الجيوكاندة» او «موناليزا» اقيم اعمال الفنان الخالد «ليوناردو دافنشي» واكثرها دلالة على شخصيته ونهجه في الانتاج .

ولقد كان ليوناردو(١٤٥٣ ـ ١٥١٩) نجما لامعا من نجوم النهضة الاوروبية في القرن الخامس عشر ، ونستطيع ان ننحي التاريخ جانبا ونقول إنه احد الأفذاذ القلائل والعبقريات الضخمة في تاريخ البشرية كله ، لم يجد معاصره «فاسارس» وصفا يصفه به إلا قوله إنه فوق مستوى البشر ، وقال عنه نيتشه «إن فيه شيئا صامتا اعلى من مستوى الروح الاوروبية ، وهذه خاصية رجل تكشفت له الحياة عن محيط واسع جداً من الخير والشر» وقال هافلوك إليس : «عندما يلعب خيالنا بفكرة السوبرمان يرد لوناردو على خاطرنا كمثل من امثلته المتقدمة» .

● ● ●

عبر لوناردو مراحل المعرفة البشرية وقد وسعها عقله الكبير المتقد شغفا بالحياة وكلفا باسرارها ، ووقف عند تخوم المجهول يحدق في ظلامه وخوافيه ويرسل عليه من نور عقله وإلهام قلبه محاولا ارتياد بعض أراضيه البكر التي لم يحلق فوقها فكر او يشرئب نحوها فؤاد ... وكان تلميذ الحياة ، الحياة كلها : خافيها وظاهرها ، نظر إلى المعرفة البشرية في شتى فروعها وصورها نظرته إلى بعض من كل ، لا يجوز الوقوف عنده والاكتفاء به . فكان مصوراً وموسيقيا وعالما ومهندسا وشاعراً وفيلسوفا وفي كل حالة كان رائداً مستكشفا .

وداب الفنان او المفكر العبقري ان يجعل من عقله وقلبه «حقلا للتجارب» . إن الكون

قصة صورة

العظيم أمامه ؛ فلم يعمد إلى معرفته عن طريق أفكار الناس وعواطفهم مهما عظم شأنهم ؛ إن به حاجة للحياة ؛ فلم لا يعيش ويجرب ويتأمل ويدرك الحقائق عن طريق إحساساته ومشاعره وفكره ؟ وهكذا كان ليوناردو ...

ولقد كان يؤمن كما آمن سبينوزا بعده أن الحقيقة والكمال شيء واحد . وقال مرة «إن العبقرية الانسانية لن تستطيع أن تستنبط شيئاً أكثر بساطة وأكثر وفاء بالغرض من الطبيعة» .

وأحرى بمن ينظر إلى الحياة هذه النظرة ، أن ينظر إلى الانسان نفسه نظرة عميقة فاحصة ، وجدير بمن يتأمل ذاته ويدرك ما تنطوي عليه النفس من أسرار وما يحتويه القلب من آماد لا يرتادها إلا العباقرة الأفذاذ ، ألا يقنع عندما يعمد إلى رسم صورة إنسان بتسجيل الملامح والسمات وما قد يرتسم على صفحة الوجه من انفعالات سطحية عابرة .. إن الانسان يولد في الكون الرحب الفسيح وفي فؤاده كون آخر قد يكون أرحب آماداً وأبعد أغواراً من الكون المنظور ، ولكنه يعيش في الظلام صادفاً عن الكون الذي حوله والكون الذي في نفسه ، سادراً في التفاهات معنياً بنوافل الأمور ، ولكن هو الذي يستطيع أن يسبر الأغوار لم لا ينتشل من الأعماق بعض المعاني والأسرار التي تحفل بها النفس وتبقى دائماً كالنبع المطمور الذي تمر به الأجيال غير عابئة ولا ترسل له من ينقب عنه ويرفع الأستار . ولقد قال : إن فن التصوير نوع من الابداع اتخذه وسيلة لتطبيق الأفكار والتأملات الفلسفية على خاصيات الأشكال طبيعية أو بشرية ، فرسم صورة لم يكن لديه إلا رحلة استكشاف في مجاهل وخبايا الطبيعة الانسانية ، وفي مثل صوره تطالع القوى والقيم الانسانية التي قلما نحسها أو نحفل بها لأن حياتنا السطحية الرخيصة لا تستجيشها أو تهزها من رقادها .

• • •

لقد وهب ليوناردو حياته كلها لشيئين : الحق يلتمسه من كل طريق ويضني نفسه باحثاً عنه ، والجمال ينشده ويرجوه ويتبعه ، وهام أشد الهيام بشيئين : هما حركة الحياة الجارية ، وبسمات الغيد . وكأنه رأى فيهما معاني تفكيره وتأملاته وأحلامه ، أو استبان فيهما رمزاً للحياة وما تجيش به من معلوم ومجهول . والمياه الجارية ، كالأنهار والبحار ، حين ترفرف عليها روح الفنان وتناجيها تقول كثيراً وتفضي بأحاديث طويلة قد يفهمها القلب ولا يفهمها العقل ، ذلك لأنها لا تتكلم إلا بلغة الأبد ، إنها تلغز وترمز ولا تفصح أبداً .

... إنها ساكنة مرة وفي سكونها وداعة ، ساهمة مرة ، وفي رسومها وجوم وإطراق مثقل بالمعاني ، مترنمة في بشاشة وحبور أحياناً ، مرغية مزبدة في ثورة وعنف أحياناً أخر — وهي سافرة في الفجر ، يتكىء النور الوليد على صدرها مغمغماً في شوق وحنان ، متلألئة في الضحى تتقبل قبلات الشمس في حبور ، باكية في المساء مع الشفق ، وقد تتدثر في الليل قناعاً كثيفاً من الظلام ، وقد ترتدي غلالة شفافة من ضوء القمر وتغشى حلة طروبة — وفي كل حال لها حديث ، وفي كل مرة لها مناجاة ... وما أحلى حديثها الحافل بالأحاجي والأسرار !

وبسمات الغيد ... ؟

بسمات العذارى والفتيات فيها خلاصة الحياة كلها عندما تصفو الحياة من الأكدار وتترفع عن التفاهة والدنايا والصَّغار ، لأنها رمز للمرأة في حالة الاقبال والصفاء ، وإذا أقبلت المرأة أقبلت الحياة ، وفاضت بكل غال نفيس !

ففي الشفاه والوجنات بهجة الربيع ونضرته ، وتفتح وروده وأزاهيره ، وحرارته الحلوة التي تبعث الحياة من جديد وتشعل الحيوية الراكدة .

وفي العيون تحتشد الأسرار العميقة المتلاطمة التي لا يسبر لها غور ...

وفيها السحر الذي يستبينا ، ونرى فيه لمحة مما وراء الوجود من خفايا وأسرار ، وفيها الحلاوة العذبة التي ترقينا ، وفيها القوة الآسرة التي تستبد بنا .

ومن معاني الابتسامة الحنان ...

والحنان أصرة تآلف وامتزاج .

وأسمى لحظات العمر عند الفنان — وعند الانسان عامة — هي تلك التي يخرج فيها عن حدود ذاته ليمتزج بقوة أخرى ويصبح بعضاً منها ، ويمتلىء خاطره ووجدانه بالمعاني المستمدة من معانيها .

ومن معاني الابتسامة الفرح ، والفرح معدن الحياة الأصيل ، وهو الاحساس الذي يتوج أعمالنا وأفكارنا عندما يسيران وفق قانون الحياة ، وهي دليل السعادة ، والسعادة قبلة الحياة !

وفي الابتسامة شعاع من نور من لدن العلي القدير فاطر الحسن وبارىء آياته يشعر الانسان أنه على مقربة من السماء مصدر الصفاء والضياء .

إن ابتسامة المرأة — أحياناً — أكبر من المرأة ومن الحياة !

• • •

وكان ليوناردو لا يرسم صور الأشخاص إلا في الضوء الباهت الخافت عندما تكون السماء غائمة ، أو قبيل الغروب حين يمتلىء الجو بالايحاءات المبهمة والغمغمات الصامتة التي تغلف عواطفنا بسحابة رقيقة من الصوفية الغامضة المشوقة إلى المجهول وتكتسي الوجوه بذلك السر الذي يكسبها سحراً وحلاوة . وكان لا يتعجل ولا يعمد إلى الرسم في كل حين ، بل كان ينتظر صابراً تلك اللحظات التي تتفتح فيها بصائرنا ونعيش في عالم أكبر وأحفل بالاحساسات من العالم الذي نعيش فيه عادة ، كان ينتظر تلك اللحظات ، وعندئذ لا يبخل بالمجهود ولا يضن بالمشقة حتى إذا كان بعيداً عن مكان عمله ، وكثيراً ما كان يقطع المسافات الطويلة ليصل إلى ذلك المكان وليعمل دقائق قليلة فقط ! وفي هذه الدقائق كان الفنان يضيف إلى عمله جديداً يعتد به .

• • •

ترى لم اختار ليوناردو «موناليزا» ليجعل من صورتها رمزاً لذلك اللغز الخالد الذي نسميه المرأة ؟

هذا ما لا ندريه .

كانت « ليزا جيرالدين » إحدى بنات الطبقة الممتازة في فلورنسا وقد تزوجها « فرنسسكو دل جيوكندو » عام ١٤٩٥ ، ولم تكن على درجة رائعة من الجمال أو على

شيء من الامتياز في بيئتها .

عندما شرع ليوناردو في رسم صورتها كانت في ربيعها الرابع والعشرين ولم ينته منها إلا عندما قاربت الثلاثين !

ولعله لم يعتن بعمل من اعماله الفنية مثلما اعتنى بهذه الصور .

وواظبت ليزا على الحضور إلى مرسم الفنان كل هذه السنوات لتجلس امامه جلستها الخالدة ؛ وكان هو يجلب إلى مرسمه الموسيقيين والشعراء ليسمعوها اطرف الوان الموسيقى وابدع قصائد الشعراء حتى ينضح وجهها بذلك التعبير العبقري الذي حفظته لنا هذه الصورة الفريد .

والصورة تمثل ليزا جالسة امام شرفة رخامية وقد تجردت من كل الحلي والزينة ، مرتدية ثوبا بسيطا وعلى راسها غطاء خفيف شفاف . وقد وضعت يدها اليمنى — وهي اجمل يد رسمت في تاريخ فن التصوير كله — فوق يدها اليسرى ومما يلاحظ خلو عينيها من الاهداف والجفون .

ونرى خلفها منظرا من مناظر الطبيعة في جبال الألب قوامه الصخور والينابيع الجارية — وهذا المنظر في حد ذاته لا يقل حيوية وحرارة عن الصورة نفسها وكان ليوناردو قد اراد ان يجمع كل شيء هامت به روحه في صورة واحدة . وقد وفق ، فالصورة فيها تلك البسمة الخالدة ، وما توحيه من معان ، وفيها المياه الجارية وما تثيره في النفس من إحساسات .

وكان ليوناردو مشغولا باعمال اخرى كثيرة إلى جانب صورة «ليزا» ولكن هذه الصورة وحدها كانت تستبد باهتمامه وكان يعود إليها كما يعود المتعب المجهد إلى ملاذه الذي يجد فيه الراحة بعد العناء ، والسعادة بعد الشقاء ، والعزاء بعد الخيبة والياس .

ولم يفرغ منها إلا بعد خمس سنوات . وقد اعترف انه لم يفرغ منها تماما .

ومنذ ذلك الحين و «الجيوكاندة» نبع وحي وإلهام لا يغيض ، فكم تحدث عنها واستوحاها الشعراء والفنانون والكتاب ، وكم سجل عنها الأدب والشعر من روائع باقية ، ومازالت «ليزا» توحي المعاني والاخيلة إلى عشاقها وعشاق الفن والجمال ... ولعلها — إذا ابقى عليها الزمن — ستظل مصدرا من اخصب مصادر الوحي والخيال .

ذلك لأن صورة «ليزا» خلاصة عناصر



لوحة «موناليزا» الأصلية للفنان العالمي ليوناردو دافنشي

كثيرة ! كان ليوناردو عندما يجلسها امامه يستنهض كل إحساساتها ويستجيش انبل عواطفها ومشاعرها وافكارها عن طريق ما كان يسمعها من موسيقى وشعر .

واغلب الظن انه لم يتقيد بالطبيعة تقيدا مطلقا بل اضاف إلى ملامحها وتقاطيعها شيئا من عنده ضنت به الطبيعة على «ليزا» .

وصورة «ليزا» جمعت هذه العناصر على خير مثال .

إنها ليست صورة امراة تعيش بعقلها وعواطفها وغرائزها في دنيا الناس الحافلة بالصغائر — انها امراة ولكنها ليست كالنساء يستغرق العيش في صوره المادية الخالدة كل قوى الحياة نفسها . إنها صورة امراة تحررت وخرجت من الوجود الضيق لتعيش في الكون الكبير فاستيقظ كل ما في نفسها من عناصر وملكات ، وغدت نفسها مراة للكون الكبير .

اترى ليوناردو اراد ان يجعل منها رمزا لخلاصة ما يعتمل في نفسه من معان ، وبدلا من ان يكتب كتابا يضمنه فلسفته راى ان يرسم صورة ولم يجد خيرا من ملامح «ليزا» وتقاطيعها لابراز ما تجيش به نفسه الكبيرة من معان واحاسيس ؟ قد يكون .. ! فقد كان ليوناردو كما قلنا ملاحا متقحما يجوب بحار الحياة التي لم ترها من قبله عين ، وكان يعيش دائما في المنطقة الدقيقة التي تفصل بين المعلوم والمجهول يفعم قلبه الشوق وحب الاستطلاع ويبهر عقله وعينه ما يتكشف له من عظمة وجلال وجمال .

ولقد افلح ليوناردو في ان يحيط «ليزا» بمثل هذا الجو ويثير في نفسها كل عوامله عن طريق ما كان يسمعها من شعر وموسيقى والنتيجة هي ان ارتسم على وجهها كل معانيه : فالتعبير الذي ينطق به وجهها فيه كثير من اليقظة والحيوية ولكن فيه ايضا شيء من الدهشة كانها تحيا حياة غريبة لا تستطيع فهمها ولكنها حياة فاتنة فيها نوع من السحر الخفي . وفي عينيها شيء من الفتور كانها متعبة ، ولكن فيها ايضا شيء من العزم والمضاء كانها — رغم التعب — لم تمل ، وكم تحتوي هاتان العينان من افكار غريبة واحلام ابدة وإحساسات رقيقة غامضة .

وكم فيها من سخرية وترفع ، وكم فيها من الانطواء على النفس ورباطة الجاش كان صاحبتهما تعيش «فوق المعركة» ...

ذلك بعض ما توحيه الجيوكاندة ، وهو نفسه ما توحيه حياة ليوناردو . ولكم سحر «تيوفيل جوتيبه» من المراة وشخصيتها وجمالها في قصته «مدموازيل دي موبان» ولكنه وقف امام الجيوكاندة وقفة العابد المتامل وقال : «من اي كوكب وفد ذلك الكائن الغريب ذو النظرة التي تعد باللذات المجهولة وذو التعبير القدسي السخرية ؟ إن ليوناردو يضفي على اشخاصه طابع سمو يجعلنا نحس بالارتباك في حضرتهم . إن الضوء الخافت في عينيها العميقتين يخفي اسرارا محرمة على الغافلين ولغة شفتيها الساخرتين تلائم الذين يعرفون كل شيء ويحتقرون في رفق غلظة البشر »

«اي إصرار مقلق واية سخرية مترفعة في هاتين العينين الداكنتين وهاتين الشفتين المتموجتين كقوس الحب بعد إطلاق سهمه» .

إن جبينها يشع ذلك الصفو الذي تحسه امراة موقنة انها ابدية الجمال ، وانها ابعد شاوا من كل مثل الشعراء والفنانين» (١) .

وقال عنها الناقد الانجليزي ولتر باتر ما معناه «إن في وجهها خلاصة افكار وتجارب الدنيا : فيه حيوانية اليونان ، وشهوانية الرومان ، وصوفية العصور

قصة صورة

الوسطى وما فيها من طموح روحي وعشق خيالي ، وفيه ردة الوثنية وخطايا ال بورجيا . إنها أوغل في القدم من الصخور التي تجلس بينها . وكانها قد ماتت وبعثت عدة مرات وعرفت اسرار القبر وغاصت فى البحار العميقة واحتفظت لنفسها بسرها ، وساحت مع تجار الشرق سعياً وراء المنسوجات الغربية . ولقد كانت — مثل ليدا — اما لهيلين الطروادية ، ومثل القديسة — ان — اما لمريم . ولم يكن كل هذا لديها إلا نغمات القيثار وما فعلته بقسماتها واجفانها ويديها» (٢) .

تلك هي قصة الجيوكاندة . فيا لها من درس احفل بالمعاني من اضخم الكتب ! إنها تجعلنا نؤمن بعظمة الانسان ومجده إذا خلص من الدنايا وشغل نفسه بالمعاني السامية التي تحفل بها الدنيا .. إنها تعلمنا إلى اي اماد تستطيع ان ترقى المراة ... من منا يعيش مع «موناليزا» اياما او ساعات ولا يتبدل مثله الاعلى في المراة والجمال : إنها تسمو بافكارنا وعواطفنا وتدخل على قلوبنا الفرح وتهز من قوى الحياة فى نفوسنا ما يجعلنا نستمري طعم العيش ونمجد قوى الحياة ، وما يلبث ان يهتف فى نفوسنا هاتف يقول : لم لا نلتمس في الحياة ما عثرنا عليه فى الفن ؟ وهكذا يوجه الفن ابصارنا إلى اعلى ويعلمنا الاحساس بالجمال والتماسه فلا تقنع به النفوس الخاملة المستغلة .

ولقد الت هذه الصورة إلى الملك فرنسوا الاول واحتفظ بها في فنتنبلو . ثم نقلت إلى قاعة لويس الرابع عشر في قصر فرساي ثم استقر بها المطاف في متحف اللوفر. وهناك سرقت مرة ثم اعيدت .

واخر اخبار «الجيوكاندة» ان الهر هتلر قد نقلها إلى قصره الريفي في برختسجادن وانه — برغم متاعب الحرب والسياسة — يجلس امامها كل يوم ساعات متاملا مستوحيا ولعلها تلهمه بعض العزاء .

نصري عطا الله سدوس
١٩٤٥

هوامش :

(١) ترجم بتصرف
(٢) ترجم بتصرف

درسان من دروس الحياة

بقلم : ابراهيم عبد القادر المازني

...وعلمتني الحياة الابتسام ! وإنه لعجيب ان يحتاج المرء ان يتعلمه ! الم يقل بعضهم في تعريف الانسان إنه حيوان مبتسم ؟!

من اول ما تعلمته في حياتي ان الدنيا لي ولغيري ، واني لم اعطها وحدي ، ولا اعطيها سواي ملكا خالصا له ، ونحن جميعا شركاء متكافئون في الحقوق ، وعلينا من اجل ذلك واجبات متماثلة . وما دمنا شركاء إلى حين ، وما دام ان المقام في الدنيا على كل حال قليل ، فان من الحماقة ان ننغص على انفسنا هذه الحياة القصيرة بالعنت ، او ان نؤثر التي هي اخشن على التي هي احسن في سيرتنا ، وقد كنت احمق الحمق في صدر حياتي ، وما زالت بي بقية غير هينة من الحماقة ، فما انفكت الدنيا تنفضني كما ينفض الاسد فريسته ، وتشيلني وتحطني ، وترجني وترميني من هنا وهنا ، حتى فاءت بي إلى الرفق والهوادة فارحت واسترحت .

اي نعم ، تتسع الدنيا لي ولغيري ، وتستغنى عنا جميعا ! وليس اضل رايا ممن يتوهم ان الحياة لا تطيب له إلا إذا خلا طريقه فيها من الناس . وما احكم قول الانجليز في امثالهم : « عش ودع غيرك يعش » ! وما على المرء إلا ان فكر فيما عسى ان تخسر الدنيا إذا هي خلت من الناس وعادت خرابا يبابا ؟ لا شيء ! لن يكف الفلك المسير عن الدوران ، ولن يعوق الشمس شيء عن الطلوع والافول ، ولن تعدم الحياة على الارض مظهراً اخر تتبدى فيه كما تبدت فينا نحن بني ادم ! وهل نحن إلا صورة من صور الحياة ؟ وهل اعظم غروراً او اقل عقلا ممن يكبر في وهمه ان

الحياة تنعدم إذا انقرض الانسان وتقلص ظله عن الأرض ؟

ولا يتوهم احد ان هذا كلام زاهد او متزهد ، فما انا بهذا ولا ذاك ، وانى لمن اشد الناس رغبة في الحياة الرضية ، ونشدانا للعيش الرغيد ، وطلبا لاطايب الدنيا ، وعكوفا علي متعها المشتهاة ، وكل ما في الامر اني ارى ان فوزي بما ابغي لا يستوجب ان يحرم الناس غيري ما يطلبون ، او ان يخيبوا ويخفقوا . واي دنيا تكون هذه إذا كان نجاح فرد فيها وتوفيقه في إدراك ارابه لا يتسنى إلا بخيبة الباقين ؟ ثم إني لا احس ان الناس ينافسونني او يزحمونني او يضيقون علي المجال ، فان الأرض رحيبة ومجالاتها لا اخر لها ، وما رايتني عجزت قط عن اختراع طريق بكر ، او الاهتداء إلى ميدان جديد ، إذا شعرت بالحاجة الى ذلك

وصحيح ان الحياة جهاد ـ مع الطبيعة ومع الانسان ـ ولكنا لسنا من الحيوان ، فنضالنا لا ينبغي ان يكون بالأنياب والمخالب ، بل بالعقول . ونضال العقول متعة ، وليس يعنى به او يستثقله او يضجر منه إلا من لا يصلح لغير حمل الاثقال كالدواب . وليس امر الدنيا إلى هؤلاء المساكين المستضعفين الذين يساقون ويسخرون ، بل إلى اصحاب العقول . حتى حين تقوم الثورات لا تكون الثورة في حقيقة الامر من الجمهور الاكبر والسواد الاعظم الذي يسفك الدماء ويعيث بالخراب والدماء ، بل ممن يدفعونهم إلى ذلك ويغرونهم به ويحضونهم عليه صراحة وتلميحا ، وعفوا او عن عمد ،اي من اصحاب العقول . ولست تستطيع ان تعطل عقول الناس او تعقل السنتهم . وخير وارشد ـ لك وللناس ـ ان لا تفعل حتى إذا استطعت . وتصور دنيا ليس فيها من يفكر بعقله وينظر بعينه غير واحد ليس إلا ! اي مزية يستفيدها هذا الفرد ؟ واي متعة او نعيم له في حياته مع اشباه البهائم ؟

إنما المتعة والنعيم في هذا النضال الذي تتصفح فيه عقول منافسيك وتضيفها إلى عقلك ، وانت بذلك تكسب ابداً ولا تخسر ، وتضم كل يوم ثروة ذهنية إلى ما اوتيت من ذلك ، وتمنع عقلك ان يصدا ، لانك لا تنفك بفضل النضال الذي لا مهرب لك منه ، تجلوه وتشحذه وترهفه .

ولكن المرء لا يستطيع ان يناضل بعقله الفطري . واعني بالفطري الذي لا زاد له من العلم ، ولا مدد من المعرفة . وشبيه بذلك ان تقاوم مقذوفات المدافع بالحجـارة . فلا معدى لنا عن تعهد ملكاتنا وتزويدها بالأداة التي تجعلها امضى واكثر غذاء .

●●

وعلمتني الحياة الابتسام ! وانه لعجيب ان يحتاج المرء أن يتعلمه ! الم يقل بعضهم في تعريف الانسان إنه حيوان يبتسم ؟ وادعى إلى العجب من ذلك ان تكون المحن والشدائد هي التي علمتنيه وعودتنيه ! إي والله ! فقد كان صدري يضيق ومرارتي تكاد تنشق ، من الغيظ ، وكنت اجزع إذا حاق بي ما اكره ، واقنط من قدرتي على اجتياز المحنة ، حتى تلفت اعصابي واسودت الدنيا في عيني ، بل كاد نور عيني يخبو وينطفىء لفرط ما كنت اعانيه من الاضطراب والألم والكمد ، ثم لطف بي الله فتمردت على نفسي ، وصرت إذا عراني ما كان يعروني من الجزع او الخـوف او الاضطراب اقول لنفسي : قد جربت مثل هذا من قبل ، وعرفت بالتجربة انه كله يمضي ولا يخلف أثرا ولا يورثني إلا الاسف على ما انهكت من اعصابي في احتماله ، وقد لدغت الاف المرات ، فلا يجوز ان ألدغ بعد ذلك ابدا ، وخليق بي ان اتلقى كل ما يجيء ـ لا بالصبر والتشدد ، فقد كان ذلك ما افعل ولم يكن يكفي ـ بل بالسخرية والتهكم ـ سخرية العارف وتهكم المدرك للقيم الحقيقية للأشياء ـ وبالابتسام الذي يهون كل صعب ويحيل كل جسيم ضئيلا .

وإذا بالابتسام له فعل السحر بل اقوى . تفتح حنكك ربع قيراط ، وتكلف عينك ان تومض قليلا فتتغير الدنيا كلها ! تجف الدموع إذا كنت تبكي ، وينضب معينها ، وينشرح صدرك إذا كان منقبضا ، وتشعر بخفة في بدنك بعد ان كان على كاهلك وقر ترزح تحته ، ويزايلك ما كنت تحاذر كانما كان ظلا ارتمى عليه نور فنسخه ، ويتجدد الأمل الذي كان قد استحال الى ياس ، وتنشط للعمل والسعي والجهاد وانت مفعم بالرجاء ، بعد ان كانت رجلاك كانما قد شدتا الى قنطارين من الحديد ، ولن تعود تبالي انك في ضيق ، او انك عـاطل ، او مريض ، او انك فقدت عزيزا ، او ان تجارتك بارت وخسرت الف الف جنيه ! كل ذلك الكرب الممض يصبح غير ذي قيمة لا لشيء سوى انك استطعت ان تبتسم !

ولست اتمنى للقراء إلا الخير محضا ، ولكنه ما من حياة تخلو من دواعي الانقباض او الألم او الحزن ، فليجربوا الابتسامة اذا مر بهم ـ لا قدر الله ـ شيء من ذلك ، وليتاملوا فعل سحره ، فقد وجدته في كل حال وصفة نافعة .

وليس الابتسام سهلا في مثل هذه الحالات ، فانه مغالبة للنفس ، ومغالبتها تتطلب جهدا عظيما ، ولكن الثمرة تستحق العناء ، والمثوبة على قدر المشقة . واول ما يكون على المرء ان يتغلب عليه ، هو الاستحياء من ان يبتسم في موقف حزن او كرب شديد مخافة ان يقول الناس انه يسرف في التكلف . وما من شك في انه لا يتاتى في اول الامر إلا بتكلف شديد ، ولكنه لا يلبث بعد ان ينجح في تكلفه ان يصبح طبيعيا ، لان مجرد الابتسام يفجر ينابيع البشر في النفس فتفيض .

ولان يتكلف المرء الابتسام خير ـ واسهل ايضا ـ من ان يحتمل ما هو فيه من الام ، وما يساوره من المخاوف والوساوس والاوهام .

ومتى ابتسم المرء في الشدائد والمحن ، فان الميزان يعتدل من تلقاء نفسه ، فيفطن المرء الى القيمة الحقيقية ـ لا المتوقعة ـ لما هو فيه او لما يخشى ان يكون . فتراه يقول لنفسه إذا كان قد فقد عزيزا : « لقد مات ، وكان لابد ان يموت يوما ما ، وسنموت جميعا متى وافانا الاجل ، فلا حيلة في هذا . وصحيح انه مات في وقت انا احوج ما اكون فيه اليه وإلى عونه ، ولكن اطالة عمره لم تكن في يدي ، واستغراق الحزن ليس من شانه ان يجعلني اقدر على النهوض بالعبء الذي انتقل الى كاهلي » .

وكان قبل ان يبتسم يقول : « يا ويلتاه ! وا مصيبتاه ! ماذا اصنع الان ! لقد فقدت المعين ، فانا ضائع لا محالة ! وكيف تطيب الحياة لي بعد ؟ الخ الخ » . نعم ، هو سحر ولكنه سحر في وسعنا جميعا ان نعالجه ونوفق فيه . اقل شيء في مبتداه عسير ، ثم يهون بالدربة والمرانة ويصبح عادة واشبه بالطباع ، ويكسب المرء مناعة وحصانة ، فلا تعود ظروف الأيام قادرة على تقويض كيانها ونقض بنيانها . فجربوا هذا كما جربته ، واشكروني .

ابراهيم عبدالقادر المازني
١٩٤٥

تقديم : لبنى الريدي

تصوير خطوط الطاقة في جسم الإنسان

بالرغم من عدم اعتراف فريق من الاطباء بالعلاج بالابر الصينية فلقد اثبتت نجاحا في شفاء العديد من الامراض ابتداء من الصداع النصفي الى قرحة المعدة والالام الروماتيزمية الخ .. ولكن لاول مرة استطاع الأطباء تصوير خطوط الطاقة التي يتم العلاج على اساسها وهي الخطوط التي وصفها الأطباء الصينيون منذ الفي عام .

فطبقا للطب الصيني فان كل انسان يملك ١٢ خطا من هذه الخطوط موزعة بالتماثل على جانبي الجسم . ولان الاطباء لم يستطيعوا من قبل مشاهدة هذه الخطوط كان من السهل التشكيك في وجودها .

ولكن التصوير الاشعاعي اثبت وجودها . فعند حقن شخص سليم بمادة الثاليوم المشعة في نقطة من نقاط الوخز بالابر الصينية ينتشر السائل طبقا لاتجاه محدد يماثل الخطوط التي وصفها الاطباء الصينيون .

ولتاكيد هذا الاكتشاف لجا البروفسير «مان ـ كلود داراس» رئيس الاكاديمية الطبية للعلاج بالابر الصينية في فرنسا الى استخدام كاميرا جاما ، وهي كاميرا تعمل باشعة جاما وتسمح بتتبع مسار المادة المشعة لمسافة اطول . وسجل الاطباء بالصور خطوط الطاقة ، ولاحظوا انها تكون واضحة ومنتظمة بالنسبة للشخص السليم ولها دائما نفس الشكل ، بينما يختلف مسارها ويصبح اقل انتظاما بالنسبة للشخص المريض .

وبعد ان اثبت الأطباء ان المادة المشعة لاتتخذ مسارا شريانيا او ليمفاويا ، اعلن البروفسير الفرنسي ان النسيج الضام الذي تسير فيه خطوط الطاقة ليس متجانسا بحيث تمر النظائر المشعة في المناطق الاقل مقاومة لها . واكدت صحة هذا الفرض ابحاث تناولت التركيب الكيمائي والكهربي للانسجة الواقعة تحت الجلد عند نقاط الوخز بالابر الصينية إذ اثبتت ان نسبة الاكسجين القابل للانتشار في هذه النقاط اعلى من المناطق الاخرى من الجسم ، وهو ما يفسر ضعف مقاومتها لانتشار المادة المشعة .

ويتيح هذا الاكتشاف إجراء بحوث لخطوط الطاقة بواسطة المواد المشعة لتشخيص الامراض ومتابعة تاثير العلاج على المرضى ، وبالتالي يصبح العلاج بالابر الصينية فرعا من فروع الطب الحديث .



الطبيب الفرنسي يعرض إحدى صور خطوط الطاقة

تحويل ضوء الشمس مباشرة إلى طاقة حركية



جهاز تحويل ضوء الشمس مباشرة إلى طاقا حركية

ابتكر باحث ياباني جهازا بسيطا لتحويل ضوء الشمس مباشرة الى طاقة حركية .

ونبتت في ذهنه الفكرة عندما كان يدرس تفاعل غازات عادم السيارات مع ضوء الشمس لتكوين الضباب الدخاني الذي يلوث هواء المدن . فلاحظ ان ثاني اكسيد النتروجين يتحلل بتاثير ضوء الشمس الى اكسيد نتريك واكسجين ، وعندما يحل الظلام يتحدا مرة اخرى .

وقد استفاد الباحث الشاب من هذه الظاهرة الضوءكميائية في تصميم جهاز يحول الطاقة الضوئية للشمس مباشرة الى طاقة حركية . ويتكون هذا الجهاز من اسطوانة من البلاستيك الشفاف مقسمة الى ثلاث غرف وفي قاعدة كل غرفة مكبس متصل بعمود مرفقي مركزي . ويتم ضخ خليط غازي يحتوي على ثاني اكسيد النيتروجين في كل غرفة . وعند تعرض الغرفة الأولى لاشعة الشمس ، يتحلل ثاني اكسيد النيتروجين وتتصاعد حرارة من التفاعل مما يزيد الضغط داخل الغرفة . وتؤدي زيادة الضغط الى تحريك المكبس الذي يقوم بنقل عزم الدوران الى عمود التحريك . وبينما تتكرر نفس العملية في الغرفة الثانية يعود الضغط في الغرفة الأولى الى مستواه الأصلي نتيجة اتحاد مكونات غاز ثاني اكسيد النيتروجين مرة اخرى .

ويستطيع النموذج الذي نفذه الباحث الياباني ، وهو نموذج تجريبي ، الدوران ١٢ دورة في الدقيقة . إلا ان استخدام العدسات لتركيز ضوء الشمس سوف يزيد من كفاءة الجهاز بشكل حاسم .

وبساطة هذا الجهاز تجعل منه منافسا خطيرا للخلايا الشمسية في الاقمار الصناعية وسفن الفضاء .

هاتف يعمل باللمس

عرضت شركة « اى ـ بى ـ ام » الامريكية في مؤتمر دولي للاتصالات اللاسلكية عقد مؤخرا في جنيف جهازا تجريبيا لهاتف الكتروني يختلف من حيث الشكل وطريقة العمل عن كل ما نعرفه من اجهزة الهاتف .

فلقد استبدل القرص ولوحة الأزرار بشاشة تلفزيونية عرضها تسع بوصات بحيث يتم الاتصال الهاتفي بلمس هذه الشاشة . فعند تشغيل الجهاز تظهر على شاشته صورة هاتف تقليدي مزود بلوحة ارقام عادية ، ولاجراء مكالمة نلمس الارقام المطلوبة على الشاشة . ليتم الاتصال على الفور .

وتختزن ذاكرة الجهاز دليلا يضم قائمة الاسماء والأرقام المقابلة لها ، وبالضغط على زر معين يظهر الدليل الالكتروني على الشاشة . ويكفي لاجراء اتصال مع احدى شخصيات الدليل لمس الاسم المطلوب عند ظهوره على الشاشة .

يمكن ايضا استخدام شاشة الهاتف الالكتروني كمفكرة لتسجيل المواعيد والملاحظات ، وذلك بالكتابة عليها بواسطة مؤشر خاص متصل بها ، او حتى بواسطة قلم عادي .



كاميرا جديدة للتصوير الإخباري

كانت هناك مشكلة تكنولوجية تواجه الفنيين في مجال التصوير التلفزيوني للاخبار ، فالكاميرات الالكترونية التي يستخدمونها مزودة بصمامات لاستقبال الضوء لا تعطي صورة واضحة ونقية للمناظر والاجسام الساكنة الا اذا توفرت اضاءة كافية .

اما عند تصوير اجسام متحركة فان الصور تبدو ضبابية وغير واضحة ، كما تنخفض حساسية الصمامات في حالة الاضاءة الخافتة ، وظل المصورون لايستطيعون شيئا تجاه ذلك حتى استبدل الباحثون الأمريكيون الصمامات التقليدية بخلايا اكثر تطورا لايزيد حجم الواحدة عن حجم احد اظافر اليد ، وهي خلايا حساسة للضوء .

وتتميز الخلايا الجديدة بان الشحنة تختفي من عليها بمجرد معالجة الصورة التي استقبلتها في حين كانت تحتفظ الصمامات باثار من الشحنة بحيث اذا تحركت الكاميرا أو تحرك المنظر يرى المتفرج الصورة باهتة وضبابية اما بالنسبة للتصوير في اضاءة ضعيفة فان الخلايا الجديدة تتفوق حتى على العين الانسانية ، فهي تنقل الصور بالوانها الطبيعية حتى وان كان المنظر اقرب للاظلام منه للاضاءة . ويضاف الى هذه المميزات ان الخلايا تعيش فترة اطول من الصمامات .

ولكن الكاميرا الجديدة اغلى ثمنا من الكاميرا التقليدية ، وذاك عيبها الوحيد .

جهاز إلكتروني لاكتشاف المتفجرات والمخدرات



صمم المهندسون البريطانيون جهازين لمكافحة الارهاب وتهريب المخدرات .

الجهاز الاول يعمل بالتوجيه من بعد ويقوم بفحص الطرود المشتبه فيها والعمل على التحكم في تفجيرها . وهو مزود بكاميرا تلفزيونية وبندقية ومطرقة وبعض الادوات الأخرى اللازمة لتفجير العبوة الناسفة او القنبلة بدون احداث اضرار.

ويستطيع هذا الربوت الشجاع التحرك بسهولة في كل انواع الطرق كما يمكنه صعود الدرج وذلك بفضل الحصيرة المزود بها .

ويتميز الجهاز البريطاني بصغر حجمه مما يسهل عملية نقله فطوله ١١٠ سم وعرضه ٦٢ سم وارتفاعه ٦٦ سم اما وزنه فلا يتعدى ٧٥ كيلوجراما .

ويستطيع الجهاز الثاني اكتشاف المتفجرات والمخدرات المخبأة وراء الحواجز المختلفة من جدران او ارضيات او حواجز معدنية مثل ابواب السيارات .

ويتكون الجهاز من مجس متداخل يمكن تغيير طوله من ٦٥ سم الى ١٢٤ سم . ويتصل هذا المجس بواسطة سلك كهربي بصندوق الرصد الذي يضم الدوائر الالكترونية ودوائر التحكم وسماعة صغيرة ويحتوي المجس على مصدر اشعاعي ضعيف واداة لرصد عدد النيترونات وطاقتها .

ويعتمد عمل هذا الجهاز على ان الهيدروجين يعمل على تشتيت النيترونات وافقادها جزءا كبيرا من طاقتها . وبالتالي فعند وضع المجس على حاجز او جدار يخفي المتفجرات او المخدرات تقوم الدوائر الالكترونية بتحليل عدد النيترونات المنعكسة وطاقتها بحيث يصدر الجهاز فرقعة تتناسب مع عدد هذه النيترونات .

الابنة تربت على والدها العجوز ، في حنان وحب ، وتدفعه للحركة والنشاط .. لقطة من فيلم «يوم الأحد في الريف»

الدوحة في مهرجان كان السينمائي

بقلم : رءوف توفيق



الاف الملايين من الدولارات ، تنفق كل عام من اجل هذه الشرائط السينمائية المتحركة ، والتي لا يكف الناس في جميع انحاء العالم عن مشاهدتها .. ولكن القليل منها هو الذي يبقى في الذاكرة ، ويحرك الوجدان ، ويشعرك انك انسان لك عقل ومشاعر .. وليس فقط مجموعة من الغرائز !

وقد احتشد في مهرجان « كان » السينمائي لهذا العام ، مئات الأفلام من كل القارات ، في سباق محموم يؤكد ان السينما مازالت تناضل من اجل بقائها امام هجوم التليفزيون والفيديو .. وهي في هذا السباق تغزو جميع المجالات والموضوعات .. من السياسة الى الجريمة .. ومن منتهى العنف الى مستنقع الغرائز الحسية !



افراد العائلة في إحدى اللقطات التي تدل على الجو التقليدي في اثناء زيارة الابن وزوجته ، قبل وصول الابنة .



الابنة وهي تحاول ان تخلق لعبة جديدة ليشاركها الجميع المرح . لقطة من فيلم «يوم الاحد في الريف»

حديث مليء بالحنان مع الأب



العائلة الارستقراطية في لقطة تذكارية

وفي اطار المسابقة الرسمية للمهرجان ، والتي ضمت افلاما من خمس عشرة دولة .. كانت السمة البارزة ان مستوى الافلام في هذا العام ، افضل بمراحل كثيرة عن الاعوام الماضية ، على الاقل بالمقارنة بالعام الماضي .

ولهذا مضت ايام المهرجان في ايقاع مليء بالحيوية والمفاجآت الطيبة ، رغم سوء الأحوال الجوية ، حيث كانت الامطار لا تكف عن الهطول لايام متتالية .. مع لفحات من البرد الشديد .. وهو شيء لم يتعوده زوار المهرجان في مثل هذا الوقت من كل عام !

توارت بهرجة النجوم .. وتلاشى ضجيج الدعاية ، امام نوعية من الافلام لا تعتمد على اسماء لامعة من الممثلين ، بقدر ماتعتمد على نوعية الموضوع الذي تقدمه .

ولهذا نجحت افلام ، بميزانيات بسيطة وبممثلين غير معروفين ، وتاكدت من جديد الحقيقة التي تقول إن السينما لا تصنعها الامكانات الضخمة ، وانما معيارها الحقيقي هو الصدق ، وان هناك رسالة ما يريد صناع الفيلم ان يبلغوها الى المشاهدين ..

فليس هناك فن من اجل الفن .. او استعراض المهارات الشخصية .. وانما الفن للحياة .. وللمشاركة في صنع مجتمع انساني افضل للجميع .

ومن هذا المنطلق .. كان من اجمل افلام المهرجان واكثرها رقة ونجاحا بين الجمهور والنقاد ، فيلمين من اسبانيا وفرنسا يتحدثان عن الفقراء والعجائز .



مشهد من فيلم « القديسون الابرياء »



وباسلوب فني بسيط وعميق .. وصلت رسالة هذين الفيلمين الى ما يزيد عن خمسة الاف ناقد وصحفي من جميع انحاء العالم .. تجمعوا في قاعة العرض .. ووقفوا يصفقون تحية للفيلمين .. وفي هذه اللحظة يتاكد بما لا يدع مجالا للشك ، ان الفن الصادق هو الفن الذي يصل للجميع مهما اختلفت الجنسيات والثقافات .

الفيلم الاسباني

يحمل الفيلم عنوان «القديسون الابرياء» .. والمقصود بالقديسين هنا .. هم هؤلاء الفقراء الذين يتحدث عنهم الفيلم والذين من الممكن ان تراهم في كل انحاء العالم وخصوصا الذين يعيشون تحت ظروف قاسية .. حيث تتشابه الهموم والاحلام .

ويصور الفيلم عائلة من الفلاحين في قرية بجنوب اسبانيا – حيث التخلف والفقر – والبطل الحقيقي للفيلم والذي تتعلق به الابصار منذ البداية وحتى مشهد النهاية .. هو ذلك الفلاح العجوز ، الشديد البراءة كالاطفال ، المبتسم دائما ، والذي لايستطيع التعبير عن نفسه ، فيبدو كالابله .. ولكنه صاحب القلب العطوف والجياش بالمشاعر .. يتلقى نظرات التانيب والاستنكار من الاخرين .. ولكنه يقابل الحياة بابتسامة .. ويعطي كل اهتمامه وحبه للطيور ، يحادثها بنغمات من فمه ويفرح عندما تستجيب لنداءاته ..

يبدأ به الفيلم وهو ينادي بومة .. وندرك انه هو الذي رباها واطعمها وخلق معها حوارا خاصا .. واطلق عليها اسماً .. ووسط الحقول يجري مهللا سعيدا ، يبادلها الاصوات ..

ثم نتعرف على عائلته .. ونتعرف عليه اكثر ..

فعندما تقدم به السن طرده صاحب العمل مستهزئا بسذاجته .. ولهذا فهو الآن يعيش مع شقيقته وزوجها وابنائهما الاربعة .. من بينهم فتاة ولدت متخلفة عقليا وعاجزة عن النمو .. دائما اما نائمة او تصرخ بصوت اجش .. وهذه الفتاة يطلقون عليها « الصغيرة » ترعاها الام .. وفي لحظات انشغالها باعباء المنزل والعمل يقوم العجوز الطيب برعايتها .. انه الوحيد الذي يتحمل صراخها ويعرف كيف يجعلها تعود الى النوم .. ورغم ثقل وزنها فهو يحملها على ذراعيه .. ويربت عليها بحنان وحب .. وكانها جزء منه .

وتنتقل العائلة للعمل في مزرعة احد الاثرياء بنفس المنطقة .. ولأول مرة يتعاملون مع بعض مظاهر الحضارة .. لمبات الاضاءة الكهربائية .. والمياه من الصنابير (!!) .. ان هذه الاشياء بالنسبة لهم هي الحلم الذي تحقق لهم ويحرصون على الا يفلت من ايديهم ..

ولذلك عندما يطلب منهم صاحب المزرعة ان تعمل ابنتهم الكبرى كخادمة في منزله .. يوافق الاب في استسلام وخوف رغم ان حلمه كان ان يستكمل ابناؤه التعليم .. حتى يجتازوا عتبة الفقر والخضوع .. ورغم ان الابنة كانت تعمل في احد المصانع القريبة وتذاكر دروسها في نفس الوقت .. الا انهم امام رغبات « السيد » لايستطيعون الرفض ..

وتنتقل الابنة الى منزل « السيد » لنتعرف معها على مدى البذخ والترف .. ونتعرف ايضا على مظاهر التفسخ الاجتماعي حيث تخون الزوجة زوجها مع صديق العائلة .. وحيث رائحة الزيف تملا المكان ..

وتواصل الابنة عملها في صمت واستسلام ..

وتمضي الايام بالعائلة الفقيرة وهي تعيش في كوخ بعيد على اطراف المزرعة تواصل العمل الشاق ، ولا تخشى شيئا قدر ان يكتشف احد صوت ابنتهما المريضة العاجزة .. او ان يعلق احد على سذاجة الشقيق العجوز الذي يحادث الطيور ويبكي لمرضها .. انهما العورة التي تهدد بقاءهما في هذا المكان ..



لقطة من اخر افلام برجمان « بعد البروفة » حيث يظهر المخرج المسرحي وهو يحاور الممثلة الجديدة



افراد العائلة يجتمعون على مائدة الشاي .. لقطة من فيلم « يوم الأحد في الريف »



افراد العائلة الفقيرة ، والام تحتضن الطفلة العاجزة .

الاستسلام والطاعة

ويختار المخرج ان يحكي يوميات هذه العائلة الفقيرة من خلال شخصيات العائلة .. بحيث تتداخل الاحداث التي نراها من خلال كل شخصية لتصنع في النهاية نسيج الفيلم ككل .

نتوقف عند الشقيقة ومسئولياتها تجاه

ابنائها وزوجها وشقيقها العجوز الابله .. وحرصها على احتواء اي ازمة .

ونتوقف عند الزوج الذي يعمل دائما ليثبت جدارته امام صاحب المزرعة .. المطيع دائما والذي يدرك تماما انه يتقبل كل الاوامر – حتى ولو كان يرفضها بينه وبين نفسه – إلا انه امام ضغوط الحياة ، يبدي كل استعداده لان ينفذ رغبات «السيد» خصوصا عندما يطلبه ليرافقه في رحلات الصيد .. وليجري – اسرع من كلاب الصيد – يلتقط الحصيلة من الطيور و التي اصابتها خراطيش الصيد فسقطت في اماكن متفرقة وبعيدة .. وقد تدرب على ان يعرف اماكن سقوطها وعددها بالضبط .

وعندما يطلب منه «السيد» ان يصعد على قمة شجرة ليحرك نموذجا من الورق على هيئة احد الطيور ، ليجذب بقية الطيور اليه .. يمتثل للاوامر .. ويتقبل «عصبية» السيد وتوتر اعصابه .. راضيا .. وبلا اي احتجاج .

وفي اليوم الذي يسقط فيه من قمة الشجرة .. وتتكسر ساقه .. ويتالم بشدة .. ويرتفع صوته لاول مرة بالالم .. يحاول « السيد » ان يبدي له بعض المشاعر .. كان يذهب معه الى الطبيب .. وكان يدعوه الى سيارته .. ولكن « السيد » لا يستطيع الاستمرار في تمثيل هذه المشاعر .. فيطلب منه ان يواصل الجري في رحلات الصيد معه .. ويحاول الزوج ان يعتذر .. ولكنه تحت الحاح « السيد » يقبل .. وحجته ان «السيد» يتفاءل به ولايريد أن يخيب حظه في الصيد .. فتكون النتيجة اشتداد الالم عليه .. وسقوطه مرة اخرى بساقه المحشورة في قالب الجبس .. ودموع العجز في عينيه .. وحتى في هذه اللحظة يشعر ان من واجبه الا يضايق « السيد » .. فيرشح له شقيق زوجته .. ذلك العجوز الطيب الذي يهوى مخاطبة الطيور ..

ويتقبل « السيد » هذا الحل على مضض.

مفاجاة النهاية

لنات الى قمة احداث الفيلم .. و التي يحركها هذا العجوز الطيب ، العاجز عن التعبير ، المبتسم دائما .. انه يتقبل العمل مع « السيد » في فرح .. ويتجـاوز كل الاهانات التي يتلقــاها منـــه .. ولكن عندمـــــا يرفع « السيد » بندقية الصيد ويصوب على الطائر الذي رباه ، وتعود آن يحـــاوره ، ويقف على كتفه .. هنــا يصرخ العجوز من الفزع والخوف .. ولكن « السيد » لا يبالي .. ويطلق رصاصته التي تسقط الطائر قتيلا .. ويبكي العجوز في هذيان .. غير مصدق ما حدث ..

وسرعـــان ما تعـود الابتسامـــة على وجهه .. وهو يصعد قمة الشجرة ليحرك الطائر الورقي .. منفذا تعليمات « السيد » .. ولكن في هذه اللحظة بالذات ندرك انه ليس بالعجوز الابله .. انه الواعي المدرك لكل ما يحيط به .. وندرك ان ابتسامته هذه المرة ليست الا ستارا يخفي خطته ..

من قمة الشجرة .. نراه يدلي بسرعة حبلا معقودا ليلتقط به عنق « السيد » ويجذبه بكل قوته وهو يضحك ..

مات « السيد » مشنوقا

أما هو فكان مصيره في احدى مستشفيات الأمراض العقلية .. انه ما زال يبتسم نفس ابتسامته ..

وينتهي الفيلم عليه .. وهو يدندن اغنية قديمة .. وينظر من خلف قضبان نافذة الحجرة .. واصداء نداءاته مع الطيور .. مازالت تصل لنا ..

وبراعة ذلك الفيلم .. فضلا عن موضوعه .. هذا التميز الواضح في الاداء التمثيلي .. وفي التصوير ، والموسيقى .. بحيث يتلاحم كل هذا مع الطبيعة .. لتشكل «صورة» جديدة للعين فيها الحيوية ، وروح الفكاهة .. رغم قتامة المكان الذي يعيش فيه هؤلاء الفقراء ..

ولا يعيب الفيلم سوى تلك المبالغة التقليدية في تجسيد حياة الاغنياء اصحاب الأرض .. وكان المخرج « ماريو كاموس » اراد ان يؤكد على التناقض الصارخ بين الطبقتين .

ويعلق المخرج بقوله « ان زمن احداث

الممثل الاسباني «فرانشيسكو رابل» العجوز الطيب وقد انتهت رحلته إلى مستشفى الامراض العقلية



الفيلم يقع في الستينات من هذا القرن .. ورغم هذا فان الفقراء في جنوب اسبانيا وغربها يعيشون حياة متخلفة جدا .. وليس عليهم غير الطاعة لاصحاب الارض .. فهم يقيمون في حظائر ويعاملون معاملة اقل من كلاب الصيد .. ومع ذلك فهؤلاء الفقراء في اتحاد وتلاحم قوي مع الطبيعة والطيور ..

من الأدب الأسباني

وفيلم «القديسون الابرياء» ماخوذ عن رواية للكاتب الاسباني «ميجيل ديلبس» .

ويدافع المخرج «ماريو كاموس» عن حماسه الشديد للاستفادة من الادب الاسباني لتعميق الروح المحلية فى السينما الاسبانية .. وهو يقول «ان الجمهور الاسباني ، كان قد هجر السينما المحلية لفترات طويلة خصوصا في السنوات التي كانت فيها السينما الامريكية والايطالية والفرنسية تغرق السوق بافلامها .. ولكن تدريجيا بدا الجمهور الاسباني يتغير .. فهناك رغبة لان يعرف الجمهور مشكلة رجل فى قرية اسبانية .. على أن يعرف مشكلة رجل امريكي في فيتنام» .

ومما يؤكد هذا المنطق .. ان فيلم «القديسون الابرياء» حقق نجاحا محليا كبيرا عند عرضه لاول مرة في اسبانيا .. وكذلك نجح الفيلم السابق للمخرج .. والذي كان يحمل عنوان « السلوك » .. نجح محليا .. ونجح عالميا ايضا وحصل على جائزة مهرجان برلين مناصفة في العام الماضي .

ويعلق المخرج قائلا : « لزمن طويل كان مخرجو السينما الاسبانية مضطرين لان يصنعوا افلاما يمكن بيعها للسوق العالمي .. حتى ولو كانت هناك موضوعات محلية من الممكن أن تكون لها الصبغة العالمية ويفهمها الجميع » .

وهذا الفيلم .. وهذا المنطق في التعامل مع الواقع المحلي .. هو نموذج ممكن ان يحسم المناقشات الطويلة والتقليدية التي تطرح دائما ونحن نتساءل .. كيف يمكن ان تصبح السينما العربية لها وجود عالمي !

الفيلم الفرنسي

المفاجاة الثانية .. كانت مع الفيلم الفرنسي « يوم الأحد في الريف » للمخرج الفرنسي « برتراند تافرنيه » والذي يعرفه عشاق السينما من خلال افلامه السابقة واشهرها « ساعاتي سان بول » عام ٧٤ «القاضي والقاتل» عام ٧٦ – «الموت مباشرة» عام ٧٩ « يوم الاجازة » عام ٨٠



تحية للفقراء والعجائز
أجمل الأفلام.. وأرقها



العجوز الطبيب في حوار مع الطائر الذي رباه



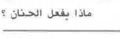
صاحب المزرعة مع زوجته في الفيلم الاسباني

الام وقد ارهقها التعب والاستسلام

اثناء الانتقال للعمل في المزرعة



الطبيب يعالج الساق المكسورة للفلاح البسيط



المخرج «ماريو كاموس» مع منتج الفيلم جوليان ماتيوس .

وفي هذا العام يفاجئنا هذا المخرج الفرنسي الشاعري الاسلوب بفيلمه الجديد « يوم الأحد في الريف » ليحكي لنا ببساطة شديدة حياة رجل عجوز يعيش في بيت ريفي .. وينتظر زيارة ابنائه له في يوم الاجازة ، يوم الأحد ..

والفيلم لايتضمن اي احداث مثيرة .. وانما مجموعة من المشاعر يفجرها المخرج في قصيدة سينمائية .. اشبه ما تكون بالسيمفونية بين رجل عجوز وابنائه واحفاده .. وبين الطبيعة في الريف الفرنسي ..

فهذا الرجل العجوز .. يقضي ايامه في الريف يرسم لوحات من داخل بيته او من النافذة .. لقد توقف عند المرحلة التاثيرية .. ولم يعد قادرا على المغامرة .. سواء في اسلوب الرسم .. او في الحياة عموما .. حركته محدودة .. يرسم نفس الحديقة .. او نفس هذا الركن الصغير من بيته .. ولقد كررهما لدرجة اوقعته في الملل ..

وفي صباح يوم الاحد من ذلك الصيف .. يخرج مرتديا ملابسه كاملة ، فى طريقه لمحطة القطار لاستقبال ابنه وزوجته واحفاده الثلاثة .. الذين تعودوا ان يأتوا له من باريس ليقضوا معه يوم الاجازة .

وكالعادة يتاخر في الوصول الى محطة القطار .. ولكنه يصمم على انه خرج في الموعد المناسب .. وانه اشترى ذلك البيت الريفي لانه يبعد عشر دقائق فقط عن محطة القطار .

ويبدا اليوم بالشكل التقليدي .. نفس الحديث والمشاكل والاسئلة والاجابات .. ونفس الازعاج من الاطفال الثلاثة ..

ولكن يتغير كل هذا مع وصول ابنته الشابة وهي تقود سيارتها .. انها فتاة مليئة بالحيوية والمرح .

ماذا يفعل الحنان ؟

وتدب الحياة في المكان .. فهذه الفتاة قادرة على ان تخلق حوارا جديدا .. والعابا

جديدة .. وضحكات غير تقليدية .. وهي ايضا تملك قدرا هائلا من الحب والحنان لوالدها .. وهو عندما ينظر لها يشعر بان كل احساسه بتقدم العمر ، وبضعف جسده .. قد تلاشى .. واصبح اكثر نشاطا ومرحا ..

ولكنه عندما يلاحظ ان ابنته تتحدث في التليفون بقلق تسأل عن صديقها في باريس .. تراوده من جديد مشاعر الخوف .. انه يخاف عليها .. ويخاف ان يفقدها ..

وينتهي اليوم .. وتحين ساعة الرحيل .. والاب يمسك بابنته يناشدها الا تنقطع عن زيارتها له .. والابنة تبتسم له في ثقة وتطمئنه انها لن تكف عن زيارته .. وتربت على كتفه بحنان .. وتطلب منه ان يرسم لوحات جديدة .. ويهز رأسه في حيوية وسعادة ..

ويرحل الجميع .. ويبقى العجوز وحيدا مع اصداء اليوم والاصوات التي كانت تملأ المكان منذ لحظات .. ويحدق في المكان كانه يراه لاول مرة .. ثم يقترب من اللوحة التي كان يرسمها .. ليضعها جانبا .. ويبدا في رسم لوحة جديدة .. وقد غير مكانه لاول مرة مواجها الحياة بكل نبضها واشراقها ..

وينتهي الفيلم .. وتشتعل قاعة العرض بالتصفيق المتواصل .. ذلك لان رسالة الفيلم مست اوتار مشاعر كل المشاهدين ..

فهذا العجوز الذي قدمه الفيلم .. بالقطع هو شخص نعرفه .. قد يكون قريبا لنا .. او صديقا .. او جارا ..

ففي تلك المرحلة المتقدمة من العمر .. حيث الوحدة .. والارق .. والذكريات .. والام الشيخوخة .. يصبح الانسان في امس الحاجة الى شحنة من الامل .. والى الكثير من الدفء والحنان .. وليس قادرا على ان يعطي مثل هذه الشحنة ، غير الابناء .. فهل يدرك الابناء هذا ؟

خطاب المخرج

انه سؤال يفجره الفيلم بلا اي خطابة .. او مبالغة .. ولكن باكبر قدر من الصدق .. ومن خلال عشرات التفاصيل الانسانية الصغيرة التي تشكل في النهاية معنى التواصل والمشاركة ..

والذي يعطي الفيلم مذاقه المميز .. ذلك الاسلوب الشاعري الذي تناول به المخرج « تافرنيه » تفاصيل ذلك اليوم دون اي لحظة نشاز .. او ملل .

وقد اشترك المخرج مع زوجته في كتابة سيناريو الفيلم .. وايضا في اختيار الموسيقى والملابس والديكور .

ولم يتردد المخرج في ان يضمن الكتيب الصحفي الخاص بالفيلم .. بعض رسائله التي كان قد ارسلها لزوجته يبلغها فيها تفاصيل ما توصل اليه في اثناء معالجة السيناريو واختيار الممثلين وبقية عناصر الفيلم .

وكانما اراد المخرج من خلال نشر هذه الرسائل الخاصة .. ان يؤكد على معنى الحب والتفاهم والمشاركة ..

رءوف توفيق



الشقيقة وزوجها في انتظار التعليمات .. لقطة من الفيلم الاسباني

مفاجأة « برجمان » وفيلمه الجديد

من حق قارىء « الدوحة » .. ان اعتذر له عن الخطأ الذي اوقعني فيه المخرج العالمي « انجمار برجمان » .

فقد كتبت في العدد الماضي عن فيلم « فاني والكسندر » الذي فاز بجائزة الاوسكار كاحسن فيلم اجنبي .. وكتبت مستندا الى تصريحات المخرج « برجمان » والتي ادلى بها للصحافة العالمية ، والتي كررها في اكثر من مناسبة .. إن فيلم « فاني والكسندر » هو آخر افلامه .. وانه قرر اعتزال السينما والاكتفاء بالاخراج المسرحي ..

ولكن في مهرجان « كان » السينمائي الأخير .. فوجئنا جميعا بان « برجمان » سيقدم لنا احدث افلامه .. وخرجت الصحف ووكالات الانباء .. تصف هذه المفاجأة بكل عبارات الدهشة والاعجاب .. فمعنى هذا ان برجمان تراجع عن قرار الاعتزال ..

واحتشد الآف الصحفيين والنقاد في حفلة عرض الفيلم الجديد « بعد البروفة » .. لتصبح المفاجــأة مفاجأتين .

الفيلم الجديد مدته ساعة واثنتى عشرة دقيقة فقط .. والفيلم يعتبر مشهدا واحدا طويلا .. حيث خشبة المسرح ويجلس عليها المخرج بعد انتهاء البروفة .. ثم تدخل ممثلة شابة ويدور حوار بينهما .. ثم تدخل الممثلة المتقدمة في السن ويدور حوار بينهما .. وينتهي الفيلم في نفس المكان .

والحوار عن المسرح والحياة .. وقد كتب برجمان سيناريو الفيلم .. ووضع جزءا كبيرا من تساؤلاته واكتشافاته مع عالم الممثلين والاضواء في الحوار الذي ينطق به المخرج المسرحي في هذا الفيلم ..

فهو الرجل الذي ارهقه المسرح .. ولكنه ما زال يحب التعامل مع الممثلين .. ويعشق كل الجو المحيط بالتمثيل .. وهو ايضا الرجل الذي يشعر بان الموت يقترب منه .. كما يشعر بالاحساس المرير بالوحدة

والفيلم مليء بالحوار .. كل الممثلين يتكلمون بلا انقطاع .. ويخلق « برجمان » من هذا الجو اسلوبا فنيا متميزا مستخدما اللقطات المكبرة التي تحاول ان تكشف عن اغوار ابطال الفيلم

وكعادة « برجمان » يتركنا مع سؤال .. هل هذا ما شاهدناه جزء من المسرح .. او جزء من الحياة ؟

الفيلم صور في السويد .. وقام بتصويره رفيق رحلته الفنية « سفن نيكفست » .. ولعب بطولته اثنان من الممثلين الذين شاركوه العديد من افلامه السابقة وهما « ارلاند جوسفسن » و « انجريد تولين » .. ومعهما الوجه الجديد الذي يقدمه « برجمان » بكل ثقة « لينا اولين » .

والمباراة رائعة في التمثيل .. والحوار مكتوب بطريقة ممتعة

وليس بعد هذه المفاجأة .. ان تكرر هل يعتزل « برجمان » السينما ام لا ..؟!



مفاجأة غريبة

قصة لم تنشر للأديب الراحل : فاروق منيب

ولادة متعسرة ..

كان ياما كان فى قديم الزمان الى الان حكاية ترويها الاجيال . ولم يكن يصدقها عقل او خيال ، لكن الذين يرددونها يوما بعد يوم ما يزالون يؤكدون وقوعها دون ادنى شك او افتعال . ففى قديم السنين قبل الميلاد حكم مصر القديمة مدة يوم واحد رجل جبار ، داهية عتيد ، ناعم كالأفعى ، جبان كالفار عندما يقع فريسة امام القط ! . له لسان سليط ، حقود القلب والوجدان ، يروون عن هذا الرجل انه ولد ولادة متعسرة ملتوي الأصابع ، وساق اطول من ساق وبطن منتفخة ، لا يعرف احد سرها ، هل هو مريض بالطحال أو الكبد أو الأمعاء ، لكن علامته المميزة انه محدودب الظهر ، ومن هنا أطلقوا عليه لقب الأحدب ! .

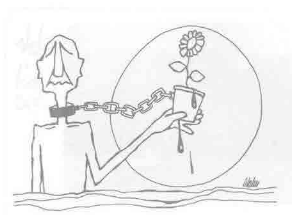
المهم انتهز الطفل ولادته على هذه الحال ولم يكف عن البكاء ، نادبا حظه العاثر ، وحط عليه نكد الدنيا ، فجعل يلعن البشر اجمعين ، ويبشر بولادة الشر بين الناس . وعندما دبت خطواته الصغيرة على الارض كان اول شيء فعله هو انه شج راس اخته وهو يضحك من اعماقه ، ثم قعد يتفرج على الدماء وهى تسيل من رأسها المفتوح ! . وحين ايقن انها تتالم وتعانى وتحتضر ، نتيجة النزيف الذى سببه انفجار الشرايين فى مخها ! ، تمدد مستريحا على الأرض ، يشعر بالزهو الشديد ، والامتنان العظيم لارادته ، ثم حمل اخته الصغيرة بين يديه وهو يبتسم فخورا ، ليرمى بجثتها وراء البيت ، فى جنح الظلام ! . وعاد يشم رائحة الدماء فى انفه ، يستنشق رائحته الفواحة ، ويغنى اغنية الموت على موسيقى اثيرية تطوف بخياله ، ثم انفجر فى ضحكات عالية ، وهو فى قمة الفرح والسعادة الروحية ! . واحتفظ بجلطات الدم المجمدة على كفيه للذكرى ، ثم جاءته الفكرة على مهل ! .

طريق الحكمة والفلسفة !

لماذا لا يتعلم الحكمة والفلسفة ، ويجمع اكبر كمية من الكتب والقواميس والاوراق ؟ وفعلا بدا مشروعه العظيم . وقال فى نفسه : ينبغى ان اخفى شرورى وانتقامى وحقدى وسمومى إلى داخلى . احتفظ بها لافرزها فى الوقت المناسب وبطريقتى الخاصة جدا .. وليكن ظاهرى هو مهنتى . وكان يقعد بعد ان أن أطلق لحيته إلى الآخر ، وسط اكوام الكتب والاوراق والاقلام باحثا ومنقبا . وفى بعض الاحيان يظل الساعات الطويلة يفتش عن معنى كلمة يعجزه معناها ! . وكان حريصا على ان كل كلمة او نصيحة او استشارة يقولها او يكتبها ان يكون لها ثمن معين . وعن هذا الطريق اصبحت ثروته ملكا لشره ، ولتنفيذ خططه الجهنمية فى القتل والتدمير وتنكيد أرواح البشر . وعاد زهوه يتالق وينمو ويتطور منذ حادثة قتل شقيقته الشهيرة . وكان يفتتح الصفحات على الدوام بقوله ... انا الوحيد الأوحد ... انا الوحيد الأوحد ... وليذهب العالم إلى الجحيم . وكان كلما تنفس روائح عطر الزهور او الورود من بعيد ، كلما تحسس بقايا الدماء فى كفيه ، ثم يرفعهما إلى انفه ليتلذذ برائحتها النفاذة الأصيلة . وإذا سمع اناسا يضحكون من قلوبهم ضحكات صافيات محبة ، اهتز صدره بالاحقاد المزمنة ومغيظا ومتشفيا وواعدا بالانتقام . وفى مرة جلس القرفصاء ، نافذ العينين ، يراقب مجموعة من الشباب فى إحدى الحدائق تحتفل بالربيع ، وهى تنشد اناشيد الأمل والرخاء والسلام ، ولحظتها طق شرر من عينيه فى الهواء إلى تلك المجموعة ، فسقطت بعض الأشجار الخضراء ، واكتسح فى طريقه زهور الفل والياسمين ، ثم نفذ إلى قلب المجموعة ، فجاة انفجرت العيون فى البكاء ، وقام الأفراد يضربون بعضهم بعضا ، يهشمون انوفهم ورؤوسهم بلكمات حديدية صارمة . ومن بعيد ، كان الأحدب يدير المعركة بكل خلجة فى عقله وروحه . وحين عاد إلى البيت امسك ورقة وقلما وكتب فى مذكراته .. الحكمة فى الشر والخبث والقتل والتدمير ، وليست فى الطيبة والمعرفة والطب والتجارب التى تنفع الناس ... والفلسفة بايجاز ليست في الحكمة أيضا .. وإنما فى قتل الأجساد والأرواح ..!

الانتصار الساحق ..

وحين كبر الاحدب ، واصبح صبيا ، ثم رجلا ، دخل في صراع من اجل صولجان الحكم ، فبدا يستعطف الناس واصدر بيانا قال فيه : يا ايها الناس ... لقد عانيت منذ ولادتي المتعسرة الآلام والاحزان ... وتعجز الكلمات فى بعض الاحيان عما اريد ان اعبر عنه ! وهكذا ترون لا عمل لي سوى الحكمة ودراسة الفلسفة ، ونحن اليوم نحتاج إلى التخطيط والتنظيم ..



وعلى حوافى الترع والمصارف وعلى اعمدة المعابد ، وعلى طول نهر النيل وزع المنشور . كانت المياه تجرفه دون ان تمحي حروفه التى كتبت بطريقة سرية ، لم يكشف عن سرها احد حتى الآن ! . وانتشر خبر المنشور وسط الناس من الشمال عند الأسكندرية ، وإلى اقصى الجنوب على مشارف وادي حلفا ، وتجرا وكتب بيانه على بعض اوراق البردي ، فبانت اللعبة مفضوحة وصارخة . وملأ الاحدب هذا الورق بكلماته المزيفة . ولكن ويا للغرابة ، فقد صـدق السـذج والبلهـاء ، وبعض الطيبين كلماته وادعاءاته . وصمت الشقيق الاكبر ، فلم يدخل معه فى اي صراع . فقد كان كل همـه ان يعيش حياته الحقيقية بصدق ، يسعد ناسه ، ويقودهم إلى الرفاهية ، وكان شغله الدائم أن يزين المعابد بالنقوش والرسوم الزاهية ، ويبحث فى طريق جديد للمواصلات ، وان يؤلف من الخيوط الحريرية نسيجا مختلفا الوانه ، وان يرعى الزراعة الناشئة ، وان يوفر العدس والفول والخبز والكركديه ... ويقضي على البلهـارسيا ... ويعقـد المؤتمرات مع الحكماء والعلماء والفنانين على شاطىء النيل ، يشربون من مائه العذب السلسبيل ، .. ومع هذا فقد انتصر الاحدب الشرير على الملك العادل المستنير ! .

• • •

وعندما تبوأ الأحدب الحكم ، علق المشانق لاصدقائه الذين اوصلوه إلى منصة الحكم والسلطة ، وسخر الآلاف لتسبح بحمده والثناء عليه ، ورفعه على الاعناق فى كل مناسبة ، وبلا مناسبة . ورغم ان المدة كانت قصيرة جدا ، إلا انه استطاع فيها ان يحقق احلامه ، واصبح كما كان يكتب فى كراسته القديمة ، السيد الوحيد الأوحد هو انا ، وليذهب العالم إلى الجحيم . وفجـأة ودع الحيـاة بين دهشة الجميع ، فانزعج الناس من الحدث بل اشفقوا عليه ، وصعبت عليهم معاناته وقصته كلها منـذ ولادتـه المتعسرة وتشوهاتـه المزمنـة ، وسـاد الهرج والمرج انحاء البلاد ، ولكن لم يكن باليد حيلة إلا الرضوخ للأمر الواقع ، ودفن الأحدب فى مقبرته إلى ان اكتشفت حديثا ، وبجوارها وجدوا كتبه وادواته ، ثم كراسة بها قصة حياته كاملة ، ولكن الغريب في الامر أن العلماء لم يلاحظوا اية تشوهات على جسده مما وصف فى القصة الشهيرة او الروايات المعروفة ! . ولم يكن بد من تكوين فريق من العلماء المصريين مع العلماء الأجانب وخبراء المصريات لبحث الحالة والتاريخ والرواية ! . وكانت هناك مناقشات طويلة حول معالجة الموقف ، هل يكون داخليا ام خارجيا ، فاتفقوا بعد طول الجدل والتعب والارهاق إلى ان يحملوا مومياء الملك الأحدب إلى الخارج ، ليعرفوا الحقيقة التى ظلت مجهولة الاف السنين ! .

مفاجأة غريبة ..

وفى احد الأيام صباحا .. دقت اجراس وكالات الانباء ، علامة على اهمية الأخبار الواردة وسرعة ارسالها .. ثم ساد الترقب والحذر والفضول ... وانفجرت الحروف تقول ... أصدر العلماء الاطباء وخبراء المثيولوجيا .. المشتركون في فحص مومياء الرجل المصري القديم الملقب بالاحدب بيانا مدهشا وصحيحا فى نفس الوقت ، قالوا فيه ... إن مومياء الرجل الاحدب الذي حكم مصر يوما واحدا فقط ، خالية من اية تشوهات قديمة او حديثة ، وان كبده وطحاله ورئتيه وقلبه ... كلها كانت سليمة، حتى ظهره كان مستقيما ، ليس به حدب من اي نوع كان ! . وبايجاز ، وظائف الاعضاء كلها كانت على درجة عالية من الكفاءة الصحية ، بل الممتـازة ! .

سؤال بدون جواب ...

وكما بدأ اللفظ قديما ... ساد حديثا ... فقد راح اهل مصر المعاصرة يسألون انفسهم ... إذن لماذا كل هذه الضجة التى اثارها الرجل الاحدب قديما ... وجعلنا نشعر بالذنب نحوه لمدى الاف السنين .. ونعطف عليه وعلى قصة مرضه الشهيرة .. ثم قصة وفاته المفاجئة الحزينة .... ولـم يستطيعوا أن يحصلوا على إجابة مقنعة وشافية عن سؤالهم .... اللهم إلا همهمات هنا وهناك ... واشاعات مبتورة ... تقول ... إن الأحدب استغل عواطف الناس منذ طفولته وصباه الباكر إلى ان اعتلى منصة الحكم والسلطة ... وجمع الفلوس ... وغرر بالطيبين والسذج والبلهاء الاف السنين .

فاروق منيب» لندن



دوحة القراء

إشراف
سنان المسلماني

ملاحظات هامة :

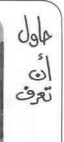
(١) اذكر على غلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة العامة تتضمن (من – اين – ما) والاجابة الصحيحة .

(٣) لايجوز الاشتراك فى اكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة الدوحة – ص . ب ٢٣٢٤ – الدوحة – قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .




حاول أن تعرف



الصورة الأولى : ناطحات سحاب على الطراز القديم بمنطقة بجنوب جزيرة العرب على خليج عدن والبحر العربي .. ترى ما اسم المنطقة ؟





الصورة الثانية : اديب عالمي ، ذائع الصيت ، اصبحت كتاباته جزءا من اللغة الانجليزية ، ولد في « بورتسموث » ببريطانيا عام ١٨١٢ ، وتوفي في الثامنة والخمسين من عمره ومن اهم رواياته : التطلعات الكبرى ، اغنية عيد الميلاد ، وقصة مدينتين .. من هو هذا الأديب الذي كتب في حياته ١٤ عملا ادبيا ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد "١٠١"



الصورة الأولى : عكا

● الفائز : وليد سليمان السلوم – سورية

● الفائز : الزكري الطيب – المغرب

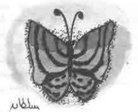


الصورة الثانية : مهدي الجواهري

● الفائز : امجد ضيف الله – الكويت

● الفائز : مصطفى محمد – الاسكندرية

هـل تعـلم ؟



● أن أول من خط بالقلم هو النبي ادريس عليه السلام وهو من خاط الثياب ولبسها وكانوا من قبله يلبسون الجلود .

● أن النحلة تقطع مايزيد عن مليون و ٤٠٠ الف كيلومتر لجمع مايكفي لتكوين كيلو جرام من العسل من رحيق الأزهار بسرعة متوسطة تبلغ ١١ كيلومتر/ساعة .

● أن أضخم مكتبة في العالم هي مكتبة الكونجرس بواشنطن إذ تحتوي الآن على أكثر من ٣٨ مليون كتاب ومخطوطوتبلغ مساحة المكتبة الكلية ١٣ فدانا وتحتوي على أرفف يبلغ طولها حوالي ٤٠٠ كيلومتر .

عماد الياسين ـ سوريا

لقطة الشهر



درس ديني : لوحة للقارىء **خالد الجتال ـ الدوحة** .. وقد فاز بالجائزة **مائة ريال قطري**

من أقوال عبدالله بن مبارك

● سلطان الزهد أعظم من سلطان الرعية لأن سلطان الرعية لا يجمع الناس إلا بالعصا والزاهد ينفر من الناس فيتبعوه .

● أعلم الناس بالله تعالى أشدهم منه خشية وانما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ .

● ان التواضع هو التكبر على الأغنياء

● الصمت أزين بالفتى ، من منطق في غير حينه .

● ان الزيادة في العلم ينبغي أن تتبعها الزيادة في العمل .

● كان عمر (رضي الله عنه) يهاب الله هيبة شديدة فهابه الناس أشد هيبة .

محمد عبد الحميد عبد الله كلداري
الدوحة ـ قطر

من أمثال الشعوب

● لسان المرأة سيفها ولذلك تستعمله دائما حتى لا يصدأ . — مثل صيني

● الحب هو صداقة اشتعلت فيها النار . — مثل هولندي

● لا يقلل من صلابة الرخام كونه لامعاً ومصقولا . — مثل أمريكي

● عندماتتكلم النقود يصمت كل شيء . — مثل برتغالى

● الآراء كالمسامير كلما طرقها المرء أكثر كلما ازدادت عمقاً . — مثل يابانى

● الحب كالشوربه أوله حاروآخره بارد . — مثل برازيلي

● أفقر الشعوب من لا تملك الأمل . — مثل المانى

بسام عبد الكريم محمد مصر ـ الدقهلية





مَن ؟

● شاعر عربي ، ولد في عام ١٩١٠ ، ونال بكالوريوس العلوم درس الشعر الانجليزي ، وتولى إدارة دار الكتب في بلاده ، والف مسرحيته الشعرية «رايات ذي قار» ، وتدرج في المناصب الدبلوماسية حتى وصل إلى درجة سفير في عدة بلاد من بينها الهند والنمسا والبرازيل .. اسمه مكون من عشرة احرف ومقطعين : ٢ ، ٤ ، ٣ ، ٥
سد في اليمن ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠
اداة قديمة للكتابة .

أين ؟

● ولد هذا الشاعر في قطر عربي كانت عاصمته هي عاصمة الدولة الأموية ، وتم طرد الرومان منها على ايدي العرب في الأعوام من ٦٣٣ - ٦٣٦ .. اسم القطر مكون من مقطع واحد وخمسة حروف :
٣ ، ٢ ، ٤ بمعنى حكى

مـا ؟

● اهم مساجد عاصمة هذا القطر بناه الوليد بن عبد الملك (٧٠٨ - ٧١٤) وجلب له الصناع والفنيين من كافة البـلاد الاسلاميـة. واسم المسجد مكون من مقطع واحد وستة حروف :
٥ ، ٣ ، ٦ بمعنى حاكم

الإجـابـة الصحيحـة

١ - قبائل البجة : رعاة رحل ، يعيشون في شبه عزلة اجتماعية وثقافية . وهم مسلمون شديدو التمسك بالاسلام ، ويصل تعدادهم الى مليون ونصف مليون ترى في اي الدول يعيشون ؟ : مصر ، السودان ، المغرب ، الصومال .

٢ - كثيرا ما يتردد في الصحف والمجلات اسم البيت الابيض باعتباره مقراً لرئيس الولايات المتحدة الامريكية وباعتباره ايضا اقدم بناء رسمي في واشنطن ، وفي عام ١٨١٤ احرقه الجنود الانجليز خلال غارة قاموا بها على العاصمة فاعيد ترميمه ، وطلي باللون الابيض ، ومن وقتها سمي بالبيت الابيض . ترى في اي عام اسس ؟ : ١٧٢٩ - ١٧٩٢ - ١٥١٤ م .

٣ - عندما انشئت مكتبة جامع الزيتونة في تونس وضع فيها منشؤها اربعين الف مخطوط ، ثم اضيفت اليها مخطوطات نادرة اخرى في العصور التالية ، ولم يبق منها الآن إلا القليل ، ترى من بنى جامع الزيتونة ؟ : عمرو بن العاص- الوالي عبدالله ابن الحبحاب - عقبة بن نافع .

٤ - اشهر لوحة للفنان العالمي بيكاسو هي لوحة (الجرونيكا) وقد استوحاها من ماساة إحدى القرى الاسبانية في شمال اسبانيا عام ١٩٣٦ م ، ما هي القوات المعتدية على هذه القرية المسالمة ؟ : القوات الفاشية - الروسية الفرنسية - النازية .

٥ - من هم مؤلفو هذه المسرحيات قمبيز - ماساة الحلاج - الفيل يا ملك الزمان





حل مسابقة العدد ١٠١

من : ابو القاسم الشابي
اين : تونس
مـا : التمر

الأجوبة الصحيحة

١ - الاسكندرية
٢ - العبارة صحيحة
٣ - الحـان الخلود وديوان زكي مبارك
٤ - كينيا
٥ - وليم فوكنر
٦ - الحديد
٧ - ١٩٤٢
٨ - فارسية
٩ - لمصرام لربوع الشام تنتسب : هنا العلا وهناك المجد والحسب
١٠ - سيس

أسماء الفائزين في مسابقة

● اصل وصورة : الطربوش - الشعر - الجبهة الرقبة - الذقن - الاذن - الشارب
● لأقوياء الملاحظة فقط : بالونة - غليون عجلة - مهرج - بابيون - فرشاة اسنان - كف
● لوحة لم تتم : الفنان فريد الأطرش
● يخلق من الشبه اربعين : رقم (٥) .
● لعبة الظلال : رقم (١) .
● دوري الكاريكاتير : رقم (٩) .
● هات اجمل تعليق : « ماما » مذيعة بالتليفزيون..
ليه بتسالي ..؟!

اسماء الفائزين

١) خالد محمد محمود محمد - مصر .

أسماء الفائزين

١ ـ فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري :
القارىء يوسف عبدالله الشبعان البحرين .
٢ ـ فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري :
القارىء دخيل الله مبارك القدان المملكة العربية السعودية .
٣ ـ فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري :
القارئة سمية عبدالغني محمود الاردن

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ منى وحيد مناع ـ الكويت
٢ ـ مرح مروان جميل مراد ـ سوريا .
٣ ـ السراج الحسن محمد ـ المغرب
٤ ـ اعتدال جميل مراد ـ الدوحة
٥ ـ محمد احمد شقير ـ الكويت
٦ ـ بسملة مقداد انور ابراهيم العراق
٧ ـ هياء دخيل مفلح ـ السعودية
٨ ـ ناول عبدالهادي ـ الدار البيضاء
٩ ـ أحمد بشار خالد ـ أبو ظبي
١٠ ـ السيد محمد زكي الدين الوحش ـ مصر

استراحة الدوحة العدد ١٠١

٢) مجدي عبد اللطيف الريح ـ السودان .
٣) عبدالله علي الموتان ـ السعودية .
٤) فهمي محمد فهمي عامر ـ مصر .
٥) إيناس عبدالعزيز الكواري ـ قطر .
٦) احدوث مصطفى ـ المغرب .
٧) محمد صالح أحمد محمد ـ سلطنة عمان .
٨) سوسن زبارة ـ سوريا .
٩) صالح سليمان صلاح ـ الاردن .
١٠) رمثي بو شعيب ـ المغرب .
١١) الأنصاري محمود محمد حارس ـ مصر .
١٢) نعيمة غازي ـ الجزائر .
فازت باشتراك لمدة ستة اشهر .
١٣) سيد فولي سليمان محمد ـ اسوان .
١٤) محمد صالح الغالي سلم ـ السودان .

الأكذوبة الكبرى

الدونية هي شعور الفرد بالنقص أو أنه « دون غيره » أي أقل منه ، وهذا الشعور غالبا ما يصيب الشعوب المهزومة في الحروب او الشعوب المتخلفة عن ركب الحضارة عموماً

وقد حاولت اسرائيل أن تشوه صورة العرب ، فاتهمتهم بهذه العقدة لمجرد أنها

حققت انتصارات عسكرية وقتية في عام ١٩٦٧ ، وجنّدت وسائل اعلامها في كل مكان للتركيز على مفاهيم كاذبة عن اليهود ، تعني في جملتها أنهم شعب فريد ، تتوفر فيه الخصال الحميدة كالذكاء الحاد والشجاعة وسمو الأخلاق .. وان العرب يجمعون نقيض تلك الصفات !

على ان الحقيقة عكس ذلك ، فلقد وصف زعيم اليهود تيودور هيرتزل بني جلدته بأنهم يعبدون المال ومغرقين في البخل والغباء والانانية وفساد الخلق الذي وصفه بقوله :

«يقف في وجهي جدار صلب هو فساد اخلاق اليهود» ... وها هي الأيام قد اثبتت الحقيقة وتحطمت الغطرسة اليهودية بأيدي العرب في حرب رمضان المجيدة .

جمال جمعة ابراهيم
كلية الحقوق ـ مصر

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاسم : ....
العنوان : ....
....
اسم المسابقة : ....
رقم العدد : ....

« تحذير »

التدخين يضر بصحتك
وننصحك بالامتناع عنه





استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة:

رووف

أصل وصورة





هل تعلم أن قاسم امين تعلم في الأزهر ودرس القانون في فرنسا وانه من اصل كردي ؟ .. وعلى كل ، وبعد هذه المعلومة البسيطة ، يمكنك ان تجرب سرعة اكتشافك للاختلافات السبع بين اصل وصورة القاضي والكاتب العربي قاسم أمين .

لأقوياء الملاحظة فقط!



امامك رسوم لستة اشياء متداخلة . هل تستطيع التعرف عليها ؟ حاول لتحصل على جائزة .

لوحة لم تتم



هذه اللوحة التي لم تتم ، لزعيم افريقي مسلم راحل كان رئيسا لدولة افريقية صديقة للعرب .. اكمل اللوحة واذكر اسم الزعيم ودولته لتحصل على جائزة .

لعبة الظلال



هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب في العثور على ظله الحقيقي .. حاول لان في انتظارك جائزة .

هات أجمل تعليق :



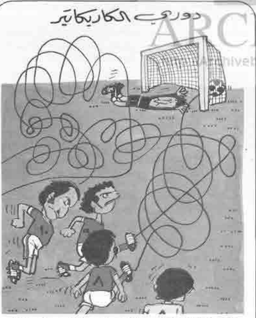
هذا الرسم الكاريكاتيري ينقصه التعليق المناسب ، وفي حالة فوز صاحب التعليق سيكون من حقه الحصول على جائزة .

المثل يقول



هذاالرسم الكاريكاتيري يعبر عن مثل شعبي معروف ، إذا استطعت التعرف عليه ستحصل على جائزة .

دوري الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفا قويا في مرمى الخصم . هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله إلينا لتفوز بجائزة .



بقلم: عبد الله الجفري

سافر إلى القمر.. وستعود شاباً!

عنوان مثير .. اليس كذلك ؟!

ولكن .. اين هو القمر في نفسية الانسان اليوم .. كيف ينظر اليه ، وما الذي يفعله فيه ؟!

وإذا كان هناك « القمر »الذي ما زال يجد شعراء يناجونه ، وينادونه ، ويبوحون له بمكنونات نفوسهم .. فليس هو ذلك القمر الذي يشدون اليه الرحال ويسافرون اليه ، فالقمر بمعناه موضعه النفس ، اما القمر بمحتواه فلا ينفع .. إنه بحر من الرمال والاتربة الناعمة والبراكين والصخور .. أو هكذا افادونا عندما عادوا من سطح القمر !

غير أن العنوان المثير هذا : « سافر الى القمر وستعود شاباً» « يبدو غير مريح لكل السخرية التي تتفرغر بها صبح مساء .. حينما نتحدث عن العمر ، والشباب ، والأولاد ، ومسئوليات الحياة ، وتصورت .. لو ان شيخا مسنا قد قرا العنوان .. ماذا كان سيفعل ، ومثلي يتشدق بشباب العمر ؟!

وابتسمت بفتور قائلا : انه عنوان جرائد !!

وتحركت في مقعدي ، وقلت « بتفاؤل » : « على ما تصبح الرحلات الى القمر كما الرحلات الى جزر اليونان مثلا ، او الى غابات تركيا المرتفعة .. يكون الشيب حينذاك قد وخط فودي ، فاصعد الى هناك عجوزاً هرما ، واعود من هناك شابا من جديد ، فاحيا مرتين .. في عصرين .. بقصتين !!

تخريف .. اليس كذلك ؟!

لكن العلماء سيصيبوننا بالجنون ، والدليل نجده في هذا الخبر :

ـ « يؤكد العلماء ان هناك دلائل علمية تثبت ان رحلات الفضاء تعيد للانسان شبابه ، ولدى العلماء ما يثبت ان رجال الفضاء الذين قاموا برحلاتهم المعروفة قبل سنوات الى سطح القمر .. عادوا من رحلاتهم اصغر سنا من اقرانهم الذين لم يقوموا بهذه الرحلات » !!

معقول هذا ؟!

لقد راينا صور اولئك الرواد ، وكانت سحناتهم فيما يلوح قد تقدمت الى الشيخوخة .. بل ان احدهم قد مات .. فما هو الصحيح ؟!

ان الخبر لم يكتمل بعد .. فاضافوا يقولون :

ـ إن الناس لن تصدق (رجال الفضاء في رحلة ابوللو ١٥ : ديفيد سكوت ـ ٣٩ سنة ـ والفريد ووردن ـ ٣٩ سنة ـ وجيمس اردن ـ ٤١ سنة ـ يعتبرون أصغر سنا من اي شخص اخر في العالم في مثل سنهم ، ذلك لان نسبة الفرق في الوقت الحالي ضئيلةجدا ولكن العلماء يؤكدون ـ ايضا ـ ان الموقف سيختلف في المستقبل .. عندما يقوم رجال الفضاء بزيارة النجوم في رحلات تستغرق وقتا طويلا .. اذ سيعودون وهم اصغر سنا من ابنائهم » !

وهذا يعني ـ إن صدقوا ـ ان كثيرا من المفاهيم ستتبدل ، وكثيرا من سلوك الناس ستحل عليه اتجاهات وافتراضات ومفاجآت ايضا ، وان هذا المخلوق الآدمي المغرور ـ رغم السكتة القلبية وحوادث السيارات والأمراض المستعصية ـ والمليء بالطموح وبالأماني .. سيكون اكثر غرورا وعنجهية وامتلاء بالدنيا .. خاصة اذا كان الرواد من امريكا ، أو من الاتحاد السوفيتي ، وفيما يلوح .. انهم لن يكونوا إلا من هناك !!

وستضيف ايضا الى هذا التوقع « حسبة » .. او نظرية رياضية تتلخص في هذا المثال :

ـ يروي أن العالم ريتشارد كيننغ اصطحب ساعة ذرية من طائرة جامبو ، وحدث في الساعة تاخير بعد الرحلة يوازي واحد على مليون من الثانية ، وظهر ان العالم كيننغ قد اصبح اصغر سنا بنفس هذه النسبة . وهذا ينطبق على النظرية التي اعلنها اينشتاين عام ١٩٠٥ وقال فيها : انه كلما زادت سرعة القطار .. نقص الوقت لراكب هذا القطار !!

واذن .. فالعلماء يريدون ان يجعلوا الحياة ـ بالرحلات الفضائية اكثر سرعة لقطع الوقت ، او لكسبه بمزيد من العمر والحياة ، فكلما اسرعت في اي شيء جعلت من نتائجه مكسبا لحياتك ولعمرك !

بمعنى : ان الرحلات الفضائية ـ من مراميها الصغيرة ـ ان تقول لك نفس الحكمة القديمة : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، وهذا هو كل ما في الأمر .. امر العلم ، وامر المصالح والرغائب ، ولذلك .. فليس بمستغرب ان تزداد حوادث الموت بالسيارات بسبب السرعة الجنونية لاختصار الوقت ، ولكنهم سيموتون ولن يصعدوا الى القمر ، اما الذين سيصعدون الى القمر ، فبعد عمر طويل .. ربما بعد جيلين !

يا امان الخائفين !!

●●

● حصيلة الشهر :

● أردتك ان تسمعي الصدى في النظرة !

ان امنحك اجل واصدق عطاء لن يمنح لانسانة غيرك !

ان اودعك تحدقين في عيني .. لترى وجهك النقي باسما يدعو الى بهاء الحياة !

انني متعب جدا .. فهل تحكمين ان ارتاح بالتخيل ؟!